

التعازی

للإمام الكبير

الرئيس العباسي محمد بن يزيد المبرور

510 - 517

تقديم وتحقيق

البر الوصفي محمد بن الحسن

مُراجعة

محمّد میرزا خان

التقديم

إلى

إلى الذين فقلوا أحباءهم وأعزاءهم فصبروا ورضوا بقضاء الله ،
وطلبوا منه الرحمة والأجر والثواب .

إلينا جميعا ، وما من واحد منا إلا وله حبيب فقدده وعزيز رحل عنه
وتلك هى سنة الحياة كما خلقها رب العالمين .
إليهم جميعا أقدم هذا الكتاب .

إبراهيم الجمل

لَعَنَى لَيْنٌ غَالٌ رَبُّ الزَّمَانِ
فَسَاءَ لَقَدْ غَالٌ نَفْسًا حَيَّةً

وَلَكِنْ عَلِمَى بِمَا فِى الثُّلُوهَا
بِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ تَتَسَّى الْمُصِيبَةِ

المُبرَّد

معجم الأدباء : ٦ - ١٣٥

﴿ .. وَالشَّرَاتِ وَيَشْرِ الصَّابِرِينَ

﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ

هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴿

سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

قرآن كريم



بسم الله الرحمن الرحيم - تقديم المحقق -

الحمد لله يده ملكوت كل شيء ، يحيى ويميت ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو اللطيف الخبير ، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أقول هذا هو كتاب (التعازي) للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (الميرد) صاحب التأليف المشهورة ، ألفه رحمه الله منذ أكثر من ألف ومائة عام ، وظل في عالم النسيان مغموراً حتى الربع الأخير من هذا القرن - القرن العشرين - وحتى هيا الله سبحانه وتعالى له من تولى تحقيقه ونشره لتعم به الفائدة الجليلة والمنفعة العظيمة في الدنيا والآخرة .

والكتاب وما فيه من سبب لتأليفه وهو موت صديق مخلص للمؤلف يقع بكل إنسان منا ، وما يزال يقع ، وسيظل يقع إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها .
فالتعازي وأسبابها - كما قيل - باقية مع الناس أبداً ، إذ كانت الفجائع لا تنقضي إلا بانقضاء المصائب ، ولا يفنى ذلك إلا بفناء الأرض ومن عليها ، ولا إله إلا الله الحى الذى لا يموت .

لم يقف المؤلف بالكتاب عند الحد الذى من أجله ألفه ، ومقدار تأثيره بذلك ، بل لقد أضاف إليه من الأدب والتاريخ والتأريخ والدين الشيء الكثير حتى ليستطيع المرء أن يقول إنه ليس كتاباً واحداً ، بل هو عدة كتب وإن كل موضوع مما تطرق إليه رحمه الله يصلح أن يكون كتاباً كبيراً .

وفوق ذلك فهو أصل ومرجع لكل ما تناوله بالبحث والتحليل ، وما أكثر ذلك

بين طياته ، وإن اكتشافه وإن جاء متأخرًا ، وتم تحقيقه ونشره يعد ذخيرة عظيمة للدين والعربية بفروعها وتاريخها وآدابها في الجاهلية والإسلام .

وبدورى حينما أُخْرِجَ للناس ، أُخْرِجَ من غير حشو لمراجع وأسماء كتب وعناوين يكون القارىء فى غنى عنها ، وأحيانًا قد يرجع المرء إلى تلك المراجع فلا يجدها لأن الطبعات تتجدد ، وقد تفتى تلك المراجع فلا يجدها القارىء ، فتكون وكأنها حشو لا يستفيد منه إلا من قدمه لغرض خاص ومنفعة شخصية ، وإذا كنا أخرجناه حَسَبَ للأجر والثواب من العلى القدير فإننى موقن أن الجميع عامة وخاصة وخاصة الخاصة سيستفدون به إن شاء الله .

بدأ المؤلف رحمه الله كتابه بمقدمة لبيان السبب الذى من أجله ألف كتابه ، وهو موت صديقه وحميمه القاضى إسماعيل ، فأثنى عليه ومدحه ، ثم تعرض لوفاته النبى ﷺ ، وما قاله وعمله سيدنا على بن أبى طالب وقد قام بغسله وتكفينه ﷺ . ثم ما قاله عبد الله بن أراكاة رثاء عندما بلغه مقتل ابنه عمرو باليمن على يد قائد معاوية ابن أبى سفيان بعد أن تغلب على على وحزبه .

تعرض المؤلف للشعراء فى الجاهلية ، وما قالوه للتعزية والرثاء وهم يتحاضون عند المصيبة على الصبر حزمًا وحلمًا ومروءةً ، أما ما قاله الشعراء فى الإسلام فإنهم يتحاضون على الصبر رضاء بقضاء الله وطلبًا لما وعد الله به الصابرين من حسن الثواب ، واستدل على ذلك بما قاله النبى ﷺ وفعله عند موت ابنه إبراهيم عليه السلام .

ثم رجع المبرد إلى تعازى ومراتى كبار شعراء الجاهلية والنخضرمين وبنى أمية بالشرح والتحليل من أمثال متمم بن نويرة ، ودريد بن الصُّمَّة ، وكعب بن سعد الغنوى ، وأعشى باهلة ، وأوس بن حجر وغيرهم من أمثال ليلى الأخيلية والخنساء ، ولم ينس المبرد أن يذكر ما أصاب بعض الصحابة والتابعين من أمثال معاوية بن أبى سفيان ،

وقد أصيب بصاحب له ، وعمر بن عبد العزيز وقد أصيب بابه عبد الملك وعامر بن مسمع وخالد بن صفوان ، وسليمان بن عبد الملك وأسماء بنت أبي بكر وغيرهم من الصابرين المحتسبين .

وجعل المبرد للوصايا بابًا فجاء بوصية لأبي بكر الصديق وعمر وعلي بن أبي طالب ومعلوية وأبي عبيدة وعبد الملك بن مروان وغيرهم ، وختم الباب بحديث مستفيض عن معاذ بن جبل وفقده لولده وصبره واحتسابه .

ثم ذكر تعازي ومراثي لشعراء محدثين من أمثال مسلم بن الوليد وإبراهيم بن المهدي وهو أخو هارون الرشيد وأبي العتاهية ، والبعلي وابن الزيات وابن المعتدل وابن أبي حفصة وغيرهم مما جادت به القريحة المكلمة .

جعل المؤلف للمواعظ بابًا ملأه بأخبار كثيرة عن عروة بن الزبير وقطع رجله وفقده ولده وصبره ، وعبد الله بن الزبير مع أمه ، والقلاخ بن حزن ، وشریح بن الحارث وأفاض في الحديث عن الحجاج بن يوسف الثقفي وفقده لولده وأخيه وحزنه الشديد ولوعة الفراق وقد كان قاسيا متجبرًا .

وذكر الطواعين التي اجتاحت العراق في أوقات متفرقة والأضرار التي ترتبت عليها والعظة والعبرة مما أصاب الناس ، وما جرى على أيديهم من غرائب الأحداث .

واختار المبرد رجالا تكلموا بآخر ما قالوه عند الاحتضار بدأها بما قاله رسول الله ﷺ حينما جاءه جبريل وخبره بين البقاء في الدنيا وبين لقاء الله فاختر لقاء الله سبحانه وتعالى ، وأتى بأقوام آخرين فمنهم من وفق في آخر ما قاله ومنهم من لم يوفق ليكون لنا عظة وعبرة .

وعقد للجفأة عند الموت بابا مستقلا بدأه بموقف أبي طالب ، وما قاله رسول الله ﷺ لعمه ثم بمن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فاستولى عليهم فلم يختم لهم بالإيمان .

وتحدث عمن تكلم بشيء في مرضه ، وبدأ هذا بما تكلم به بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ وعامر بن فهيرة وحسان بن مجدل وغيرهم وختم الكلام بما قاله عبد العزيز بن عبد الرحيم في رثاء أبيه وقد قتله أحد مماليك الخليفة المعتصم في اليمن ، والقصيدة رائعة زادت على الخمسين بيتاً ، وأحمد بن محمد الخثعمي في رثائه لإبراهيم الحميري .

ثم انتقل المبرد مرة ثانية إلى مرثي الجاهلية وحرب البسوس وحروبها فتحدث عن حرب داحس والغبراء ، وحرب الأوس والخزرج ، وأتى بشعر كثير مما قيل في تلك الحروب ، ولم ينس أن يرجع إلى أخبار البصرة وثورة الزنوج والفتنة التي قامت فأحرقت البصرة وقد رثاها أبو ناظرة السدوسي بقصيدة قاربت السبعين بيتاً ختمها بقوله .

عليك سلام الله منا فإننا
نرى العيش إلا فيك غير حبيب

ثم أقبل على نهاية الكتاب فأتى بما أسماه أخباراً طريفة وأشعاراً طريفة ، فوقى بما قال ، وكان مما ذكره قصيدة حسان بن ثابت يرثي بها القادة الثلاثة الذين استشهدوا في غزوة مؤتة ، وقصيدة محمد بن مناذر في عبد المجيد الثقفي ومنصور النمرى يرثي يزيد من مزيد القائد العباسي الشجاع .

ثم كانت الخاتمة ب رائعة يرثي بها صاحبها رسول الله ﷺ بدأها بقوله :

أفاطم بكى ولا تسألى
لصحك ما طلع الكوكب

ثم أتى بدعاء يدعو به أصحاب الحاجات أثر عن النبي ﷺ :
يتوضأ صاحب الحاجة ، ويصلي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك بنبي محمد نبي الرحمة . يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضى لي حاجتي - ويذكر حاجته) وكان الختام .

اللهم شفعه فينا واهدنا بفضلك - يا إلهي - إلى الصراط المستقيم وانفع بما عملنا
إنك نعم المولى ونعم النصير .

رحلتى مع كتاب (التعازى)

ترجع تلك الرحلة إلى أوائل العقد السابع من هذا القرن (القرن العشرين) فقد ابتعثت من وزارة التربية في القاهرة إلى وزارة التعليم بالمغرب الذى تنقلت فيه بين معاهد المعلمين في أغادير وأنى الجعد ثم استقر بى المقام فى (الرباط) ، فقد عيّنت أستاذًا للغة العربية فى ليسيه مولاي يوسف .

كان أول ما سألت عنه فى (الرباط) خزانة المخطوطات ، تلك التى كان دائم الحديث عنها ونحن فى القاهرة شيخ المخطوطات الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى المغربى قبل أن يعين أستاذًا للتراث فى جامعة أنقرة بتركيا .

ومن حسن الحظ أننى عندما ذهبت إلى الخزانة أن وجدت عالمنا الكبير قد انتدب لقسم التراث بوزارة الأوقاف المغربية ، وزاد من فرحتى أننى سأكمل ما تعلمت على يديه فى القاهرة .

تكرر لقاءنا فى الخزانة وفى مكتبته الكبيرة ، وتحدثنا عن المخطوطات كثيرًا ، ثم فكرنا فى تحقيق بعض المخطوطات ، فبدأناها بالجزء الأول من كتاب (أعمال الأعلام) لابن الخطيب ، وكان الأستاذ العبادى والأستاذ ابراهيم الكتانى يحققان الجزء الثانى من الكتاب ، بينما كان أحد المستشرقين قد نشر الجزء الثالث وهو خاص بالأندلس .

كان بالخزانة مخطوطتان مختلفتان للكتاب ، وتفضل الفقيه التطوانى فأعارنا مخطوطة ثالثة ، وما كدنا ننتهى من تحقيق هذا الجزء حتى كان الأستاذ الكتانى قد فرغ من تنظيم ما أتى به من رحلته التى زار فيها جنوب المغرب وزاوية الناصرية بتمكروت وعاد بمئات من أنفس المخطوطات العربية .

كنا فى جلسة بالخزانة وكان معنا العلامة الشيخ محمد المنونى وكان يعمل بالخزانة فأخبرنا بأن ضمن ما أتى به الأستاذ الكتانى مخطوطة نادرة لكتاب (التعازى) للمبرّد ، وأشار على الأستاذ ابن تاويت بتحقيق المخطوطة بعد الحصول على مخطوطة الأسكورريال ،

فأشار على الأستاذ ابن تاويت بأن أنقل المخطوطة ، وما كدت انتهى من النقل سنة ١٩٦٣ م حتى كانت الأمور قد تأزمت بين المغرب والجزائر ثم انضمت مصر للجزائر ، واثارت نائرة المغرب على مصر والمصريين فاضطررنا نحن المصريين إلى ترك المغرب ، والرجوع إلى القاهرة .

رجعت إلى القاهرة ومعى النسخة التى نقلتها ، وكنت على صلة بالأستاذ ابن تاويت ، وقد تواعدنا على اللقاء فى القاهرة ، ثم أخبرت بأنه ترك العمل بالمغرب ، وعاد إلى عمله بالجامعة بتركيا ، ثم توفى بعد أيام أو أشهر من رجوعه . رحمه الله رحمة واسعة .^(١)

وفى القاهرة حاولت أن أحصل على صورة من مخطوطة (الأسكوريال) فاتصلت بالمركز الثقافى الأسبانى بالقاهرة ، ولم تمض إلا أيام قليلة حتى وصلنى (ميكروفيلم) للكتاب ، ثم رأيت أننى فى حاجة لنسخة الرباط ، فأرسلت إلى الأخ الأستاذ الدكتور محمد كمال شبانة وكان بكلية الآداب جامعة فاس ، فصور النسخة وأرسلها إلى . أصبح عندى صورتان بالإضافة إلى ما نقلت ، وأردت أن أشرك معى من هم أكثر دراية وعلمًا ، فعرضت الأمر على أستاذنا العلامة السيد أحمد صقر فقال : إن صورة نسخة الأسكوريال التى كانت عنده أعطاها للعالم المحقق الأستاذ محمود شاكر ، وأنه زهد فى تحقيق الكتاب .

ثم عرضت النسختين على الأستاذ إبراهيم الإييارى ، فاطلع عليهما شهوًراً ، ثم قال : الوقت ليس مناسباً لى لتحقيق هذا الكتاب ، فعرضت الموضوع على الأستاذ مصطفى حجازى ، فاعتذر لا نشغاله بأعمال أخرى لمجمع اللغة العربية .

(١) قابلى الفقيه التطوانى بعدُ فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وأكد لى وفاة الأستاذ ابن تاويت ، وأن مخطوطته لم ترد إليه ، فأخبرته بأنى تركتها مع الأستاذ ابن تاويت مع الجزء الذى حققناه من كتاب أعمال الأعلام .

ثم أننى شغلت بالتأليف . والتأليف كما يقول العلامة الأستاذ محمد المنونى أسهل بكثير من التحقيق؛ فكتب عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، والداعية الكبير عبد الله ابن ياسين، وزوجات النبى ﷺ، وتعدد الروحات وكان موضوعًا يشغل الناس في وقته ثم اشتركت مع أ. د. محمد كمال شبانة في تحقيق كتاب (السحر والشعر) لابن الخطيب فأنتمناه بعد مجهود كبير إذ خرجنا آلاف الأبيات ومقات التراجم وهو الآن في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ليأخذ دوره للنشر . ثم وجدت أن الوقت أصبح مناسبًا لتحقيق كتاب (التعازى) فجمعت ما أمكن من المراجع وبدأت معتمدًا على المولى سبحانه وتعالى .

كان أ. د محمد بن شريفة عميدًا لكلية الآداب بوجدة المغربية في ذلك الوقت وهو الآن مدير لخزانة الرباط في زيارة للقاهرة ، وكنا على صلة علمية أيام الرباط فقد قمنا بتأليف بعض الكتب الدراسية معًا في أثناء وجودى بالرباط ، وكثيرا ما كنا نلتقى حين يأتى إلى القاهرة فأقبله ، وسألته مرة عن مخطوطة التعازى المغربية ، فأخبرنى بأن أحد الإخوة قد قدم كتاب التعازى لكلية الآداب بالرباط كرسالة لينال بها درجة علمية ، فلم يقلل هذا من السرور في طريق تحقيق الكتاب ، بل حثنى هو على الاطلاع على هذه الرسالة ، فقد أستفيد من الاطلاع عليها ، فانتهزت فرصة وجود الأخ الصحفى الأستاذ أديب السلوى ، وهو صديق للأستاذ الصحفى جمال الغيطانى وقد كتبنا معًا عدة مقالات في الصحف المغربية وأيضًا اشتركنا معًا في تحقيق ديوان المعداوى الشاعر الذى وافته المنية في حادثة الطائرة في ذلك الوقت ، وكان عائدا من مؤتمر للشعراء على نهر الدانوب بأوروبا ، وكنت قد كتبت عن المعداوى مقالتين في العدد الأول والثانى من مجلة اتحاد الكتاب المغاربة ، وكان أ. د الحبابى عميد كلية الآداب بالرباط يتولى رئاسة الاتحاد وتوجيهه^(٢) .

(٢) اشترك معنا في تحقيق الديوان أخو المعداوى أ. أحمد المجاطى وكان قد عاد من سوريا بعد أن انتهى من دراسة في كلية الآداب بدمشق وعين في كلية الآداب بالرباط في ذلك الوقت ، وظللنا على صلة ثم قطعها طول الفراق .

رجوت الأستاذ السلاوى بأن يرسل نسخة من الرسالة عليها تسهل لى ما قد يستصعب ولم تمض شهور حتى وصلتنى نسخة من الرسالة .

الحقيقة أننى استفدت من الإطلاع عليها ، ورجعت إليها فيما استصعب ، ففيها علم غزير وهذا شأن الرسائل الجامعية يشترك فيها الطالب والمشفرون ومن يتطوع بالمساعدة والتوجيه فتأتى بالفوائد وزيادة ومن الزيادة ما يستفيد منها الباحث دون غيره للدلالة على تعمقه وحده .

والمشاركة العلمية قد تفيد الباحث وتسهل له الطريق وقد اشتركت بالتوجيه للأخ والصدى أ . د محمد المصرى لنيل الدكتوراة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وكانت رسالته فى (ابن زيدون) وكانت لى أبحاث فى التاريخ الأندلسى .

والحديث ذو شجون هذا ومع اختلافنا مع صاحب الرسالة فى الاعتماد على الأصل والمنهج والطريقة والغاية كما سياتى توضيح ذلك عند الحديث عن منهجى للكتاب . إلا أننى أشكر الأستاذ محمد الديباجى صاحب الرسالة على مجهوده النافع المفيد من رسالته القيمة فقد سهلت لى من الصعب الكثير .

مع مؤلف (التعازى)

أولا : مكانة المؤلف :

مكانة المؤلف هى التى تعيننا هنا ، فمن أجل تلك المكانة كان حرصنا الكبير على نشر كتبه وعلمه للاستفادة العظيمة من آثاره وما ترك من علم ومعرفة .

الإمام الكبير مؤلف كتاب (التعازى) أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (الميرد) هو واحد من أربعة عظماء أجمع المؤرخون على إمامتهم فى الأوساط العلمية والأدبية وهم :

١ - أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بـ (الجاحظ) .

٢ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

٣ - أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى .

٤ - أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (الميرد) .

ولقد أثنى العلماء والمؤرخون على هؤلاء عامة وعلى (الميرد) خاصة ، وجميع الذين أثنوا على الميرد قد نبغوا وصاروا أعلاما ، وتركوا للعلم والأدب ذخائر من مؤلفاتهم ، نذكر منهم :

الستراي^(١) قال فى أمانة الميرد :

(ما رأيت أحسن جوابا من الميرد فى معانى القرآن الكريم فيما ليس فيه قول لمتقدم) .
ونقطوية^(٢) قال :

(ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه)

(١) أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان ، ولد سنة ٢٨٤ هـ وتوفى سنة ٣٦٨ هـ . وله مؤلفات عديدة (انظر الترجمة مفصلة فى تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ : ٢ - ٥١٥) ، ومقدمة كتاب أخبار اللغوين البصريين ووفيات الأعيان .

(٢) أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفى سنة ٣٢٣ هـ ، وله مؤلفات كثيرة (انظر الترجمة فى تاريخ الأدب لعمر فروخ : ٢ - ٤٢٣) .

وابن جنى^(٣) قال :

(يعد جيلا في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذى نقلها وقررها ، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها) .

والأزهري قال فى مقدمة كتابه التهذيب متحدثا بمن (المبرد) إمام البصريين و (ثعلب) إمام الكوفيين ، وكانت بينهما منافسة علمية شديدة .

(.. وكان محمد بن يزيد أعذب الرجلين يانا ، وأحفظهما للشعر المحدث ، والنادرة الطريفة والأخبار الفصيحة) .

ومدحه الشعراء من أمثال المشاهير كالبحترى وابن الرومى وقال فيه أحمد بن إسماعيل فأجاد :

رأيت محمد بن يزيد يسمو إلى الخيرات فى جاه وقدر
جليس خلائف وغذى ملك وأعلم من رأيت بكل أمر
وينثر إن أجال الفكر ذرا وينثر لؤلؤا من غير فكر

لقد أجمع معاصروه من العلماء والأدباء والمؤرخين ، ومن درس منهم كنه وعلمه على أنه العالم الكامل والمعلم البارع والأديب الذى لا يبارى ، وكانت حلقة برغم اتساعها تضيق لمزيد من الذين يريدون أن ينهلوا من علمه ، وتلك منزلة لا يصل إليها إلا من كان فى منزلة الإمام المبرد رحمه الله رحمة واسعة .

ولعل العلامة الكبير صاحب كتاب أنباه الرواة على بن يوسف بن إبراهيم القفطى^(٤) كان أكثر إحاطة بالتعريف بالرجل فقال :

(٣) أبو الفتح بن جنى ، ولد فى الموصل سنة ٣٣٠ هـ توفى سنة ٣٩٢ هـ له مؤلفات حقق معظمها منها الخصائص والنصف ، والألفاظ المهموزة وغيرها (انظر ترجمته فى تاريخ الأدب لعمر فروخ : ٢ - ٥٧٦) .

(٤) ولد بقط من بلاد الصعيد سنة ٥٦٠ هـ ، وله ما يقرب من العشرين كتابا معظمها فى التاريخ والرجال والتأريخ زيادة على النحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والهندسة توفى سنة ٦٤٦ هـ (انظر ترجمته فى فوات الوفيات : ٣ - ١١٧) .

(وكان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان ، وبراعة البيان ، وملوكية المجالسة ، وكرم العشرة ، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة ، وجودة الخط ، وصحة القريحة ، وقرب الإفهام ، ووضوح الشرح ، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه) .

أما ابن الرومي الشاعر الكبير المعروف بكثرة هجائه ، فقد مدح (المبرد) بقصيدة طويلة نذكر منها هذه الأبيات :

يا أبا العباس إلى رجلٍ قى عَمَّنْ عَائِدَ الحَقِّ عُوْدُ
وَمِنْهَا إِنَّكَ المرءَ الَّذِي جِهَ عَدَى سِوَاءِ السَّجُوْدُ
لَمْ أَزَلْ قَلَمًا وَقَلْبِي وَيَدِي وَلَسَانِي لَكَ مَذَكْنُتُ جَسُوْدُ
شَاهِدُ أَنَّكَ بِحَرِّ زَاغِرٍ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ مُدٌّ بَلْ مُدُوْدُ
يُجَنِّتِي ذُرُّكَ رَطْبًا نَاعِمًا فَلَنَا مِنْهُ شُوفٌ وَعَقُوْدُ
غَيْرَ أَنَّ الْبَحْرَ مَلَحَ آسِنٌ وَلَأَنْتَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ الْبُرُوْدُ
وهذا قليل من كثير مما قيل في رجلنا العبقري صاحب كتاب (التعازي) كتاب الدنيا والآخرة .

ثانيا : حياته وصفاته وثقافته :

وُلِدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢١٠ هـ وَكَانَ وَالِدُهُ مِنَ السُّرُوجِيِّينَ بِالْبَصْرَةِ مِنْ يَكْسَحِ السَّبَاخِ وَالزَّيْلِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَيَجْمَعُ الْقِمَامَةَ الَّتِي تَسْتَعْمَدُ كَقُوْدٍ لِلْحِمَامَاتِ ، وَكَانَ يَنَادِي بِـ (حِيَانَ السُّورَجِيِّ) . وَقِيلَ فِي نَسَبِهِ إِنَّهُ عَرَبِيٌّ يَنْتَسِبُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَقَالُوا أَيْضًا :

ولذلك تزوج المبرد ابنة الحفصى المغنى ، والحفصى شريف من اليمن ، والشريف لا يختار لابنته إلا شريفا .

ولما رزق حيان بمولوده سماه محمداً تيمناً باسم الرسول ﷺ ، ولما نما وظهرت عليه

علامات النبوغ لم يرد أن يشركه معه في عمله ، وبخاصة أنه كان وسيماً جميل الشكل فأبعده عن صناعته ، وأرسله إلى الجامع الذي يتعلم فيه الصبيان ، فحفظ القرآن الكريم ، وشيئاً من أحاديث رسول ﷺ ، وتعلم الخط وشيئاً من الحساب ، واشتهر بحفظ الكثير من الشعر والنثر ، وظهر نبوغه مبكراً ، فتردد على مجالس العلم واللغة والنحو ، وكان ملفتاً للنظر لصغره ومشاركته في المناقشة ، وسرعة بديته فقد كان كما وصفه القفطى منذ صغره :

كثير الحفظ ، فصيح اللسان ، جيد الخط ، صحيح القريحة ، قريب الفهم واضح الشرح ، عذب المنطق ، وبجانب ذلك كان ذا شخصية ووجه جميل مما جعل بعض شيوخه يعجبون به فيقولون فيه أشعاراً؛ قال فيه شيخه أبو حاتم السجستاني أشعاراً نذكر منها قوله :

وقف الجمال بوجهه فسمت له حديق الأنام

وقال فيه أيضاً :

أبرزوا وجهك الجميل ولا مـوا من افتـن
لو أرادوا صيانتى ستروا وجهك الحسن

تلقى المبرد العلم في حلقاته على كبار علماء عصره في البصرة ، واهتم به (الكتاب) وهو مؤلف سيبويه المشهور ، وقد كان عُقْدَةُ الدارسين فمن قرأ الكتاب وفهمه فقد فهم كل شيء لذلك كان الكتاب محور الدراسة والفهم . جلس له في حلقة أئى عمر صالح بن إسحاق المعروف بـ (الجرمى) فقرأ عليه ثلث (الكتاب) فلما توفى الجرمى سنة ٢٢٥ هـ بدأ من جديد قراءته على المازنى ، واستطاع بذكائه وما أعطاه الله من الفهم أن يفرق بين شيخيه المازنى والجرمى فقال :

(.. وكان الجرمى أغوصهما) .

أما أستاذه أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد المتوفى سنة ٢٢٥ هـ فقال عنه المبرد :

(جئت السجستاني وأنا حدث فرأيت بعض ما ينبغي أن تهجر حلقتك له ، فتركته مدة ، ثم صرت إليه) .

وقال المبرد ناقلًا لشيخه السجستاني والمازني :

(كان إذا التقى هو والمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي بادر بالخروج خوفًا من أن يسأله المازني عن النحو ، وكان جماعة للكتب يتجر فيها ، وكان كثير تأليف الكتب في اللغة) .

ودرس على التَّوْزِي : وهو محمد عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٢٤٨ هـ وقال عنه المبرد :

(ما رأيت أحدًا أعلم بالشعر من أبي محمد التَّوْزِي ، وكان أعلم من الرياشي والمازني ، وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة) .

وأخذ المبرد عن الرياشي أبو الفضل عباس بن الفرّج المتوفى سنة ٢٥٧ هـ وكان من كبار أهل اللغة ، كثير الرواية للأخبار وللشعر ، قرأ كتاب سيويه على المازني ، وكان المازني يقول :

(قرأ عليّ الرياشي ، ويشتشهد به) وكان الرياشي يعرف للمبرد قدره ، فلما انتقل المبرد إلى بغداد كان الرياشي يزوره كلما قدم من البصرة .

كان المبرد يتردد على الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ويسمع منه ، ويروى عنه حتى عده من شيوخه ، وروى عنه كثيرًا في كتابه (الكامل) وتحدث عنه ، وكان يمارواه قال :

دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل فقلت له :

كيف أنت ؟

فقال :

كيف يكون من نصفه مفلوج لو نشر بالمناشير ما أحس بها ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآله ، والأمر في جميع ذلك أنني جاوزت التسعين وأنشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

لم يقف الحال بالمبرد أن تكون ثقافته مقصورة على ما يتلقاه من شيوخه ، بل كان يقرأ كل ما يمكن أن يصل إليه من كتب السابقين ، وكان شديد الحرص على كتاب سيويه ، ونسخته الخاصة به .

حكى يا قوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء قال :

إن أبا الحسين محمد بن ولّاد قدم إلى العراق ، وفيها أهله لأخذ كتاب سيويه عن أبى العباس المبرد ، وكان لا يمكن أحداً من نسخه إذ كان شديد الضن بها ، فعمد ابن ولّاد إلى ابن المبرد وكلمه على أن يجعل له فى كل كتاب منه جُعلا سماه له ، فأجابه ابن المبرد إلى ذلك فأكمل نسخه .

ولما علم المبرد بذلك فيما بعد سعى بابن ولّاد إلى بعض خدم السلطان ليحبسه له عقابا على فعلته ، ولكن أبا الحسين احتفى بصاحب خراج بغداد ، وكان الحسين يؤدب ولده فأجاره منه .

كانت ثقافة المبرد عربية خالصة فشغل نفسه بالنحو واللغة والأدب ، وراح يتقرب إلى علماء الدين بما كتب وجمع فى كتاب التعازى .

ولقد صرفه الله سبحانه عن الاشتغال بعلوم الفلسفة والمنطق وغيرها ، فانصرف لخدمة القرآن بنبوغه فى علوم العربية ، وبقدرته الفائقة على المناقشة والجدل رغم حداثة سنة . لقد حاز ثقة شيوخه ، وهو ما يزال يطلب العلم ، فأجازوه وحثوه على الجلوس لحلقة الدرس بنفسه ، فهو جدير بأن يقوم بالتدريس والمناقشة

يقول المبرد بكل ثقة إنه كان أثبت القوم فى كتاب سيويه فقد حذقه وهو صغير .
وروى الزبيدى قال :

حدثنى النهدى والمسمى قال :

رأينا محمد بن يزيد وهو حدث السن متصدرا فى حلقة أبى عثمان المازنى يقرأ عليه كتاب سيويه ، وأبو عثمان فى تلك الحلقة كأحد من فيها .

وقال اليوسفى الكاتب :

كنت يوماً عند أبى حاتم السجستاني إذ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال له :
يا أبا حاتم إني قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء ، وأنت شيخ هذه المدينة ، وقد
أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيويوه فقال له :
(الدين النصيحة إن أردت أن تنتفع بما تقرأ ، فاقراً على هذا الغلام محمد بن يزيد
فتعجب من ذلك) .

وقال أبو بكر السراج :

حدثني المبرد قال : خرجت من البصرة إلى بغداد فاجتزت بالمازني متفرجاً ، وكان
في بعض البيوت كهلاً نظيفاً ، فلما رآني قال :
مرحباً بهذا الوجه الغريب ، وشكلك من البصرة ؟
قلت نعم .
قال :

هل درست بها على نابغتهم ؟
قلت .

ومن هو ؟

قال : الملقب بالمبرد
قلت رأيته .

قال : هو فاضل .

ثالثاً : من سُرَّ مَنْ رَأَى إلى بغداد .

ولما ذاعت شهرة المبرد ، وانتشرت في الآفاق ، وأصبح إمام البصرة في اللغة والنحو
والأدب ، انتقل المبرد سنة ٢٤٦ هـ من البصرة إلى (سُرَّ مَنْ رَأَى) عندما طلبه الخليفة
المتوكل على الله . فقد اختلف الخليفة المتوكل مع وزيره الفتح بن خاقان في قراءة همزة
(أَنْ) في قوله تعالى في الآية الكريمة :

﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ .

هل الهزمة بالفتح أم بالكسر ، وتحاكما إلى يزيد بن محمد المهلبى - وكان صديقا للمبرد - بعد أن تبايعا على عشرة آلاف دينار - فلما وقف (يزيد) على ذلك خاف أن يسقط عند أحدهما فقال :

والله ما أعرف الفرق بينهما ، وما رأيت أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالم متقدم .

فقال المتوكل :

فليس ها هنا من يسأل عن هذا ؟

فقال :

ما أعرف أحدا يتقدم فتى بالبصرة يعرف بـ (المبرد) .

فقال : ينبغي أن يشخص إلينا .

فأرسل إلى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمى بأن يطلب من المبرد الحضور إلى (سُر من رأى) .

فلما حضر استطاع أن يتخلص منهما بالمدارة فى إجابته !

فكرم بسبب ذلك ، وظل معهما إلى أن قتل المتوكل والفتح بن خاقان سنة ٢٤٧ هـ ، ثم انتقل إلى بغداد ، وصار مقربا للحكام والعلماء ، وأجريت عليه الأرزاق ، واشتغل بالتدريس وظهر على الجميع ، وأمضى أربعين سنة يدرس اللغة والنحو الأدب متبعا طريقة القياس مع الرواية للأخبار والأحداث التى رواها عن الأئمة السابقين ، وبرع فى كل ما تطرق إليه ، وشهد له على ذلك ما تركه من كتب ورسائل وعلماء فطاحل ، وهذا دليل له بالبراعة والفضل والسبق نذكر من هؤلاء العلماء :

١ - أبو الحسن على سليمان بن الفضل المسمى بالأخفش الصغير ، وله فضل وعلم ، وتوفى سنة ٣١٥ هـ .

٢ - الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السرى المتوفى سنة ٣١١ هـ قال عن المبرد . (لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره ، وكنت أقرأ على أبى العباس ثعلب - زعيم علماء الكوفة - فعزمت على إعناته ، فلما فاتحته أجمنى بالحجة ، وطالبنى بالعلة ، وألزمنى إلزامات لم أهدئ إليها ، فتيقنت فضله ، واسترجحت عقله . وأخذت فى ملازمته) .

وقال ابن النديم :

(الزجاج أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه) .

وهذا دليل على تمكن المبرد من علمه ومعرفته وكثرة مادته ، وتمكنه من رسوخ قدمه في العلم .

٣ - ابن السراج أبو بكر محمد السريّ المتوفى سنة ٣١٦ هـ .

٤ - ابن كيسان : أبو الحسن محمد بن أحمد المتوفى سنة ٢٩٩ هـ .

٥ - الصولسى : أبو بكر محمد بن يحيى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ .

٦ - الصنفار : إسماعيل بن محمد المتوفى سنة ٣٤١ هـ ، وقد لزم المبرد مدة طويلة .

٧ - ابن درستويه : أبو محمد عبد الله بن جعفر الفسوى المتوفى سنة ٣٤٧ هـ قالوا عنه في طبقات الزبيدي قرأ على المبرد الكتاب وبرع .

٨ - الدنيورى : أحمد بن جعفر المتوفى سنة ٢٨٩ هـ ، وهو ختن لأبى العباس إمام أهل الكوفة ، ويذكر المؤرخون .

أنه كان يخرج من منزل ختته أبى العباس ثعلب وهو جالس على باب داره ، فيتخطى أصحابه ويمضى ومعه محبرته ودفتره ، فيقرأ كتاب سيبويه على أبى العباس . فكان يعاتبه أحمد بن ثعلب على ذلك فيقول :

إذا رآك الناس تمضى إلى هذا الرجل ، وتقرأ عليه ، يقولون ماذا ؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله .

وهناك غير هؤلاء عشرات من كبار العلماء ممن ملأوا العربية علما وفضلا ، وكلهم يدينون بالفضل لرجلنا الكبير الموهوب صاحب الفضل في إثراء اللغة العربية رحمه الله وغفر له .

رابعا : كتب المبرد :

ترك المبرد آثارا كثيرة تدل على مبلغ رسوخ قدمه ، وأثره الفعال في إثراء اللغة من كتب ورسالات ما تزال منها للدارسين بالشرح والتعليق والتحقيق ، نذكر منها .

١ - (١) كتاب الكامل الذى نال به شهادة كل العلماء والمؤرخين فهو واحد من الأربعة التى أجمع النقاد على فضلها ومكانتها وباقي الأربعة .

(ب) البيان والتبيين للجاحظ .

(ج) كتاب النوادر لأبى على الفالى .

(د) كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة .

ومما قالوه فى كتاب (الكامل) : إن مَنْ لم يقرأ (الكامل) فليس بكامل ولم يخل كتاب من كتب التراث فى اللغة والأدب من ذكره والتعليق عليه بالإيجاز أو الإطناب ، واهتم به الأدباء والكتاب حتى لقد قال القاضى الفاضل :
(طالعته سبعين مرة ، وكل مرة أزداد منه فوائد) .

وشرحه السرقطى محمد بن يوسف المازنى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

وروى عن المبرد الأخفش النحوى أبو الحسن على بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ هـ .

وحقق هذا الكتاب ، ونشر عدة مرات فى ليزج واستنبول و لبنان والقاهرة ، واشترك فى تحقيقه المرحوم أ . د . زكى مبارك رحمه الله رحمة واسعة وغفر له والعالم الجليل فضيلة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عام ١٩٥٦ م ، وهذبه أستاذنا السباعى بيومى فى جزعين وسماه تهذيب الكامل سنة ١٩٢٣ م وشرحه شرحا وافيا الشيخ الأستاذ حسين المرصفى رحمه الله ونال شهرة شهد له بها كبار الأدباء والكتاب والمعاصرين .

٢ - كتاب الفاضل حققه العالم الجليل عبد العزيز الميمنى ، ونشرته دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦ م .

٣ - المقتضب حققه ونشره العالم الشيخ الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة سنة ١٩٦٨ م بالقاهرة .

٤ - نسب عدنان وقحطان نشره العلامة عبد العزيز الميمنى سنة ١٩٣٦ م .

٥ - المذكر والمؤث نشره أ . د . رمضان عبد التواب وأ . د . صلاح الدين الهادى بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م .

٦ - ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه فى القرآن المجيد . طبع فى القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ . بتحقيق عبد العزيز الميمنى رحمه الله .

٧ - البلاغة نشر أولا بتحقيق (جرونيوم) ثم حققه أ. د. رمضان عبد التواب سنة ١٩٦٥ م ، وهي رسالة صغيرة إلا أننا استفدنا كثيرا من مقدمة الرسالة .

ولقد بلغت كتب المبرد أكثر من خمسين كتابا لم يحقق معظمها ، ونزيد أسماء بعض منها على ما سبق .

المدخل إلى سيبويه ، والمدخل في النحو ، ومعاني القرآن ويعرف بـ (الكتاب الثام) ومن أعظم كتبه الكتاب الذي وفقنا الله سبحانه وتعالى للقيام بتحقيقه هو كتاب (التعازي) الذي نأمل أن ينال مكانة قد تفوق كتاب (الكامل) لأنه يتناول أمور الدنيا والآخرة ، ونحن المسلمين محتاجون إلى من يذكرنا بالآخرة ، والرضا بقضاء الله وقدره لأننا نوقن أن الدنيا الفانية ما هي إلا طريق إلى دار البقاء والخلود .

كتاب التعازي

إن السبب الرئيسي الذي من أجله ألف المبرد كتابه هو أن وافيت المنية صديقه وعزيره القاضي إسماعيل فحزن عليه حزنا شديدا ، ودعاه هذا الموقف إلى تأليف الكتاب ليسلي به نفسه ، ويكون فيه القدوة والأسوة لكل من أصيب بعزيز وحبيب .
يقول رحمه الله :

(دعانا إلى تأليف هذا الكتاب اجتلاب محاسن من تكلم في أسباب الموت من المواظ والتعازي والمراثي ... ومصابنا برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه) .

ثم يذكر نسبه فيقول :

هو أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم . ولد سنة ٢٠٠ هـ فهو أكبر من المبرد بعشر سنوات وهو من مواليد البصرة التي ولد فيها المبرد ، وزادت الصلة عندما كانا يتقابلان في حلقات العلم في البصرة ، وذكاء المبرد قرب السن من إسماعيل فتصادقا ، وكان بيت إسماعيل بيت غنى وعلم ومجد وأن والده كان من كبار العلماء ، وكان العلماء يفتحون بيوتهم لطلاب العلم فقد سهل

ارتباط الصداقة وجود المبرد كثيرا في بيت اسماعيل فنشأت بينهما مودة ومحبة ، أغدق إسماعيل عليه من كرمه وضيافته الكثير مما جعل المبرد يقابل ذلك بالبشر والترحاب والبشاشة والقبول بل بأكثر من ذلك فهو المبرد على يده ويقبلها أحيانا ، ولا يكتفى بالتقبيل بل يلهج لسانه بالثناء فينشد :

فلما بصرنا به مقبلا حللنا الحبي وابتدونا القياما
فلا تكثرن قيامى له فإن الكريم يجلب الكراما

وظل الوفاء والحب متصلين حتى بعد أن انتقل القاضي إسماعيل إلى بغداد وارتقى إلى المناصب العالية فقد ولاه المتوكل قضاء الجانب الشرق من بغداد ، ثم ولاه المعتمد قضاء بغداد كلها .

اعترف له المبرد بالعلم والسبق فقال :

(القاضى أعلم منى بالتصريف) والتصريف من العلوم التى لا يحنقها إلا جهابذة العلماء .

ظلت الصلة وثيقة بين الرجلين ، والمبرد لا تفوته مناسبة إلا ويظهر الوفاء والإخلاص لحميمه وصديقه .

قال المبرد :

لما توفيت والدته القاضي إسماعيل رأيت على وجهه ما لم يقدر على ستره ، وأن الكل ، يعزيه ، وقد كان لا يسلو ، فسلمت عليه ثم أنشدته :

لعمري لئن غال ريب الزمان فساء لقد غال نفسا حبيبه
ولكن علمى بما فى الثوا ب عند المصيبة ينسى المصيه

فتفهم كلامى واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ، ثم انبسط ، وزالت عنه تلك الكآبة والجزع .

ثم جادت قريحته القاضي فقال :

هم الموت عاليات فمن تـم تخطى إلى لباب اللباب
ولهذا قيل : الفراق أخو الموت ت لإقدامه على الأحباب

والقاضى - رحمه الله - كان عالما جليلا له من المؤلفات الكثير زيادة على خلقه الحسن ، فقد كان شديد التمسك بأهداب الدين ، لا يجحد ، ولا يجامل قال له الخليفة الموفق منتظرا منه أن يحلل له محرما كما يفعل المفتون للحكام فى جميع العصور ، قال له :

ما تقول فى النييد :

فقال أياها الأمير : إذا أصبح الإنسان وفى رأسه شئ منه ، يقال له ماذا ؟ فقال الخليفة الموفق : مخمور .

وقال فيه صاحب كتاب طبقات المفسرين :

وكان شديدا على أهل البدع ، فبرى استتابتهم حتى إنهم تحاموا فى بغداد فى أيامه . من تأليفه : موطؤه ، وكتاب القراءات ، وكتاب أحكام القرآن ، وكتاب معانى القرآن وإعرابه ، وكتاب الرد على الشافعى فى مسألة الخمس وغيرها ، وكتابه المبسوط فى الفقه وغير هذه الكتب وهى كثيرة جدا كل هذا وغيره جعل أبا العباس المبرد ينزله المنزلة اللاتقة به ، فلما توفى حزن عليه حزنا شديدا ، فراح يعزى نفسه ويسليها بتأليفه كتاب التعازى .

والإمام المبرد يخزن فى الذاكرة الكثير من النصوص التى تعبر عن غرضها وهو الرثاء وقد مرت بالبصرة وبغداد حوادث جسام وقتل فيها الكثير ولا نشك فى أنها أثرت فى داخلته وأيضا فقد جاوز الرجل سن السبعين ، وبلغ من العمر أزدله ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من لقاء ربه ، لذلك فقد جمع من الأخبار وما اختزنه الذاكرة ورواه عن شيخه المدائنى وهو كثير فأفاض وأمتع وزاد على ذلك ما رأى وسمع ورواه عن شيوخه . لقد كانت وفاة القاضى إسماعيل سنة ٢٨٢ هـ ، وكانت وفاة المبرد سنة ٢٨٦ هـ بعد أن قضى فى مؤلفه ما يقرب من الستين رحهما الله رحمة واسعة ، والله أسأل أن ينفع به .

مخطوطتان لكتاب التعازى

النسختان الخطيتان اللتان ظهرتا لكتاب (التعازى) للإمام الكبير أبى العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (المبرد) لم يعرف غيرهما للآن .
ومن الممكن أن تكون هناك نسخ أخرى عند من يحتفظون بالمخطوطات كآثار قديمة ، ويضنون بها ولو للصالح العام ، ولقد سمعت وأنا فى المغرب أن كثيرا من المخطوطات النادرة حبست فى بعض البيوت وقد أهلكها مرور الزمن ، فأصبحت رمادا يذرى فى الهواء ، وخسرت العربية من نواذر المخطوطات بما لا يكفى أن يقوم بكل ذهب الأرض ، وعلى ذلك فماذا كان سيفعل بنفائس المخطوطات التى عثر عليها الأستاذ الكتانى بجنوب المغرب ؟ لو لم يذهب إليها ويتحمل المشاق ويأتى بها فإن كتاب التعازى لم يكن لينشر أو يحقق .

* * * * *

النسخة الأولى :

ترجع هذه النسخة إلى عام ٥٦٣هـ أى بعد موت يوسف بن تاشفين بأكثر من ستين عاما ، فهى أندلسية الكتابة والتاريخ يوم أن كانت أسبانيا فى ظل الإسلام ترسل لأوروبا نور العلم والمعرفة ، وكانت تسمى بلاد الأندلس ثم جمعت مخطوطاتها وآثارها فى مكتبة (الأسكوريال) بمدريد عاصمة أسبانيا الآن ، ورقمها فى المكتبة (أسكوريال ثان ٥٤٣)

كتب على صفحتها الأولى :

كتاب التعازى لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد رحمه الله تعالى وتحت هذا العنوان ستة أبيات من الشعر نذكر ييتين منها

ما أبدع هذه التعازى ما أنفعها لى المصائب
سلت بغرابة المعانى أهل الحسرات والنوائب

افتتحت هذه النسخة بهذه البداية :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله () يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين
الذى كت () الفناء ، واستأثر بالبقاء ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعد
() بين الأخبار وسلم كثيرا .

واختتمت بهذه النهاية :

تم كتاب التعازى والمراثى بأسره () والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم . وكان الفراغ منه فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة من سنة
ثلاث وستين وخمسمائة

عدد لوحاتها ١٣١ لوحة ، كل لوحة رقت برقم واحد مسلسل ، وهى من القطع
المتوسط ، وأخبارها تكاد تكون متراسة قليلة العناوين ، فصل فى بعض أخبارها بنقطة
تحيطها دائرة .

والخط الذى كتبت به النسخة ردىء جدا ، وهى كثيرة البياض ، والتصحيف
والتحريف ، ناسخها يضع النقاط بلا تدقيق مما جعل القراءة صعبة ، لا يمكن الاعتماد
عليها فى النقل أو التحقيق ومما جعل ذلك يصعب على المستشرقين والمحققين العرب ،
رغم الأهمية الكبيرة للكتاب ، وتهافت الكثير على القيام بتلك المهمة .

ولعل آخر من حاول تحقيق هذه النسخة شيخ المحققين الأستاذ السيد أحمد صقر ،
فلما لم تنفع المحاولة لاعتبارات ترجع إلى عدم التكامل للنسخة والخط ، أعطاها لصديقه
العلامة الكبير أستاذنا محمود شاكر ، حكى لى هذا الشيخ الأستاذ السيد رحمه الله رحمة
واسعة ، ونحن جالسان عند الحاج سعد خضر ، ولظروف خاصة بالكتاب أو بغير
الكتاب فى وقته لم يحظ بتحقيق شيخنا الأستاذ محمود شاكر متعه الله بالصحة والعافية .

النسخة الثانية :

النسخة الخطية الثانية موجودة الآن فى الخزانة العامة بالرباط عاصمة المملكة المغربية

تحت رقم ٢٢٦ ، وقد جلبها الأستاذ إبراهيم الكتاني من الزاوية الناصرية بتمكروت في جنوب المغرب ، وقد ظلت هذه النسخة في عالم النسيان سنوات طويلة لا يُعرف عنها شيء رغم أهميتها ومكانتها العلمية حتى قبض الله لها الأستاذ الكتاني ، فأنفذها من الرماد .

وبمعرفة نسخة الرباط انفك لغز نسخة (الأسكوريال) فنقول إن النسختين اجتماعاً لتكمل كل منهما الأخرى ونستطيع أن نقول إن نسخة الرباط هي المفتاح الذي توصل به إلى إخراج الكتاب ، فساعدت الباحث على تسهيل عملية التحقيق الشاقة ، وإن كنا أول من اكتشفها من الباحثين ، وحاولنا منذ زمن تحقيقها إلا أن كثرة الأسفار ، والانشغال بالتأليف أّخر هذا العمل .

كتب على الصفحة الأولى لنسخة الرباط العنوان الآتي :

كتاب التعازي تأليف الشيخ الامام العالم العلامة أبي العباس محمد بن يزيد النحوي رحمه الله تعالى . آمين . وتاريخ المجيء بها من الشرق هو سنة ١٠٧٠ هـ

افتتحت هذه النسخة بهذه البداية

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد . والحمد لله الحى القيوم خالق العلماء والعلوم ، وملهم المثور والمنظوم . وصلواته على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه ذوى النجدة والعلوم ما طلعت النجوم وسلم تسليماً إلى يوم الوقت المعلوم .

واختتمت بهذه النهاية :

(تم الكتاب بحمد الله ومّنه ، وصلى الله على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين أجمعين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب بالكرك المحروس في مستهل الحجة من شهور سنة سبع وخمسين وسبعمائة جاء بهذه النسخة أحد المغاربة الذين زاروا المشرق للحج أو العمرة وأحياناً للدراسة والعلم ، وللمغاربة هواية خاصة بجمع المخطوطات ، لذلك فإن في المغرب عشرات الآلاف من المخطوطات مدفونة في البيوت ، لا يطلع عليها أحد ومصيرها للتآكل .

هذه النسخة ناقصة عن نسخة (الأسكوريال) بسبع عشرة لوحة ، ولاندرى هل هذا النقص متعمد من الناسخ أم لا ؟
فهل تُرك هذا الجزء لأنه يتحدث عن العصر الجاهلي وحروبه فاكفى بما ذكر عن عصر الإسلام والمسلمين ؟ أم هناك أسباب أخرى الله أعلم !

* * *

عدد لوحات هذه النسخة ٢٠٧ لوحة باعتبار كل لوحة مرقمة برقمين بخلاف نسخة الأسكوريال فإن اللوحة مرقمة برقم واحد مسلسل وخط هذه النسخة مشرق واضح جميل ، فقد جلبت من المشرق وكتبت بخطه ، وناسخها على شيء من العلم ، وهذا ما نفهمه من التعليقات التى علق بها على هامش المخطوطة فقد يذيل الجملة أو الكلمة المستدركة بلفظة (صح) أو يكمل بيتا من الشعر بذكر شرطه أو يصحح اسم الشاعر ، كل هذا وغيره يدل على أن الناسخ على شيء من المعرفة إلا أن هذا الناسخ يسهوا أحيانا فيترك سطرًا أو أسطرًا أو صفحة بأكملها أو أبياتًا من قصيدة وفى آخر المخطوطة قدم وأخر فى لوحات النسخة زيادة على النقص الذى فى آخر هذه النسخة والذى أكملناه من نسخة (الأسكوريال) مستعينين بما فى الرسالة والمراجع الأخرى والله الموفق .

منهجنا في التحقيق

إن تحقيق كتاب التعازى للإمام المبرد لم نقصد به غرضًا خاصًا وإنما حققناه لينتفع به من يقرؤه من الخاصة والعامة وإن فيه مما ينفع ويفيد الكثير .

اخترت لتحقيقه مخطوطة (الرباط) لتكون هى الأصل ، ورمزت لها بالحرف (م) نسبة إلى المغرب وهو المكان الذى استقرت أخيرًا فيه وكما قلت سابقا فى منزلة هذه النسخة إنها المفتاح الذى توصلنا به إلى التفكير فى التحقيق ، وقلت لقد عُرِفَت نسخة (الأسكوريال) قبل أن يستدل على نسخة (الرباط) بعشرات السنين ، ولكن لم يجرؤ واحد من المستشرقين أو العرب على نقلها أو تحقيقها للنقص الشديد حيث لا يمكن الاعتماد عليها وحدها ولقد كانت لى تجربة مع مخطوطة (الرباط) فلقد قرأتها ونقلتها ، ثم قرأت صفحات منها على شيخ المحققين الأستاذ السيد أحمد صقر رحمه الله رحمة واسعة ، وحبيبها لآلى جمال الخط الذى كُتِبَ به ، وبهذا الخط استطعت أن أجيد قراءة نسخة (الأسكوريال) ، وأتعرّف جيدا على النقص الذى كثيرا ما يصادف فى النسخة التى جعلتها الأصل .

وإذا كان ناسخ الأصل أحيانا يسهو فيترك أسطرا أو آيات من الشعر ، فقد تعرفنا عليه من نسخة (الأسكوريال) وإن السهو انتقل إلى تقديم بعد اللوحات على بعض قبل اللوحة الأخيرة فقد صححنا هذا السهو من النسخة الثانية ، كما اعتمدنا على هذه النسخة فى تحقيق الجزء الأخير الناقص والذى زادت به عن نسخة (الرباط) ومازاد غموضه استعنا عليه بمراجعة الرسالة المحققة ، وما جاء فى كتاب الأغانى والكتب التى تعرضت لتاريخ ما قبل الإسلام . ولم أعتمد اعتمادًا كليًا على الأصل الذى اخترناه ، فأحيانا أختار الصواب أو الأحسن ولو فى غير الأصل أو من المراجع التى تعرضت للموضوع .

ثم لأننى لم أكتب كل الفروق بين النسختين والتى كثيرا ما يتصرف فيها الناسخ بطريقة ، فنحن لم نثبت إلا ما يمكن الاستفادة منه بتكميل نقص أو تفضيل لفظة على

أخرى أو زيادة مفيدة وضعناها بين قوسين مكعبين أما مالا فائدة فيه كأن تأتى كلمة في أولها بواو العطف والأخرى بالفاء ، أو تقول نسخة مثلا : على عليه السلام ، والأخرى : على رحمه الله ، أو قال أبو العباس ، أو قال : المبرد وغير ذلك مما لا يعود بشيء ينفع .

وكذلك لم أثبت كل المراجع التي تعرضت للموضوع أو القصيدة وبخاصة أن كتابنا هذا يعتبر مصدرا ، فلا داعى أن نثبت ما جاء فيما ألف بعد ذلك فقد يطول بلا فائدة تذكر .

وقد نشر في الهامش إلى معاني بعض الكلمات الصعبة مستعينين بما جاء في المعاجم وكتب الدوائر وأحيانا من الرسالة المحققة .

وقد وجهنا اهتماما خاصا بالتراجم المختصرة لمعظم الرجال الذين تعرض لهم الكتاب ، وأشرنا إلى المرجع الذى نقلنا منه أو اختصرناها من تلك التراجم . وفي ختام الكتاب وضعنا الفهرس وأشرنا فيه إلى العناوين التى استحدثناها في الكتاب بين قوسين مضمليين وحرصنا على أنها تتفق مع ما جاء في الموضوع .

ثم أتممنا باقى الفهارس كما هو متبع فى كل الكتب العلمية والمحققة .

ولا أقول إلا أن هذا عمل متواضع لتحقيق هذا الكتاب الذى فيه خير الدنيا والآخرة وإن شاء الله سيجد القارئ فيه النفع والفائدة

والله أسأل أن يثيبنا ، ويحقق ما نرجوه من فائدة إنه نعم المولى ونعم النصير .

ابراهيم الجمل

كتاب

التَّعَاذِي

[والمراثي والمواعظ والوصايا]

للإمام الكبير

أبي العباسي محمد بن يزيد البزري

٢١٠ — ٢٨٦ هـ

تقديم وتحقيق

أبو الفهميم محمد بن الحسن

کتاب
انتظامیہ لابی سوسائٹی

الحمد لله رب العالمين

منه من الملك المقرب
عليه من الضعيف الفقير
محمد بن محمد بن محمد
الملك المقرب

San Vicente de El Escorial
(Medellin) Es parte

Ms. B. 534

وذا تخمد عازروا شوا صيغ على ما هو الجاء

اولاً في هذه القصيدة ما ليس من افعال الجاهل

قوله النفس ارجعني خذنا انك الذي حملت من قدر وقدر

تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ هَذَا سَدْرُ الْوَقِيعَةِ مَا حَاطَ بِهِ الْخَطُّ وَالْخَطُّ وَالْخَطُّ

هذه نسخة من كتابه في تاريخ العرب

سازمان: سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

پس از این که از این دو عالم جدا شد و در عالمی دیگر

فَبِذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَالْآيَاتِ لَا تُفْهَمُ إِلَّا بِذَلِكَ

عینی سبب نہ پیش کی ورنہ سر کی

والله اعلم الذي ينظر الى الظن كان قد مر لي وقد سمع

الألمني الجديد القلب الذي يوقع الشيء في قعره وهذا مثل الخنجر لا يط

قوله ۞ وكان مولانا المزمع لم يمتدح من الخطاب رضي الله عنه حتى أتته روح

من هذا القول لا يعيش بغير الحجة في عيش بطنه •

لا حاشي بخير من لم يبرهنه ما لم يبرهنه عينه. مؤلف

طُرِّجَ عَلَيْهِ عِلْمُ الْوَسَائِلِ وَالْغُلَامِ

(خط فخری) فتح فیہ ما یبغی علی التفسیر والرد فیہ یتصور

1

وَمَا نَقَمُوا إِلَيْهَا حَيْثُ كَانَ إِلَهُكُمْ يَفْعَلُ

وَلَا تَقْعُدُوا عَلَى آيَاتِهِ فَتُكْفَرُوا عَنْهَا وَإِنَّكُمْ تَعِندَنَا ذُكُرِكُمْ أَتَمٌّ

وَلَمْ يَلْهَأْهُمْ تَأْنِيْدُ التَّكْلِيفِ كَمَا شَيْبَتُمْ لِرُومِهِ وَكَرْدِي

ساحر بلا حجاب عی مشرب و فاسق و فاجر و بی رحم و بی رحمی

واقام عنده فضا له مدة يسيرة ثم رات فضاله فبقيه يقول

فأينما نذكر بعضنا والمختل اجتماعهم

وَالْأَبُو عِيْلَهُ طَلَّاسٌ وَاسْمُ أَبِيهِ رَسْمٌ وَاسْمُ أَبِيهِ رَسْمٌ

تأخره و التاخره و جعلتموه للسلطانين غيركم في حيازة

١٠٠
١٠١
١٠٢
١٠٣
١٠٤
١٠٥
١٠٦
١٠٧
١٠٨
١٠٩
١١٠
١١١
١١٢
١١٣
١١٤
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨
١١٩
١٢٠
١٢١
١٢٢
١٢٣
١٢٤
١٢٥
١٢٦
١٢٧
١٢٨
١٢٩
١٣٠
١٣١
١٣٢
١٣٣
١٣٤
١٣٥
١٣٦
١٣٧
١٣٨
١٣٩
١٤٠
١٤١
١٤٢
١٤٣
١٤٤
١٤٥
١٤٦
١٤٧
١٤٨
١٤٩
١٥٠
١٥١
١٥٢
١٥٣
١٥٤
١٥٥
١٥٦
١٥٧
١٥٨
١٥٩
١٦٠
١٦١
١٦٢
١٦٣
١٦٤
١٦٥
١٦٦
١٦٧
١٦٨
١٦٩
١٧٠
١٧١
١٧٢
١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٧٦
١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧
١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨
١٩٩
٢٠٠

۱۰۰

وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْخُذُ أَلْأَسْفَلَ سَافِلًا

وإحفظ الناس من أن يتخطوا الأمر بسوا خلقك عذرا

وعزّت النساء إلى الدراج وقالن مسيحي جميع النساء قطعنا

وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَبَرِ قَالُوا هَذَا الَّذِي قُلْنَا لَكُمْ بِهِ قُرْآنًا مُبَارَكًا ذِكْرًا

وكانت الكعبة منسقة في زادها لاسمها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

100

من

اياحيات الاديون الخريجه بايا خا رنه بزخام برعسله برعمر و بن
 عاتقنا كب اكمر هنرنا اما ذهنت الاديون وكانت لاراك عمر
 و دروي يحيى يسئول الله عي الله عليه وسلم دروي الي الخريجه
 حي درويون و قالت غايته رضي الله عكله و راعاهم في الخراج
 سطله و ما مخرجت بعاق حرب الاديون حرب هاتف و حرب
 عاتق ابي بعض حرب و اجس و حديد مكر و سلب سبي السويك
 بال ايو اطره البند و بني وكان زجلا من اهل البلم و العوي في
 كلام الغريب و حقتن المصنف فيه و راي الصر و اهلها بكلام
 عز في صهي بي انه حكلا و موجد خرج من سب و صا دني من
 الفا طرا حلا لا عمر بعد من نخرج الخواجه و لا اسرا و ناوله

- سلبها و ز به القدره ٥
 منار لنا اهل من ارب مومل الملك اذا ما اتكتا غير ييب
 و هل خير يوعا و دروند و كني و يحيى للعمير خصيب
 و اذ نه ساقني ز بها ماحوب مهور و عتود
 و جلمر و جلمر لسر البر و مهر ملا مطون مسما و مشوب
 و هل لاداعا و الستت هل من شهور و وقت صبح اوله و في در
 حس في لم سطل الملك صا به عاتق الجاد لنا و قلوب

ما اني قلله لودي الهوي الا المظي تشد بالاك و ان
 و عسات ما في عدو و ما في حصر المهراس و الا هها و
 هذا نال اكس لنا و عاتق مار و قست عدو فاولا عدو لاولا
 لما طاولا و اما نال اكس هذا معني لاد تشيا ٥

و ما رسا صدا الجير يد عليهم و كما طلي الاحوه بقتار
 و نفوز كل على من رجنا سلس الماد معاد الكتران
 في مسيري لرمع عدو و ما و بعد من سبي سيات
 برز عس و الفذازي و سبي زني نال الفذازي يملوا ابريهم

و طار سو هير عذر و بعد زهر و لا اها ٥
 و انز به سر و نقتل ملك كلاب الس دي لا سزار
 حي سب ملك سب سياتر حمرلا و فارس ابا حكار
 حلي من و كان من فارس ابر و عاتقهم و هو الذي يغير لغيره قتال

- ههذه القصة بعد ان قتل ٥
 و لحن لامي حلي من و يحيى و الذي يحيى و حمر
 و ابو حكار ملك و حكار السمي يحيى و يحيى غارة و و راي حار
 و يحيى سب عطفان و سوس سب سب سب نال
 عبرا الله و دان حمر و كانت حمر ابر و عس سب حمر

(مقدمة كتاب التعازى)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد .

الحمد لله الحى القيوم ، خالق العلماء والعلوم ، وملهم المثور والمنظوم ، وصلواته على سيدنا محمد الأمين المعصوم ، وعلى آله وأصحابه ذوى النجدة والعلوم ما طلعت النجوم ، وسلم تسليمًا إلى يوم الوقت المعلوم .^(١)

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي^(٢) النحوى المعروف بالمبرد^(٣) رحمه الله تعالى :

دعانا إلى تأليف هذا الكتاب اجتلاب^(٤) محاسن من تكلم فى أسباب الموت من المواعظ والتعازى والمراثى على قدر ما يحضر ؛ فإننا ابتدأناه من غير تخلوة يفكر^(٥) ولا تميز وكتب^(٦) ، وإنما اقتضيناه اقتضابا^(٧) ثقة بالله وتوكلاً عليه ، مصابنا برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه ، وهو أبو إسحاق القاضى إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن حماد بن زيد بن درهم^(٨) .

وإنما نسبناه التماسا للتنويه بذكر^(٩) سلفه الصالحين ؛ ولقد كان رحمه الله فى كل

(١) هذه افتتاحية نسخة المغرب ، وهى الأصل لنا ، ورمزنا لها بالحرف (م) ونسخة الاسكوريال رمزنا لها بالحرف (ل) وافتتاحيتها مايتقى :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين : الحمد لله () يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، الذى كد () الفناء ، واستأثر بالبقاء ، وصلّى الله على محمد عبده ورسوله وعد () كد الأخيار وسلم كثيرا .

(ما بين الأقواس يياض فى المخطوطة) .

(٢) الأزدي . ليست فى ل . (٣) المعروف بالمبرد : زيادة من ل .

(٤) ل : واجتلاب بزيادة الواو . (٥) ل : مفكر

(٦) ل : لكتب . (٧) اقتضابا : زيادة من ل .

(٨) هو الرجل الذى من أجله كتب المبرد كتابه ، وقد استوفينا الكتابة عنه فى المقدمة .

(٩) ل : للتنويه باسم سلفه

الأمور^(١٠) أنجع وأنفع ، ولو عُذَّ كاملٌ لاسقطه فيه لكان إياه ، ولكن الله جل ذكره جعل في المخلوقين النقص ، وجعلهم ضُعفاء ، وحكم بأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً ، (ولقد كانت أنصباؤه في ذلك القليل كالمحتوية)^(١١) على أكثره رحمة الله عليه مع ما جمع الله فيه من حكم عادل ، ورأى فاضل وأدب بارع ولب ناصع ، وتصرف في العلوم ، وحلم يُرى على الحلوم ، وفي الله تعالى خلف من كل هالك وعزاء من كل مصيبة . ورسول الله ﷺ الأسوة والقدوة ، وكل تَخَطَّبَ إذا ذكرت وفاته صغير ، وكل رزء حقيق ، عليه رحمة الله وبزكاته .

* * *

يروى عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - من وجوه ، سمعنا ذلك ،^(١٢) وبعضها يزيد على بعض ، أنه قال :

لما توفي رسول الله ﷺ تولى غسله العباس وعليّ والفضل ، فقال عليّ :
لم أراه يعتاد فاه في الموت ما كنت أراه في أفواه الموتى ، ثم لما فرغ عليّ من غسله ،
وأدرجه في أكفانه ، كشف الإزار عن وجهه ثم قال :

بأبي أنت وأمي طِبْتُ حَيًّا ، وَطِبْتُ مَيِّتًا ، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد
من سواك من النبوة والإنباء ، خَصِمْتُ حَتَّى صِرْتُ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَمْتُ
حَتَّى صَارَتْ الْمَصِيبَةُ فِيكَ سِوَاءَ . ولولا أنك أمرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع
لأنفلنا عليك الشؤون ، ولكنَّ ما لا يَدْفَعُ كَمَدًا وَإِذْبَارًا مُحَالَفَانِ (وهما داء الأجل ،
وَقَلًّا لَكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي)^(١٣) أَذْكَرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، واجعلنا من همك .

قال :

(١٠) ل : ولقد كان رحمة الله عليه في أكثر الأمور .

(١١) (ولقد كانت ... كالمحتوية) بياض في ل .

(١٢) سمعنا ذلك : زيادة من ل .

(١٣) ما بين القوسين بياض في ل .

ثم نظر إلى قُدَّاةٍ في عينه فَلَقَطَهَا بلسانه ، ثم رَدَّ الإزار على وجهه .

وقال ﷺ : « تَعَزَّوْا عَنْ مَوَالِكُمْ بِي » (١٤)

وهذا كلام تلقاه عنه المؤمنون ، ثم أدوه إلى مَنْ بعدهم من إخوانهم المؤمنين ، واحتذى هذا المثل بقينا وإيماننا جماعة كلهم سلكه فاهتدى ، ووصفه فأحسن : فمنهم عبدالله بن أراكة الثقفي فإنه أصيب بابن له ، فأسرف أخوه عبد الله (١٥) بن عبد الله

في البكاء فوعظه (أبوه) (١٦) وعزاه فقال : (الطويل)

وَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ إِذَا جَدُّ بَاكِيًا تَعَزَّ وَمَاءُ الْعَيْنِ مَتَهِمِلٌ يَجْرِي
لَعَمْرِي لَنْ أَبْعَثَ غَيْبِكَ مَا مَعْنَى بِهِ الدُّهْرُ أَوْ سَاقِ الْجِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ
لَتَسْتَفِيدَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتُ تَغْرِيبُهُنَّ مِنْ فَيْجِ الْبَحْرِ
تَأْمُلُ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدُّ هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَأَجْهَدُ بُكَاءَكَ عَلَى غَمْرٍ
وَلَأَكْبِكَ مَتَا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ عَلَى وَعَبَّاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

(١٤) أورد المبرد هذا الحديث في الكامل ص : ١٢٥٢ بلفظ (تعزوا عن موالیکم بی) ولم نعر على الحديث بلفظه في كتب الحديث .

(١٥) عبد الله بن عبد الله : زيادة من ل .

(١٦) (أبوه) زيادة منا للتوضيح . فوعظه أخوه كما في م لا يستقيم المعنى وهو مخالف لما في :

ل وفي التعازي للمدائني ص ٢٥ والكامل : ١١٩٤ ، والفاضل : ٦٥ وروى في التعازي ص ٢٥ ، ٢٦ قال :

كان عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عاملاً لعلی رضوان الله عليه على اليمن ، فخرج إلى علی واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي ، فقدم عليه بُسر بن أبي أرتاة - أحد قواد معاوية - إذ سُرَّحه معاوية فقتل عمرو بن أراكة فخرج عليه أخوه عبد الله فقال أبو أراكة هذه الأبيات وزاد عليها :

لعمري لقد أردى ابن أرتاة فارساً بصنعاء كالليث المزيه ألى الأجر
وسوف يذكر المبرد هذه الأبيات في كتابه هذا أكثر من مرة .

حاشية : حينما نلصق كلمة (التعازي) بدون نسبة نريد التعازي للمدائني .

باب من التعازى

وهى ^(١) من أكثر ما تكلم فيه الناس ؛ لأنه لم يَمَرَّ أحدٌ من مصيبة بحميم ، ذلك قضاء الله على خلقه ، فكلُّ تكلم إما متعزياً أو معزياً ^(٢) ، وإما متصبراً محتسباً .
قال أبو الحسن المدائنى ^(٣) :

كانت العرب فى الجاهلية - وهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً - يتحاضون على الصبر ، ويعرفون فضله ، ويُعيرون بالجزع أهله ، إيثاراً للحزم ، وتزيئاً بالحلم ، وطلباً للمروءة ، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء ؛ حتى إن كان الرجل منهم ليفقد حميمه فلا يُعرَفُ ذلك فيه ، يُصدِّق ذلك ما جاء فى أشعارهم ، وتُنثى ^(٤) من أخبارهم .

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ^(٥) فى مَرثِيَةِ أخاه عبد الله :
(الطويل)
قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مَعَ الْيَوْمِ أَذْبَارَ الْأَحَادِيثِ فِى غَدٍ
صَبَاً مَا صَبَا حَتَّى إِذَا شَابَ رَأْسُهُ وَأُخِذَتْ جِلْمًا قَالُ لِلْبَاطِلِ : ائْبِدْ ^(٦)

(١) ل : وهو أكثر (٢) ل : فكل ما تكلم إما متعزياً وإما معزياً .

(٣) المدائنى : هو على بن محمد بن عبد الله ، عرى الأصل ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ هـ وقضى فترة فى المدائن وإليها نسب ، ثم أقام ببغداد ، وكان أكثر روايته وأخباره عن الإسلام والمسلمين . وهو أول من ألف كتاباً متكاملًا فى التعازى . نقل المبرد كثيراً مما جاء فيه ورواه عنه . له كتب كثيرة توفى سنة ٢٢٨ هـ . (انظر المقدمة فى كتابه التعازى ، ومعجم الأدباء : ٦ - ٢٤) .

- وقول المدائنى الذى رواه المبرد فى كتاب التعازى : ص ٧٥ .

(٤) ننا : بالألف من قولهم : ننا الحديث نثواً : به . ونثاوا الأخبار والأحاديث : أشاعوها . (المعجم الوسيط : ٢ - ٩٠٨) .

(٥) هو أحد بنى جشم بن معاوية بن بكر من هوزان ، شاعرٌ فارسٌ فحل ، اشتهر بغزواته أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتل على شركه سنة ٨ هـ ، الحماسة لأبى تمام : ج ١ ص ٣٣٦ .

(٦) البيتان من قصيدة يرثى بها دريد أخاه وقد قتله رجل من بنى غطفان فى (منعرج اللوى) وقد نصحه دريد بالكف عن مهاجمة بنى غطفان ، لكنه لم يستجب له ، فكانت نهايته القتل . ومطلع القصيدة كما سيأتى :

أُرِثُ جَدِيدُ الْجَبَلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بِعَاقِبَةٍ وَأُخْلِفْتُ كُلَّ مُؤَعِدٍ

(انظر الحماسة لأبى تمام بشرح التبريزى : ١ - ٣٣٦ - ٣٤٠)

قال أبو عبيدة^(٧) :

كان يونس بن حبيب^(٨) يقول : هذا أشعر ما قيل في هذا الباب^(٩) .

وقال أبو خراش الهذلي^(١٠) :

تَقُولُ أَرَأَهُ بَعْدَ غُرُورَةٍ لَاهِيَا وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تُخْسِي أَلَى قَنَاسَتِ عَهْدِهِ وَلَكِنَّ صَبْرِي بِأَمْنِمَ جَمِيلُ^(١١)

وقال أبو ذؤيب^(١٢) :

وَأَلَى صَبْرَثِ النَّفْسِ بَعْدَ ابْنِ غَنْبَرٍ وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ لَجُوجُ
لَاخَسَبَ جَلْدًا أَوْ لَيْبَأُ شَامِثٍ وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ^(١٣)

وقال أوس بن حجر^(١٤) :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلُ جَرَعَا إِنَّ الَّذِي تُخَذِرِينَ قَدْ وَقَعَا^(١٥)

(٧) هو معمر بن المنثى ولد سنة ١١٠ هـ وكان إمام اللغويين بالبصرة أديبا عارفا بأنساب العرب وأيامهم توفي سنة ٢٠٩ هـ . من تصانيفه : معاني القرآن ، وأخبار قضاة البصرة وغيرهما . معجم المؤلفين : ١٣ - ٣٤٧ .

(٨) أبو عبد الرحمن ولد سنة ٩٠ هـ . كان إمام النحويين بالبصرة أديبا عالما بالشعر ، تعلم على يديه خلق كثير . توفي سنة ١٨٢ هـ . من كتبه : النوادر ، والأمثال ومعاني الشعر وغيرهم معجم المؤلفين : ١٣ - ٤٧ .

(٩) في هذا الباب : زيادة من ل .

(١٠) هو أبو خراش الهذلي شاعر مخضرم أدرك الإسلام ، ومات في زمن عمر بن الخطاب ، وقد شارك في الغزوات مع المسلمين . (انظر ديوان الهذليين القسم ٣ ص ١١٦) .

(١١) القسم الثالث من ديوان الهذليين ص ١٦٦ - وهذان البيتان وما بعدهما إلى فسلم الحسين ممسوح في ل .

(١٢) خويلد بن خالد الهذلي شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وسكن المدينة ، واشترك في الغزو والفتوح توفي سنة ٢٧ هـ . له ديوان شعر : معجم المؤلفين : ٤ - ١٣١ .

(١٣) ديوان الهذليين القسم الأول : ٦١ .

(١٤) هو أبو شريح أوس بن حجر بن مالك التميمي شاعر جاهلي كثير الأسفار ، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة مات سنة ٢ ، قبل الهجرة ، وعمره حوالي السبعين . معجم المؤلفين : ٢٦ - ٣ .

(١٥) ديوان أوس بن حجر : ٥٣ .

وقال أبو ذؤيب :
وتَجَلَّدِي لِلشَّامَتَيْنِ أَرِيمُ أَيْ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُ^(١٦)

والشيء يُذكر بالشيء : يروى أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام دخل على معاوية وهو في علة غليظة^(١٧) فقال معاوية :

أَسْنِدُونِي ،^(١٨) ثم تمثل بهذا البيت :
وتَجَلَّدِي لِلشَّامَتَيْنِ أَرِيمُ أَيْ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُ^(١٩)
فسلم الحسين عليه السلام . ثم تمثل :

وَإِذَا النِّمَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ قِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٢٠)
(فاستظرف الجواب كون البيت من قصيدة واحدة)^(٢١) .

وقال عمرو بن معدى كرب :^(٢٢)
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ يَدَيَّ لَخَدَا
مَا إِنْ هَلَكْتُ لِفَقْدِهِ لَيْسَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ زُنْدَا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَلَقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا^(٢٣)

وقال حارثة بن بدر الغداني^(٢٤)
(البسيط)

(١٦) ديوان الهذليين القسم الأول : ٣ .

(١٧) ل : علة له غليظة .

(١٨) لى : ساندوني .

(١٩) ما بين القوسين من : وأنى صبرت النفس ... إلى : أتضعع (يياض في : ل .

(٢٠) هذا البيت في ديوان الهذليين القسم الأول : ٣ .

(٢١) ما بين القوسين ليس موجوداً في ل .

(٢٢) هو شاعر زيد وفارسها المشهور ، أسلم في حياة الرسول ، ثم ارتد مع مرتدى اليمن ، ثم

عاد إلى الإسلام ، وشارك في الفتوحات ، مات في الطريق وكان يريد الرى في عهد عثمان وقد

جاوز المائة . التعازى : ٧٧ .

(٢٣) الأبيات في الحماسة : ١ - ٥٨ دون البيت الثاني

(٢٤) من شعراء تميم تابعي سكن البصرة ، له أخبار في الفتوحات مع عمر بن الخطاب ومع علي

ابن أبي طالب وزيد ابن أبيه حارب الخوارج فحاصروه وأجأوه إلى سفينة ففرقت به ومن معه .

(انظر التعازى : ٧٤ ، ٧٥)

الصَّبْرُ أَجْمَلُ وَاللَّيْمَةُ مُفْجَعَةٌ مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يُجْرَعْ مَرَّةً حَزَنًا؟ (٢٥)
وما جاء في هذا أكثر من أن يؤتى على غايته. (٢٦)

وتعزيتك الرجل تسليتك إياه . والعزاء هو السلو ، وحسن الصبر على المصائب ،
وخير من المصيبة العوض منها والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره تَنْجُزًا لما وَعَدَ من
حسن الثواب ، وجعل للصابرين من الصلاة عليهم والرحمة ؛ فإنه تبارك وتعالى يقول :
﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (٢٧)
وقال : ﴿ وبشر المحترمين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما
أصابهم ﴾ (٢٨)
وقال تبارك اسمه :

﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يَهْدِ قلبه ﴾ (٢٩)
يقول للاسترجاع خبر بذلك غير واحد من الفقهاء :

روى أبو الحسن عن الفضل بن تميم قال :
قيل للضحاك بن قيس (٣٠) : من قال عند المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
كان ممن أخذ بالتقوى ، وأدى الفرائض ؟
فقال :

نعم ! ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ (٣١)

(٢٥) البيت في التعازي ٧٥ .

(٢٦) الغابر : الماضي .

(٢٧) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ . (٢٨) الحج : ٣٤ . (٢٩) التغابن : ١١ .

(٣٠) الضحاك بن قيس أحد زعماء الخوارج ، استولى على الكوفة سنة ١٢٧ هـ وبايعه عبد الله
ابن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصليبا خلفه . قتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ هـ التعازي :

٣٠ .

(٣١) البقرة : ١٥٧ .

قال الأصمعي^(٣٢) عن بعض العلماء :
لَوْ وَكَّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لَلْجَزَعُ إِلَى الصَّبْرِ .
وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ^(٣٣) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْرَنَا عَلَى مَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُ ، وَأَثَابَنَا عَلَى مَا لَمْ نَكُنْ لَنَا غَيْرُهُ لَصَرْنَا فِيهِ
إِلَى مَعْصِيَتِهِ .

...

قال الأصمعي وأبو الحسن :
جَزَعُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى ابْنِهِ أَيُّوبَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقُرَاءِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ أَمْرًا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَظَنَّ أَنَّهُ يَمُوتُ مِنَ الْمَصَائِبِ فِيهَا لَعَلَّه لَعْنَةُ الرَّأْيِ
فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا تَسَلَّى بِهِ .^(٣٤)

...

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ :
عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ ، فَإِنَّ بِهِ يَأْخُذُ الْحَازِمُ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ الْجَائِزُ .^(٣٥)

...

وَرَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ :
دَخَلَ زِيَادُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ زِيَادٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ تَوَفَّى ابْنُهُ أَيُّوبُ ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ^(٣٦) كَانَ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ
فَلْيُؤَيِّطْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ .

(٣٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي أديب لغوي نحوي إخباري محدث فقيه أصولي
من أهل البصرة قدم بغداد أيام هارون الرشيد وتوفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ وقد جاوز التسعين .
وله مؤلفات كثيرة . معجم المؤلفين : ٦ : ١٨٧ وانظر تاريخ الأدب لفروخ : ٢ - ٢٠٥ .
(٣٣) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (٢١ - ١١٠ هـ) تابعي عرف بخطبه ووعظه ونسكه
وورعه وهو الفقيه العالم الفصيح الزاهد التقى رحمه الله تقرب التهذيب : ١ - ١٦٥
(٣٤) والخبر في التعازي : ٤٠ .

(٣٥) انظر الكامل : ٣ - ١١٧٤ في باب اختصار الخطب والتحميد والمواعظ .
(٣٦) عبد الرحمن بن أبي بكرة يُنْعَمُ بن الحارث الثقفي ثقة من الثانية مات سنة ٩٦ هـ . تقريب
التهذيب : ١ - ٤٧٤ والخبر في التعازي

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان عن الحسن :
الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية ، والصبر عند المصيبة ، فكم من مُنعم عليه
غير شاكر ، ومن مبتلى غير صابر .

* * *

قال : ومن أحسن التَّعْزِية إبلاغ في إيجاز . قال أبو الحسن : ومن أحسن ما سمعنا في
ذلك عن أبي الحكم الليثي عن شيبه بن نصاح^(٣٧) قال :
لما قبض رسول الله ﷺ صرخت أسماء^(٣٨) بِنْتُ عَمِيْنٍ فنادى مُنَادٍ من ناحية
البيت يسمعون حسنه ولا يرون شخصه :

السلام عليكم أهل البيت ، ورحمة الله وبركاته ، أغلى رسول الله تبكون أم على
رسول الله تصرخون ؟
فقلت أسماء :

ما على رسول الله ﷺ بكى ، ولا على رسول الله نصرخ ، ولكن على انقطاع
الوحي عنا .
قال :

ثم نادى الثانية : ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن
زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾^(٣٩)
إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل مرزئة ، ودركاً من كل فائت ،
وخلفاً من كل هالك ، فبالله فتقوا ، وإياه فارجوا ، المحبور من حبه الثواب ،
والخائب من أمن العقاب .^(٤٠)

(٣٧) شيبه بن نصاح القاريء المدني القاضي ثقة من الرابعة مات ١٣٠ هـ تقريب التهذيب :
٣٥٧ - ١ .

(٣٨) أسماء بنت عميس الخثعمية صحابية جليلة تزوجها أبو بكر الصديق بعد موت زوجها الأول
جعفر بن أبي طالب وبعد أبي بكر تزوجها على بن أبي طالب ومات بعد ابن أبي طالب سنة ٤٠ هـ
تقريب التهذيب : ٢ - ٥٨٦ .

(٣٩) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(٤٠) الخبر في التعازي : ١٤ . والمحبور : المسرور .

قال أبو الحسن عن الحسن بن دينار^(٤١) عن علي بن زيد^(٤٢) عن أنس بن مالك^(٤٣) أن رسول الله ﷺ وضع إبراهيم في حجره وهو يجود بنفسه ، فقال : (لو) لا أن الماضي فرط الباقي ، وأن الآخر لاحق بالأول (لحزنا عليك) يا إبراهيم . ثم دمعت عينه فقال :

« تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب وإنا بك (يا إبراهيم) لمحزونون » .^(٤٤)

قال أبو الحسن : أخبرنا عن مسلمة عن أبان^(٤٥) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« لأن أقدم قرطاً أحب إلي من أن أدع مائة مُستلثم »^(٤٦) .
وجاء عنه ﷺ أنه قال :

« من عَزَى مصاباً فله مثل أجره »^(٤٧) .

قال أبو الحسن عن بعض أصحابه قال :
عزى أبو بكر عمر على طفل له ، فقال :
﴿ عوضك الله منه ما عوضه منك ﴾

(٤١) أبو سعيد الحسن بن دينار البصري نسب إلى زوج أمه . واسم أبيه واصل . روى عن الحسن البصري وابن سيرين ، وروى عنه الثوري . لسان الميزان : ٢ - ٢٠٣ .

(٤٢) أبو الحسن علي بن زيد بن جدعان ، فقيه ضريير من أئمة الحديث توفي سنة ٣١ هـ . تقريب التهذيب ٢ - ٣٦ .

(٤٣) أنس بن مالك الخزرجي الأنصاري يكنى أبا حمزة أحد الصحابة الأجلاء وخادم من الرسول توفي سنة ٩٢ هـ تقريب التهذيب : ١ - ١١ .

(٤٤) ما بين القوسين من : (حدث نفسه بالبقاء .. إلى وإنابك لمحزونون) بياض في : ل . والخبر في التعازي : ١٤ ، ١٥ .

(٤٥) هو أبان بن عباس فيروز البصري أو إسماعيل العبدى متروك من الخامسة مات في حدود الأربعين . تقريب التهذيب ١ - ٣٠ ، التعازي ص ١٤ .

(٤٦) تحاف السادة المتقين : ١٠ - ٣٥٩ . الأئمة : الدرر وفي هامش م (أى حامل لأمة : وهي الدرر) .

(٤٧) الترغيب : ٤ - ٣٤٤ .

تفسير هذا أنه يقال : إن الطفل يُعوّضُ من أبويه الجنة .
قال أبو الحسن عن أبي بكر عن أبي المليح قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله
جل ذكره : إذا أخذت صفى عبدي فصبر لم أرض له ثوابا دون الجنة » (٤٨)



باب من الشعر

مراثى الجاهلية المشهورة المستحسنة والمستجادة المقدمة معلومة موسومة منها قصيدة
متمم بن نورة^(١) في أخيه مالك على إن سائر أشعاره غير مذموم ، وإن تقدمتهن العينية
التي أولها :

لَعَمْرِي وَمَا ذَهَبِي بِتَأْيِينِ هَالِكِ
وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعًا^(٢)
ومنها قصيدة ذُرَيْد في أخيه عبد الله التي أولها :

أَرَأَيْتَ جَدِيدَ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ
بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ^(٣)
ومنها قصيدة كَعْب بن سعد الغنوي^(٤) يروى فيها أخاه التي أولها :

تَقُولُ سَلِيمِي مَا لِحَسَمِكَ شَاجِبًا
كَأَنَّكَ يَخْمِيكَ الشَّرَابُ طَبِيبُ^(٥)
ومنها قصيدة أَعْشَى باهلة أبى قُحَافَة^(٦) وهي التي أولها :

(١) أبو نهشل متمم بن نورة شاعر مخضرم صحابي حسن إسلامه ، واشتهر بمرثيته لأخيه مالك
وكان خالد بن الوليد أمر بقتله لأسباب في زمن الردة ما تزال مظنه حَذَر وتَحْمِين . توفي حوالي
سنة ٣٠ هـ . ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١ - ٣٣٠ ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ :
١ - ٣٠١ .

(٢) وهو مطلع القصيدة في المفضليات : ٩٤٨ .

(٣) مطلع قصيدة ذُرَيْد التي أشرنا إليه من قبل .

(٤) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي من بني غَنِي (- نحو ١٠ ق . هـ) شاعر جاهلي حلو
الديباجة . أشهر شعره بآتيته هذه التي قالها في رثاء أخ له مات في حرب ذي قار . الأعلام
٦ - ٨٢ .

(٥) الأملالي : ٢ - ١٤٧ .

(٦) أَعْشَى باهلة عامر بن الحارث من أعلام الجاهلية ، أشهر شعره رأيته التي رثى بها أخاه المنتشر
ابن وهب . انظر نشوة الطرب . ٥٨٤ والكامل : ١٢٢٨ ، ١٢٢٩

إلى النبی لسان لا أسرهما من غلو لا عجب منها ولا سحر^(٧)

ومرائي الخنساء ، ومرائي ليل الأخيلية ، وسندكر من ذلك طرفاً وبين مرائي أوس
ابن حجر في فضالة بن كلثة الأسدي ، ومن مرائي لبيد في أخيه أربد ، وعدى المهلهل
فيمر بكاه من قومه - اختيارات بارعة - ، وثبتة على ما فيها ، ولم^(٨) انخيرت ؟ ثم
نحط إلى شعر الإسلام من قديم ومحدث ، وما بينهما^(٩) إن شاء الله . ونفصيل ذلك
بالمواعظ - كلاماً وشعراً - والتمازي على ما يحضر ، وتوفق له إن شاء الله .

...

فكما اخترناه من قصيدة متمم ، وكان الذي تولى قتل أخيه بأمر خالد بن الوليد
ابن المغيرة^(١٠) ضرار بن الأزور الأسدي^(١١) وحدثنا التوزي^(١٢) في إسناد أن ضراراً هذا
أتى رسول الله ﷺ يسلم فقبل وقال :

تَرَكْتُ الْغَمُوزَ وَضَرَبْتُ الْقِلْدَا ح وَاللَّهِوْ تَصْلِيَةً وَإِيْهَالَا
وَكَرَى الْمُجَنَّبَ فِي غَمْرَةٍ وَخَلَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْقِتْلَا
فَبَارَبْ لَا أَغْتَنِي صَنْقِيصِي فَقَدْ بَغَتْ أَهْلِي وَمَالِي بِدَالَا^(١٣)

(٧) الكامل للمبرد : ١٢٢٩ والأمال : ٢ - ١٤٨ . ونشوة الطرب : ٢ - ٥٨٥ .

(٨) ل : ولن . (٩) م : وما فيها .

(١٠) خالد بن الوليد المغيرة الخزومي ، سيف الله القائد الإسلامي المعروف بهجرته وفروحاته وتقدير
النبي ﷺ له والخلفاء ، الخزومي القرشي ، من أشرف القبائل في الجاهلية . كنيته أبو سليمان ،
أسلم بين الحديبية ، والفتح ، أمر على قتال أهل الردة فانتصر عليهم . توفى سنة : ٢١ هـ . تقريب
التهديب : ١ - ١٩ .

(١١) شاعر مطبوع أسلم وحسن إسلامه ، حضر الرموك والجماعة وفتح الشام ، وحارب المرتدين
توفى سنة ١١ هـ الأعلام : ٣ - ٣١١ .

(١٢) شيخ المبرد أبو محمد التوزي الرلوي الكبير والعالم اللغوي عبد الله بن محمد بن هارون ولد
بخرز من بلاد فارس ، أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد . توفى سنة ٢٣٨ هـ : معجم
المؤلفين : ٦ - ١٤٣ .

(١٣) المقدم الفريد : ٥ - ٢٦٧ .

فقال رسول الله ﷺ :

« مَا غُبِثَ صَفَقَتُكَ يَا ضِرَارَ » .

ثم نرجع إلى اختيارنا من العينية ، ففيها من حُرِّ الكلام ، وصادق المدح قَوْلُهُ :

[الطويل]

لَهُمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا
عَلَى الْفَرَثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يُتَمَرَّعَا

إِذَا اتَّخَذَ الْقَوْمُ الْفِدَاحَ وَأَوْقَدَتْ
بِمَشَى الْأَيَادِي ثُمَّ لَمْ تُلَفِ مَالِكَا

وقوله :

مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ تَتَصَدَّعَا
أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطٌ كَسَرَى وَتُبَّعَا
لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ يَثِثْ لَيْلَةٌ مَعَا

وَكُنَّا كَلْدَمَانِي | جُلْدَمَةً | حَقَّةً
وَعِشْنَا بَخِيرَ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا
فَلَمَّا تَفَرَّقَا كَأَنِّي وَمَالِكَا

وفيهما مما يختار :

وَعَيْثُ يَسُحُّ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيْعَا^(١٤)
ذَهَابُ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا^(١٥)
تُرْشُحُ وَنَسِيْمًا مِنَ التَّبَتِ خِرْوَعَا^(١٦)
وَأَضْحَى ثُرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقْعَا^(١٧)
رَأَيْنَ مَجْرًا مِنْ فَصِيلٍ وَمَصْرَعَا^(١٨)
إِذَا حَتَّ الْأَوَّلَى سَجَفْنَ لَهَا مَعَا
وَنَادَى بِهِ الثَّاعِي السَّمِيعُ فَأَسْمَعَا^(١٩)

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ
وَأَثَرَ بَطْنِ الْوَادِيْنِ بِدِيْمَةٍ
تَحِيْتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
فَمَا وَجَدَ أَظَارَ ثَلَاثِ رَوَائِمِ
يُذَكِّرُنْ ذَا الْوَجْدِ الْقَدِيمِ بِوَجْدِهِ
بِأَوْجَعَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَا

(١٤) السنا : ضوء البرق . الرباب : السحاب . التريع : التردد .

(١٥) الذهاب : جمع ذهبية وهي السحابة الغزيرة . الغوادي : التي تغدو بالمطر . المدجنات : التي تأتي باللدجن وهو تقطية السماء بالسحاب . وأمرع : أخصب .

(١٦) زيد هذا البيت من ل . ترشح : تنمى . الوسمى : أول النبات . الخروع : اللين من كل شيء .

(١٧) م : يحينه . (١٨) الأظار : جمع ظئر ، وهي العاطفة على غير ولدها . الروائم : التي ترأم

الرضيع أى تعطف عليه . (١٩) ل : بأوجد . والقصيدة في الكامل : ٣ - ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ .

يريد بالسميع : المسمع :

وما يستحسن من شعره فيه : [الطويل]

كُهُولٌ ، وَمُرْدٌ مِنْ بَنِي عَمِّ مَالِكٍ وَأَيْفَاعُ صِدْقٍ لَوْ تَمَلَّيْتَهُمْ رَضَى
سَقُوا بِالْمَقَارِ الصَّرَفِ حَتَّى تَتَابَعُوا كَذَابِ ثُمُودٍ إِذْ رَغَا سَعْبُهُمْ ضَحَى^(٢٠)
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى لِعَظِيمَةٍ؟ فَمَا كُلُّهُمْ يُعْنَى وَلَكِنَّهُ الْقَتَى

وهذا يشبه قول طرفة : [الطويل]

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى ؟ خِلْتُ أَنَّنِي
عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ^(٢١)

وفي ذلك قوله في أخرى :

وَكُلُّ قَتَى فِي النَّاسِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ كَسَاقِطَةٍ إِخْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَبْلِ^(٢٢)
وَيَنْصُ الرُّجَالُ نَحْلَةً لِأَجْنَى لَهَا وَلَا ظِلٌّ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ مِنَ الشَّخْلِ^(٢٣)

وهذا^(٢٤) جيد الكلام لصحة معناه ، ولأنه وافق حقاً . قال رسول الله ﷺ :
« النَّاسُ كَأَيْلِ مَائَةٍ ، لَا تَكَادُ تَرَى فِيهَا رَاحِلَةً »^(٢٥) و (قد قال) الآخر لشجرات

ضرب بين مثلاً : [الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظِلٌّ وَلَا (جَنَى) فَأَبْعَدُكُنَّ اللَّهُ مِنْ شَجَرَاتِ^(٢٦)

والرجل الذي أنشأنا هذا الكتاب بسببه ومن أجله ووفاته^(٢٧) رحمة الله عليه
نأمن أن يلحق وصفنا إياه تزيُّدٌ أو تكلف ، لإجماع العامة فيه على قول الخاصة ،

(٢٠) الشطرة الأولى ليست في ل . رغا البعير : صاح بصوت مرتفع .

(٢١) الأبيات السابقة وبيت طرفة في الكامل : ٣ - ١٢٤٣ .

(٢٢) الخبل : قطع اليد أو الرجل . وفي م : الحبل بالحاء المهملة - في الذراع عرق ينقاد من الرسغ حتى يتغمس في المنكب .

(٢٣) من خمسة أبيات في الكامل : ١٢٤٣ .

(٢٤) ل : وهذا من جيد . (٢٥) فتح الباري : ١١ - ٣٤١ وفي أوله تجدون ...

(٢٦) سمط اللآلئ : ٩٣٤ .

(٢٧) ل : والرجل - رحمه الله - الذي أنشأنا هذا الكتاب بسببه ، ومن أجل وفاته نأمن .

وكانه شيء وقع إلها ، وكان مادحه يستجلى^(٢٨) مدحه من قول القائل : [الكامل]
 جَلْتُ مُصِيبَتَهُ فَصَمْتُ مُصَابَتَهُ فَالْتَأَسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
 وَالنَّاسُ مَا تَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَلَّةٌ وَزَفِيرُ
 نَجْوَى عَلَيْكَ دُمُوعٌ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لَأَكْلِكَ بِالشَّاءِ جَدِيرُ^(٢٩)
 ويشاكل هذا المعنى قول عُمارة بن عَقِيل^(٣٠) لخالد بن يزيد بن يزيد .^(٣١)

[الطويل]

أَرَى النَّاسَ طُرًا حَامِدِينَ لَخَالِدٍ وَمَا كُلُّهُمْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ صَنَائِعُهُ
 (قال : النصب لي (كلهم) أحب إلي ، والرفع جيد) .
 وَلَنْ يَتْرَكَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَحْمَدُوا الْفَتَى إِذَا كَرُمَتْ أَغْرَاقُهُ وَطَبَائِعُهُ
 فَتَى امْعَثْ ضَرَاؤُهُ فِي عَدُوِّهِ وَخَصْصَتْ وَغَمَّتْ فِي الصَّدِيقِ مَنَافِعُهُ^(٣٢)

وإن سلم أحد من أن يكون له عَدُوٌّ فإسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله عليه ،
 ذلك الرجل . ولكن من سلم من أن يُعَادَى لجنابة فغير سالم من حاسد باغ .

^(٣٣) قال : حدثني الرياشي قال^(٣٣) : حدثني محمد بن عبد الله الأنصاري في إسناده قال :
 صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ صَلَاةَ الصُّبْحِ يَوْمًا ، فَلَمَّا انْقَلَبَ قَامَ مُتَمِّمٌ بِنُتُورَةٍ فِي مَوْخَرِ

(٢٨) ل : يستمل . (٢٩) اختلف في نسبة هذه الأبيات فقليل أنها لرجل من خزاعة ، وقيل إنها
 لكثير يروى بها عمر بن عبد العزيز . ونسبت إلى التيمي ونسبها البعض إلى مسلم بن الوليد .
 (٣٠) ابن بلال بن جرير بن عطية سكن البصرة وكان يزور الخلفاء العباسيين ويمدحهم توفي سنة
 ١٨٢ هـ .

(٣١) أحد أمراء العباسيين المشتهرين بالجود توفي سنة : ٢٣٠ . (انظر الفاضل للمبرد ص ٦٢) .
 (٣٢) انظر الكامل : ١١٩٧ .

(٣٣) العباس بن الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي البصري أبو الفضل نحوي ، لغوي ، راوية
 للشعر عالم بأيام العرب والسير أخذ عن الأصمعي ، وقرأ على المازني النحو واللغة وأخذ عنه المبرد
 وقتله الزنج بالبصرة : من تصانيفه : كتاب الخيل ، وكتاب الإبل وكتاب ما اختلفت أسماءه من
 كلام العرب ، وله شعر توفي سنة ٢٥٧ هـ عن عمر ٨٠ سنة . معجم المؤلفين : ٥ - ٦٢ .

الناس^(٣٤) ، وكان رجلاً أعور دميماً ، فاتكأ على قوسه ثم قال : [الكامل]
نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَحَتْ خَلْفَ الثُّيُوتِ قَتَلَتْ يَا بَنَى الْأَزْوَري^(٣٥)
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَدَزْنَاهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِدِمَّةٍ لَمْ يَهْدِرِ

وأوماً إلى أبى بكر ، فقال أبو بكر :

والله ما دعوته ، ولا غدرت به ، ثم بكى متمم ، وانخرطت دمعته على سبيته
قوسه^(٣٦) حتى دمت عينه العوراء ، ثم أتم شعره فقال :

لَا يُمْسِكُ الْعَوْرَاءُ نَحْتِ ثِيَابِهِ حُلُوْ شَمَائِلُهُ غَفِيفُ الْمِزْرِ
وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدُّزَعِ كُنْتُ وَحَاسِرَا وَلَنِعَمَ مَا وَى الطَّارِقِ الْمُتَوَرِّ

فقام إليه عمر فقال :

لَوِدِدْتُ أَنَّكَ رَكِيتَ أَخِي بِمَثَلِ مَا رَكِيتَ بِهِ أَخَاكَ .

فقال له :

يا أبا حفص ، لو أعلم أن أخى صار إلى ما صار إليه أخاك^(٣٧) ما رثيته ! .
يقول : إن أخاك قتل شهيداً^(٣٨) .

فقال عمر :

ما عزانى أحد عن أخى بمثل تعزيتك^(٣٩) .

وفي حديث آخر : أنه رثى زيد بن الخطاب فلم يُجِدْ ، فقال له عمر : لم أرك

(٣٤) ل : آخر الناس .

(٣٥) ابن الأزور هو ضرار الذى قتل مالك بن نويرة .

(٣٦) ل : ثم اتكأ متمم على سية قوسه .

(٣٧) ل : أخوك . وكتب فى هامش م : وجه الألف [فى أخاك] على لغة من قصر الأسماء الخمسة
وإلا فالوجه الواو .

(٣٨) وكان زيد بن الخطاب أخا عمر قد قتل باليمامة .

(٣٩) ل : ما عزانى أحد بمثل تعزيتك . والخبر والشعر الكامل : ١٢٤٢ .

رثيت زيّدًا كما رثيت أخاك مالكا ، فقال : إنه والله يحركنى لمالك مالا يحركنى لزيّد^(٤٠) .

وقال له عمر يوما :

إنك لَجَزَلٌ ، فأين كان أخوك منك ؟

فقال :

كان - والله - أخى فى الليلة ذات الأزيز والأصوات^(٤١) والصُّرَاد ، يركب الجَمَلَ الثَّقَالَ بين المَرَاتَيْنِ الْمُتَلَوَتَيْنِ^(٤٢) ، وَيَجْتَنِبُ الفَرَسَ الجُرُورَ ، وعليه الشُّمْلَةُ الفُلُوت ، وفى يده الرمح الثقيل حتى يصبح مُتَهَلِّلًا^(٤٣) .

ولقد أُسِرْتُ مرة فى بعض أحياء العرب ، فمكثتُ فيهم سنة أحدثهم وأغنيهم ، فما أطلقونى ، فلما كان بعدُ ، وقف عليهم مالك فى شهر من الأشهر الحرم فحدثهم ساعة ، ثم استوهبني منهم وهم لا يعرفونه ، فوهبوني له ، فعلمت أن ساعة من (مالك أكثر من حول منى)^(٤٤) .

قال : وأما مريثة دريد بن الصمة فكان الأصمعى يقدمها جدًا ، وهى أهل لذلك . وكان سبب هذه المريثة أن أخاه عبد الله بن الصمة أحد بنى جشم بن بكر بن هوازن غزا قبائل غطفان بن سعد بن قيس بن مرّة ، وفزارة وأشجع وعيس بن بغيض . فاكسح أموالهم وانصرف ، فلم يجاوز بعيدًا حتى أناخ ، وأمر بالإبل تُنَحَّر ، فقال له أخوه دريد :

يا أبا فرعان^(٤٥) ، إن غطفان غير نائمة عن أموالها ، فتقدم شيئًا ثم أُنِخْ فقال :

(٤٠) الخبر فى الكامل : ١٢٤٣ .

(٤١) والأصوات ليست فى ل . (٤٢) المتلوتين من ل .

(٤٣) الأزيز : البرد . والصُّرَاد : ريح باردة مع الندى . الجمل الثقال : البطيء . الفرس الجرور : أى الذى لا يكاد ينقاد مع من يجنبه وإنما يجبر الحبل . الشملة الفلوت : أى التى لا تكاد تثبت على لابسها .

(٤٤) ما بين القوسين ليس فى ل . والخبر فى الكامل : ١٢٤٤ .

(٤٥) كناية لعبد الله .

والله لا أريُّم حتى آخذ مرباعي^(٤٦) ، وانتقع نقيعتي ، فأمر بالإبل فنحرت ، وأجلسوا ريشاتهم^(٤٧) ، فلما سطعت الدواخن ، قال (له الريقة : إني أرى غيرة قد)^(٤٨) ارتفعت أكثر من هذه الدواخن .

قالوا :

فتأمل ماذا ترى .

قال :

أرى قوما على خيلهم كأنهم الصبيان .

قالوا :

هذه فزارة لا بأس ، تأمل فنظر فقال .

أرى قوما كأنهم غمسوا في الجأب^(٤٩) .

فقالوا :

تلك أشجع ولا بأس ، تأمل .

قال :

أرى قوما كأنما يتقلعون من صخر ، يقلعون دوابهم بيوادمهم .

قالوا :

تلك عبس والموت .

فلم ينشبوا أن التقى القوم فاقتتلوا شيئا ، ثم نادى مناد :

أردي - والله - فارس هو أبو فرعان .

فأقبل دريد فإذا به (صريعا ، وأصاب دريدا جراحات)^(٥٠) . وله خبر في ذلك

اليوم ليس من هذا . ففى ذلك يقول في كلمته هذه . [الطويل]

(٤٦) المرباع : أى ربع وهو نصيب الرئيس فى الجاهلية . والنقيعة : ما نحر من النهب قبل أن يقتسم .

(٤٧) الريشات : الحراس والذين يأتونهم بأخبار العدو .

(٤٨) ما بين القوسين : (له ... قد) من ل .

(٤٩) الجأب : المغرة : طين احمر يصيغ به : الرسالة .

(٥٠) ما بين القوسين يياض فى : ل .

وَقُلْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
فَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوْتُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفَى مَقَاتِلِ
فَقَادُوا وَقَالُوا: أُرَدَّتِ الْخَيْلُ فَارِسًا

فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَكُمْ الرَّدَى؟

فَجِئْتُ كَأُمِّ ابْنِ رِبْعَةٍ فَأَقْبَلْتُ
فَمَا رَاغِبِي إِلَّا الرِّمَاحُ تَنَوَّشُهُ
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ حَلَى مَكَانَهُ
كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نَعْفَ سَاقِهِ
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ
وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ

وأشعار الجاهلية مشهورة معروفة ، وإنما نلينا منها العيون . ألا ترى إلى قوله : (قليل التشكى للمصيبات) ، ثم وصله بقوله (حافظ مع اليوم أديار الأحاديث في غد) كيف قرّن فيه معنى ظريفاً بآخر مثله في الظرافة التي لا يمتنع اللبيب من قبولها واستحسناتها والمعرفة بحقيقة ما فيها كما قلنا في الذى قبله .

(٥١) الشطر الثانى من ل وفي م : غوايتهم والرشد غير مهتد .

(٥٢) البو : ولد الناقة يذبح ويخشى جلده تبناً أو حشيشاً لتعطف عليه وترأه فتدّر عليه اللبن . والجذم : جمع جذمه وهى القطعة . والسقب : ولد الناقة .

(٥٣) الصياصى : جمع صيصية . وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . يريد أن أخاه دعاه والرماح تتناولها ولها وقع كوقع صياصى الحاكّة فى ثوب ينسج .

(٥٤) الكميش : يقال رجل كميش الأزار : مُشَمَّرُهُ جاد فى أمره المعجم الوسيط : ٢ - ٨٠٤ .

[الطويل]

وكذلك قول كعب بن سعد الغنوي :

وَدَاعَ دَعَا : يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى التَّدَى ؟
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ : ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتِ رَفْعَةً
لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ^(٥٥)

ألا ترى ما وصفه به من الجود الذي هو عادة يُجتمع عليها ، ثم لم يعدل به أحدا ؟

وكذلك قول أعشى باهلة في مرثيته المُتَشِيرَ بن وَهَبٍ حيث يقول في جَلْدِهِ ، إذ
كان جُلُّ ما فيه مما يُمدح به فيما كان به موصوفا :
[البسيط]

مَا يَلْمِزُ السَّاقِ مِنْ أُنْثَى وَمِنْ وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شَرِّ سَوْفِهِ الصَّقَرُ^(٥٦)
مَاضِي الْعَزِيمِ عَلَى الْعَزَاءِ مَتَّصِلَتْ بِالْقَوْمِ لَيْلَةٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ^(٥٧)
كَأَنَّهُ عِنْدَ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ بِالْيَأْسِ تَلَمَّعَ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشْرُ^(٥٨)

ولا نعلم يتأ في هذا المعنى من يُمنى النقية وبركة الطلعة أبرغ من هذا ، فإنما
غلى هذا الضرب من العيون . ومثل ذلك قوله :

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَلْبِ يَرْقُبُهُ
وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ^(٥٩)

(٥٥) أبو المغوار : هو أخو كعب بن سعد . ورفع : أى معلنًا رفعة .

(٥٦) ل : ولا وصب . الأُنْثَى : الأعياء والتعب . الوصب : الأعياء والمرض . والشَّرِّ سَوْفٍ : رأس
الضلع مما يلي البطن . والصفر : قيل شيء ما يعض الضلوع إذا جاع الإنسان . ثم إنه يصف المدح
بشدة الخلق وصحة البنية .

(٥٧) ماضى العزيم : ينفذ أموره بمجد . العزاء : الشدة واليأس . والمتصلت : الماضى في الحوائج .

(٥٨) ل : يَلَمَّعُ الْبُشْرُ . والبُشْرُ والبُشْرُ : جمع بشر مثل كذير ونذير . والمعنى : عندما يفقد القوم
النجاة ويوقنون بالهلاك يجلدونه المنقذ لهم مما هم فيه .

(٥٩) لا يتأرى : لا ينجس . الاقتار : تعرق العظم . والمعنى : أن همة عالية بعيدة عن المطعم
والمشرب .

قال أبو العباس : وحدثننا الرياشي في إسناده ذكره قال :
 أنشد منشد أبا بكر الصديق رضي الله عنه في هريم^(٦٠) [بن سنان] : [الكامل]
 أَنْ نِعْمَ مُعْتَرِكُ الْجِيَاعِ إِذَا حَبَّ السَّقِيرُ وَسَابِئُ الْخَمْرِ^(٦١)
 وَلَيْعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنتَ إِذَا دُعِيَتْ : نَزَالٌ وَلَجٌ فِي الدُّغْرِ^(٦٢)
 وَمَرْهُقُ التَّيْرَانِ يُحْمَدُ فِي الْـ لَأْوَاءِ غَيْرُ مُلْعَنِ الْقَدْرِ^(٦٣)
 فجعل أبو بكر يقول عند كل بيت :
 هكذا كان رسول الله ﷺ حتى أنشده
 والسترون الفاحشاك وما يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ مِشْرِ
 فقال : هكذا - والله - كان رسول الله ﷺ . ثم قال أشعر شعرائكم زهير .

ويروى من غير وجه - حدثناه مسعود بن بشر وغيره :
 أنه لما مات مغلد بن يزيد بن المهلب^(٦٤) حضره عمر بن عبد العزيز وصلى عليه ثم
 قال :
 بَكُوا حُدَيْفَةَ لَا تُبْكُوا مِثْلَهُ حَتَّى تَيْدَ قَبَائِلَ لَمْ تُخْلَقِ
 ثم قال :
 لو أراد الله بيزيد (خيراً لأبقى له هذا الفتى)^(٦٥) . فهذا من الأبيات الجامعة كنعو
 ما ذكرناه .

(٦٠) ابن سنان تكلمة من عندنا وجاء في ل : ابن حيان وهو سهو . (٦١) معترك الحياة : مكان
 اجتماعهم وتزاحمهم . حب السقيز : ورق الشجرة تسفره الريح . أى تطويه والخبب الإسراع أى
 سارته الريح بالأوراق مسرعة على وجه الأرض ، وهو وقت الخريف والأرض خالية من الزرع .
 وسابئ الخمر : مشربها ، وشراء الخمر وقت الشدة دليل على الكرم .
 (٦٢) دعيت نزال : دعيت للحرب . لج في الزعر : تتابع الناس في الفزع .
 (٦٣) مرهق النمران : إيقاد النار ليلاً حتى يلجأ إليها الضيفان . اللأواء : الجهد وشدة الزمان .
 غير ملعن القدر : محمود القدر أى أن ما فيه يأكله الناس من غير من ولا أذى .
 (٦٤) مغلد بن يزيد بن المهلب من بيت عز وبطولة ورياسة مات بالشام سنة ١٠٠هـ .
 (٦٥) ما بين القوسين بياض في ل .

ولقد أحسنت الكندية في قولها في إختوتها :
 أَبَوَا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ
 فَمَاتُوا وَأَطْرَافَ الْقَنَا تَقَطَّرَ الدِّمَا
 وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
 هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صَرَّعُوا
 بِجَيْشَانِ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ نَصْرَمَا^(٦٦)
 والقاتل :

أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
 لَعَمْرِكَ مَا خَشِيتُ عَلَى قُصَى
 وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى قُصَى
 مَيَّةَ يَنْ سَلْعَ وَالسَّلَى
 وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى قُصَى
 بَجَرِيْرَةٍ رُمِحَ فِي كُلِّ حَى^(٦٧)

فأحسن الشعر ما خلط مدحاً بتفجع ، واشتكاءً بفضيلة ، لأنه يجمع التوجع
 الموجع تفرجاً ، والمدح البارع اعتذاراً من إفراط التفجع باستحقاق المرتى . فإذا
 وقع نظم ذلك بكلام صحيح ولهجة معربة ، ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام
 الخلقين .

واعلم أن قول الخنساء^(٦٨) من أجل الكلام حيث تقول :
 وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدَنَا
 وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ
 كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا^(٦٩)

فجعلته موضعاً للسودد ومعنيًا بأمر العشيرة بقولها : (لوالينا وسيدنا) وجوذاً مفضلاً
 نحاراً في وقت الإقار والشتوة ، ثم قالت : (وإن صخرًا لتأتم الهداة به) فجعلته إمام

(٦٦) الأبيات لأم صريح الكندية . ديوان الحماسة لأبي تمام : ١ - ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٦٧) الأبيات في الكامل : ١١٩٩ منسوبة إلى أعرابي .

(٦٨) تناصر بنت عمرو الشريد من بني سُلَيْم ، والخنساء لقب لها ، من أشهر شواعر العرب عاشت
 في الجاهلية ثم أسلمت وحسن إسلامها ، وأكثر شعرها في الرثاء وبخاصة أخويها صخر ومعاوية
 وكانا قتلا في الجاهلية توفيت سنة ٢٤ هـ . أنظر تاريخ الأدب العربي لفروخ : ١ - ٣١٧ .

(٦٩) الديوان : ٢٦ ، ٢٧ .

الأئمة ، ثم جعلته علماً - والعلم : الجبل - ، فلم تقتصر على ذلك حتى جعلت في رأسه ناراً شهرة في الكرم ، ونارا على علم في الهداية - فلهذا درها .
وقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِى الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٧٠) إنما هي الجبال وقال جرير :
إِذَا قُطِعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ فَهِنَّ بَحْرًا كَمُضِلَّاتِ الْخَدَمِ^(٧١) [الرجز]

ومن عجيب ما قيل قول النابغة^(٧٢) في حصن بن حذيفة^(٧٣) إكباراً لشأنه واستعظاماً لموته وتعجباً من ذهاب مثله :
يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ ؟
وَلَمْ تَلْفِظِ النُّوْمَى الْقُبُورَ وَلَمْ تَرُثْ لُجُومَ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعِيُهُ فَظَلَّ نِدَى الْحَيِّ وَهُوَ يَنُوحُ^(٧٤) [الطويل]

وذكرنا أوس بن حجر ومراثيه في فضالة بن كَلَّة الأَسَدِي . وكان من خبره معه أنه قصده من أرض بني تميم ، فلما قارب منزله ، جالت به ناقته فرمت به فكسرت فخذه ، فأقام ليلته مكانه لا يرم حتى إذا أصبح نظر - وهو في عام خصيب - إلى جوارٍ من صبيات بني أسد قد خرجن يبحن الكمأة ، فجعل ينسبن حتى وقف على ابنة فضالة . فقال لها :

خذى هذا الحجر فأقِ به أباك ، فقولى له :
قد زارك ابن هذا ، وخبريه بحالى ، فلما أتته قال :

(٧٠) سورة الرحمن : ٢٤ .

(٧١) الديوان : ٦٢٢ .

(٧٢) زياد بن معاوية بن خباب الذيباني المضرى ويعرف بالنابغة الذيباني شاعر جاهلى من أهل الحجاز قال الشعر وهو كبير ، وله مع النعمان بن المنذر مواقف صعبة وكان كثير التردد عليه في الحيرة له شعر كثير جمع بعضه في ديوان صغير توفى سنة ١٨ ق.هـ : معجم المؤلفين : ٤-١٨٨ .
أنظر تاريخ الأدب لفروخ : ١ - ١٨٧ .

(٧٣) حصن بن حذيفة الفزارى ، قاد ذيبان يوم شعب جبلة .

أنى - والله - بمدح كثير أو بدم كثير . فأتاه ، فضرب عليه قبة ، ولم يزل يعالجه حتى برأ .

قال الأصمى :

وفى بنى أسد حذاقةً بالجبر . قال : وسمعت أعرابيا من بنى أسد يقول : أنا أجبر
الناس بفك أو ترقوة . قال الأصمى : وهما أشد ما يجبر . ففى ليلته تلك يقول :
[المتقارب]

لَحِذْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةً بِصَخْرَاءٍ شَرَجَ إِلَى نَاطِرَةٍ
تُرَادُّ لَيْلَى فِي طَوْلِهَا فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلَا سَاكِرَةٍ
كَأَنَّ أَطْوَلَ شَوْكِ السَّيَالِ تَشْكُ بِهِ مَضْجَعِي شَاوِرَةً^(٧٥)

وفى حليلة بنت فضالة بن كعدة التى ذهبت إلى أبيها برسالة يقول : [الطويل]
لَعُمْرِكَ مَا ذُمْتُ نَوَاءَ نَوَيْهَا حَلِيمَةً إِذْ أَلَقْتُ مَرَامِي مُقْعَدِ^(٧٦)
وَلَكِنْ تَلَقْتُ بِالْيَدَيْنِ ضَمَائِي وَحُلَّ بِفَلَجٍ فَالذَّيْنَةِ عُودِي^(٧٧)
وَلَمْ تُلْهِهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ إِلَهَا كَمَا شِئْتُ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَخَرُّدِ
سَأْجَزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُتَوِّبٌ وَقَصْرُكَ أَنْ يُتْقَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي^(٧٨)

فأقام عند فضالة مدة يسيرة ، ثم مات فضالة فقيه يقول قصائد نذكر بعضها والمختار

منها :

قال أبو عبيدة :

كان أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية حتى نشأ زهير والناطقة فوضعا منه ،
ولكنه شاعر تميم غير مدافع . فمما قال فيه :
[المنسرح]
أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلُ جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تُحَذِّرِينَ مِنْهُ قَدْ وَقَعَا

(٧٤) ديوان الناطقة الذيباني : ٢٩ . تحقيق كرم البستاني .

(٧٥) الديوان : ٣٤ ، ٣٥ . والبيت الرابع والأخير .

أَنُوءُ بِرَجُلٍ بِهَا ذَهْنُهَا وَأَعْيَتْ بِهَا أُخْتُهَا الْغَابِرَةُ

(٧٦) النواء : الإقامة والثوى : الضيف . (٧٧) الضمانة : العاهة . فلح والذينة : موضعان .

(٧٨) الديوان : ٢٦ ، ٢٧ . ومعنى وقصرك : وحسبك .

إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالذَّ
الْأَلْمَعَى الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظُّ
وَالْمُخْلِفُ الْمُخْلِفُ الْمُرْزَأُ لَمْ
وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي تَحَوُّطٍ إِذَا
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ
وُشِبَّ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنَ الْأَفْ
وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ الْمَمْدُ
لِيْنِكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالْ
وَذَاتُ هِذِمٍ عَارٍ نَوَاشِرَهَا

جِدَّةً وَالْبَاسَ وَالْقَوَى جُمَعَا
مَنْ كَانَ قَلْدَرَاىِ وَقَدْ سَمِعَا
يُمَتَّعُ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبْعَا^(٧٩)
لَمْ يُرْسِلُوا خَلْفَ عَائِدٍ رُبْعَا
أَمْسَى كَمِيعُ الْفَتَاةِ مُتَضَمِّعَا
يَوْمٍ سَقْبَا مُلَبَّسَا قَرْعَا
عَةً فِي زَادٍ أَهْلَهَا سَبْعَا
فِيَانُ طُرَا وَطَامِعَ طَمْعَا
تُضْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّيَا جَدْعَا^(٨٠)

تأويل ما في هذه القصيدة مما ليس بواضح إلا بعد نظر :^(٨١) قوله :
أيتها النفس أجهل جزعا إن الذي تحذرين قد وقع

تقول العرب :

(الْحَذَرُ أَشَدُّ مِنَ الْوَقِيعَةِ) . وإنما حَقُّ الشَّيْءِ الْمُتَخَوَّفُ أَنْ يَكُونَ (صَاحِبُهُ)^(٨٢)
مَرْتَاعًا حِذَرٌ وَقُوعُهُ ، فَإِذَا وَقَعَ الْبَاسُ ارْتَفَعَ ذَلِكَ^(٨٣) الْحَذَرُ .

ومن ذلك ما يتدارسه الصالحون : إذا استأثر الله (سبحانه وتعالى) بشيء قاله عنه
ويُحْكِي عَنْ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ مِنْ مَلُوكِهِمْ أَنَّهُ مَاتَ لَهُ ابْنٌ فَلَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى
شَأْنِهِ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :

إنما الروعة قبل وقوع المخوف ، فإذا وقع فعلى اللبيب ألا ينسب إلى الوقوف متفكرا
في إثر ما لا يذرْكُ ، ولكن ليزجر النفس عن خطاها ويعمل الشغل فيما يُجْدَى عَلَيْهِ .
وقوله :

(الْأَلْمَعَى الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا)
الْأَلْمَعَى : الْحَدِيدُ الْقَلْبُ الَّذِي يُوَقِّعُ الشَّيْءَ مَوْقِعَهُ . وَهَذَا مَثَلٌ لَا نَعْلَمُهُ لِأَحَدٍ

(٧٩) المرزأ : الذى تناله الرزقيات فى ماله لما يعطى ويمسأل

(٨٠) الديوان : ٥٣ - ٥٥ .

(٨١) ل : بعد نظر . (٨٢) () يياض فى ل (٨٣) ذلك : زيادة من ل

قبله^(٨٤) . وكان (مولانا أمير المؤمنين) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتى^(٨٥) بأوضح من هذا يقول :

(لا يعيش يعلم أحد حتى يعيش بظنه)

وقال الزبير بن العوام^(٨٦) : (لا عاش بخير من لم يره ظنه ما لم يره عيته) وقال عمرو بن العاص : (ظن الرجل قطعة من عليه ، ولسانه قطعة من عقله) وقوله :

(والمتلف المخلف)^(٨٧) قد جمع فيه ما يغنى عن التفسير والتزويد إذ يقول^(٨٨) : يتلف جودًا وكرمًا ، ويخلف نجدةً واكتسابًا . وقوله :

(لم^(٨٩) يتمتع بضعف) أى لم يُقرن به . تقول : أمتع الله بفلان أى أبقاه الله حتى يتمتع به أحباؤه . كما قال جرير لعبد العزيز بن الوليد : [الوافر] إذا جدَّ الرَّحِيلُ بنا قَرَحْنَا فَأَخْسَنَ ذُو الْجَلَالِ بِكَ الْمَتَاعَ^(٩٠) وقوله :

(ولم يمت طبعًا) يقال : طبع الرجل يطبع طبعًا إذا غلب عليه الحرص حتى يغطى على قلبه . ويقال : طبع السيف إذا ركه الصدا حتى يغطى على صميم الحديد . وقوله :

(والحافظ الناس فى تحوط) يقال للسنة الجدية : تحوط وقحوط بالتاء والقاف جميعا . وقوله :

(إذا لم يرسلوا خلف عائد رُبَعًا) فالعائد : التى معها ولدها ، فإذا كانت السنة المجدية فخرجوا الفصال كى لا تضر بالأمهات .

(٨٤) () بياض فى ل (٨٥) ل : عنه بقوله بأوضح من هذا . كان يقول : (لا يعيش يعلم أحد حتى يعيش بظنه)

(٨٦) ابن العوام : زيادة من ل . (٨٧) ل : (المتلف المتلف)

(٨٨) ل : والتزويد إذ يقول . (٨٩) ل : من لم .

(٩٠) الديوان : ٤٥٠ .

قوله :

(وعزت الشمال الرياح) يقول : غلبت الرياح وتلك علامة الجذب والقحط :
لأن الجنوب هي التي تأتي بالندى والمطر ويقال عز فلان فلانا إذا قهره وقول الله عز
وجل :

﴿ وعزني في الخطاب ﴾^(٩١) أى كان أعز منى في المخاطبة . وقولهم في المثل : (مَنْ
عَزَبَ) أى من غلب استلب .

و (الكميع) الضجيع . يقال : كامعها . فقال : أضحي كميعة مُلتَفَعًا . والمُلتَفَعُ :
الملتحف فهو ينقبض عنها ، مشغول بما يلاقى من القر .
وقوله :

(وكانت الكاعب الممنعة الحسناء) الكاعب التي قد كعب ثديها . قال الله عز
وجل : ﴿ وكواعب أترابا ﴾^(٩٢) والممنعة : المحفوظة الحباة ، كانت كالسبع في زاد
أهلها ، وإنما من شأنها أن تترف وتنعم إذا كانت في هذه الصفة
وقوله :

(وَشَبَّةُ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ) فالهيدب : المسترخى ، والعبام : الثقيل الذى لا يكاد ينبعث ،
فشبه في انقباضه بالسَّقْب وهو ولد الناقة إذا كان ذكراً ، وإن كانت أنثى فحائل .
(مُلْبَسًا قَرَعًا) أى جُعِلَ عليه جِلْدُ الْقَرَع ، وهو فصيل كانوا يتقربون به في الجاهلية ،
فقال رسول الله ﷺ : (لا قَرَع)^(٩٣) فأبطله الإسلام .
وقوله :

(وَذَاتُ هِذَمٍ) الأهدام مُخْلَقَانِ الثياب ، فَيَصِفُ الْفَقِيرَةَ وَأَنَّهُ كَانَ لَهَا مَلْجَأٌ . قوله :
(عَارٍ نَوَا شُرَاهَا) : من الضَّرَّ (والجوع) والبؤس ، والنواشر : عروق الدُّرَاع ؛ كما
قال زهير : (الطويل)

(٩١) سورة ص ٢٣ (٩٢) سورة النبأ : ٢٣
(٩٣) الحديث : (لا قَرَع ولا عتيرة) الفرع أول ما تلده الناقة كانوا يذبحونه لآلهم ، جامع
الأحاديث : ٧ - ٢٨٠ والجامع الصغير : ٣٣٩ والعتيرة : الذبيحة تذبح للأصنام فيصيب دمها
على رأسها .

ودارُها بالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا

رَوَاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِيرِ مِغْصَمٍ^(٩٤)

وقوله :

(تُصْنِئُ بِالْمَاءِ) أَيْ تُسَكِّنُ طِفْلَهَا بِالْمَاءِ ، وَتُسَكِّنُهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهَا ثَقُلٌ . وَ (الْجِدِغُ) السَّيِّئُ الْغَذَاءُ ، وَكَذَلِكَ الْحَجْنُ وَالْقَتِينُ^(٩٥) .

ومما قال فيه مما اخترناه :

(المقارِب)

كَوَائِبُ لِلْجَبَلِ الْوَجِيبِ
فُقُودٌ وَلَا خَلَّةُ الدَّاهِبِ
عَلَى الْجَاوِرِ الْعَظَمِ وَالْعَارِبِ
يَقُومُ عَلَى ذِرْوَةِ الصَّاقِبِ
كَتَمَنِ الثَّبِيٍّ مِنَ الْكَائِبِ
لِئِنَّ السُّرَادِقِ وَالْعَاجِبِ
لِ غَيْرِ مَعِيبٍ وَلَا غَائِبِ
غَيْرِ مُكِبٍّ وَلَا قَاطِبِ
وَلِيدَةٍ كَالْجَوْدَرِ الْكَاعِبِ
لِ وَبِالشُّوْلِ فِي الْفَلْقِ الْعَاشِبِ
فَضَالَّةٌ فِي أَلْسِنٍ لَاحِبِ
سِ وَالْمُتَعَلِّى عَلَى الْوَاهِبِ
نِقَابٌ يُجْبَرُ بِالْفَنَائِبِ
يُعَاشِرُ سَفِيكَ مِنْ طَالِبِ^(٩٦)

أَلَمْ تُكْسِفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالْ
لَقَدْ فَضَالَةٌ لَا تُسْتَوَى الْ
أَلْفَى عَلَى حُسْنِ أَخْلَاقِهِ
عَلَى الْأَرْوَعِ السَّقْبِ لَوْ أَلَهُ
لَأَصْبَحَ زَمَانًا ذُقَاقِ الْحَصَى
وَرَفِيعِهِ حَقَمَاتِ الْمُلُورِ
وَيَكْفَى الْمَقَالَةَ أَهْلُ الرِّحَا
وَيَحْبُو الْغَلِيلَ بِغَيْرِ الْحَبَا
بِرَأْسِ التَّجِيَّةِ وَالْقَبْدِ وَالْ
وَبِالْأَذْمِ تُحْدَى عَلَيْهَا الرِّجَا
فَمَنْ يَكُ ذَا نَائِلٍ يَسْعَ مِنْ
هُوَ الْوَاهِبُ الْعَلْقُ غَيْنِ الثَّقِي
نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَحْوُ مَاقِطِ
فَأُبْرَحَتْ لِي كُلُّ خَيْرٍ فَمَا

وهذه القصيدة أمليناها بأسرها ؛ لأنها جمعت تقدُّم كل بيت منها ، وكثرة المعاني

والاختصار .

(٩٤) الديوان : ٥٠ .

(٩٥) ججن الصبي : ساء غذاؤه فهو ججن والقتين : الرجل لا طعام عنده ولا قدرة .

(٩٦) الديوان : ١٠ - ١١

قوله :

(لِلجبل الواجب) فالواجب : الساقط ؛ يقال للبعير إذ برك^(٩٧) فَسَمِعَ صَوْتَهُ كَزَكَرَتِهِ : وَجَبَ ، وكذلك كُلُّ ساقط .

قال أبو عبيدة : وأظن قولهم في الشيء : وَجَبَ أى وقع .

وقوله : (لَفَقْدَ فَضَالَةٍ) (ثم قال : الأَرْوَعُ السَّقْبُ ، يعنى فضالة) وهذا كقولك : إني لأتئى على زيد ، ثم تقول : على الشريف الكريم ، فأنت تعنيه . و (السَّقْبُ) : الطويل . وله مواضع هذا أحدها . و (الحَلَّةُ) : الخُلَّةُ الذى قد تركه ، وكان^(٩٨) مسدوداً به . وأصل الحَلَّةُ : الثَّلْمَةُ . يقال : فلان به نَحَلَهُ أى ليس أمره مستويا ، وفلان مختل الجسم كذلك .

وقوله : (لا تستوى الفُقود) : أى المصائب لاختلاف أهلها ؛ فمن ذلك مَنْ يوجد منه العِوضُ ، ومنهم من يَعْسُرُ وجود مثله وأقول أنا : كمن أنشأنا هذا الكتاب من أجله ، (يَتَعَدُّ فى) الوهم إدراك نظيره ومدانيه فضلاً عن مُساويه .

و (الصاقب) - الذى ذكر - جبلٌ معروف بعينه . يقول : فلو تحامل عليه . وليس (يقوم) من القيام على القدم ، ولكن من قولك : (فلان يقوم بأمر أهله) ، و (يقوم بهذا الأمر) أى يدافع عنه فيقول : لو دافع الجبل العظيم متحاملاً عليه لأصْبَحَ الجبل رثماً كظهر النبى - وهو رمل بعينه - من الكائب ، أى كمكان هذا من هذا . ومثله أبو عبيدة فقال : (كقولك) كظهر المربد من البصرة ، و (المرتوم) المحطوم المدقوق . يقول : رَمَ أَثْفَهُ أى دَقَهُ .

وقوله : (دُقَاقُ الحَصَى) : أى دقيق ، مثل قولك : رجل طَوَّالٌ وطَوِيلٌ ، وَجُسَّامٌ وجَسِيمٌ ، وَخُفَافٌ وخَفِيفٌ . وقوله :

(ورَقَبَتُهُ حَتَمَاتُ الملوكة) يقول : إذا أَحْتَمَ على الملوكة (أَمْرًا أو فى أمر يخافه ، أطاعه الملك وأجابه . ويقول بعضهم : هى الحُتْمَةُ ، وينشده حَتَمَاتُ الملوكة مثل ظُلْمَةٍ وظُلُمَاتٍ ، وذكر قرب مكانه من الملوكة فقال : بين السُّرَادِقِ والحاجب .

(٩٧) م سقط بدل برك

(٩٨) وكذا : من ل .

وقوله : (وَيَكْفِيُ الْمَقَالَةَ أَهْلُ الرِّحَالِ) يقول : اذا حضر استغنى به عن غيره لبيانه وصوابه ، فقد كفى من وراءهم غير معيب عندهم ولا عائب لهم .

وهذه الأبيات إذا اعتبرت فأكثرها يشتمل البيت منه على معان . وقوله :
وَيَنْخَبُو الْخَلِيلَ بِغَيْرِ الْحَبَا ءَ غَيْرَ مُكِبٍّ وَلَا قَاطِبٍ
أى يتبع ما يفعله بأجمل البشر ولا يُكِبُّ مُفَكِّرًا يندم على ما فعل ، وَلَا طالبا حيلة يدفع بها السائل ، كما قال القائل : (الكامل)

لَا يَنْكُحُونَ الْأَرْضَ عِندَ مَوَالِهِمْ

لِتَطْلُبَ الرِّحَالُ بِالْعِمَادِ (٩٩)

وقوله :

(وبالشَّوْلِ فِي الْفَلَقِ الْعَاشِبِ) يقول : يعطيها في أحسن حالاتها . وَالْفَلَقُ : المطمئن من الأرض فهو موضع الكلاً لاستقرار الماء به . وكانت العرب تقول للرجل إذا حسنت إبله وسمنت : أَخَذَتْ إِبْلَهُ رِمَاحَهَا ، وَأَخَذَتْ إِبْلَهُ سِلَاحَهَا واستجدت عليه أى منعتة أنفسها من أن توهب أو تُنَحْرَضَتْ بها ، كقول القائل :

لَا أَتُحُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْمَهْدَ وَلَا تَأْخُذُ السِّلَاحَ لِجَاحِي (١٠٠)

وقال رسول الله ﷺ : « هلك الفدادون الا من أعطاهها في نجدها ورسلها » (١٠١)
أى من أعطاهها بسهولة ومع امتناعها لحسنها . فهو وقت نجدها عليه .

(٩٩) البيت للقاسم بن أمية بن أبى الصلت : الشعر والشعراء : ٢ - ٤٦٢

(١٠٠) لقاح : جمع لقوح أو لقحة ، وهى الناقة الحلوب . وقالوا في معنى الشطر الثاني (لما كانت السمينة تحسن في عين صاحبها فيشفق أن ينحرها صار السَّمْنُ كأنه سلاح لها) تاج العروس : لقح وسلح .

(١٠١) الفدادون : مالك المتين من الابل . والنجدة الشدة . والرسل : الرخاء وفي الحديث : قيل يارسول الله ما نجدها ورسلها ؟ قال : عُسرُها ويُسرُها . اللسان : رسل . النساءى : زكاة ٢ : وأحمد في مسنده : ٢ - ٤٩٠ .

وقال عليه السلام لقيس بن عاصم^(١٠٢) : (نعم المال الأربعةون ، والكثير الستون ، وهلك أصحاب المئين إلا من نحر سمينها ، وأفقر ظهرها ، ومنّح غزيرتها ، وأطرق فحلها ، وأعطاهما في نجدتها ورسلهما) .

وقالت ليلي الأخيلية :

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا لِنُوبَةٍ فِي صَرِّ الشَّاءِ الصَّنَابِرِ^(١٠٣)
الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة .
وقوله :

(نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَخُو مَاقِطٍ) يقول : (هو) في السلم سهل مبتذل حلو مقبول ، ولا يمنعه ذلك من أن يكون جَلْدًا في الحرب . والمَاقِطُ : موضع مُجْتَلِدِ القوم . وهو مع هذا فطنٌ طَبِيحٌ ، مُنْقَبٌ طَوَافٌ بيدنه وفكره ، يظن فيصيب . فذلك قوله : يخبر بالغائب وقوله : (نَقَابٌ) : أى مُنْقَبٌ في الأمور ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فَتَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾^(١٠٤) وقال امرؤ القيس : (الوافر)
وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(١٠٥)
ومن هذا قيل للطرقات في الجبل : النقوب والنقاب ، وأحدها نَقَبٌ .

وقال ابن الأبيهم التغلبي يصف خيلا :

وِثْرَاهُنَّ شُرْبًا كَالسَّعَالِ إِلَى يَتَطَلَّعْنَ مِنْ ثُغُورِ النَّقَابِ^(١٠٦)

(١٠٢) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقرى صحابى مشهور بالحلم نزل البصرة أدرك الجاهلية والإسلام . روى عدة أحاديث توفى سنة ٢٠ هـ . تقريب التهذيب : ٢ - ١٢٩ . (٣) كثر العمال : حديث : ٦ - ٢٩٧ .

(١٠٣) الديوان : ٧٩ مع استبدال كلمة سلاحها ب . رماحها .

(١٠٤) سورة ق : ٣٦ .

(١٠٥) الديوان : ٩٩ ورد : طوفت بدل نقبت .

(١٠٦) البيت في سمط اللآلى : ١٨٤ وقائله شاعر أسلامى اسمه عمير .

وقال أيضا يرويه : (الكامل)

يَا أَبَا ذَلِيحَةَ مَنْ لِحَى مُفَرِّدٍ صَقَعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي شَوَّالٍ؟ (١٠٧)
وَإِذَا ذَكَرْتُ أَبَا ذَلِيحَةَ أَسَلْتُ غَنَى قَبْلَ وَكَيْفَهَا سِرْبَالِي
وَمُعْصِيْنَ عَلَى نَوَاجِ سُلُوكِهِمْ مِلِلَ الْقِسَى ضَوَائِرَ بِرَحَالِ
وَقَوَارِصَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ لِقَى ذَاوِيَهَا وَسَمَلَتَهَا بِسِمَالِ
لَا زَالَ زَيْنَانَ وَلَقَوْنَا هَاجِرَ يَجْرِي عَلَيْهَا بِمُسْبِلٍ هَطَالِ
فَلَنُغَمَّ وَلَقَدْ الْحَى يَنْتَظِرُونَهُ وَلَنُغَمَّ حَشَوُ الدُّزَعِ وَالسَّرْبَالِ
وَلَنُغَمَّ مَاوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالخَيْلَ خَارِجَةً مِنَ الْقُسْطَالِ (١٠٨)

قوله :

(مُعْصِيْنَ) يعنى ملوكًا قد عصبوا بالتيجان . (والنواجى) : الخيل السراع .
وقوله : (صَقَعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي شَوَّالٍ) الصقع : الْمُتَحَيَّرُ الَّذِى لَا يَدْرِى أَيْنَ يَتَوَجَّه .
يقال : صَقَعَ وَصَقَّ ، وَبَنُو تَمِيمٍ يَقُولُ : صَقِقَ وَهِيَ لَغْتُهُمْ . فَكَأَنَّهُ الَّذِى أَصَابَتْهُ الصَّاعِقَةُ
فَضَحِرَ لِتَوَقُّعِ الْغَارَةِ كَمَا يَتَحَيَّرُ لِتَوَقُّعِ الصَّاعِقَةِ .
وقال : (فِي شَوَّالٍ) لِأَنَّهُ شَهْرُ جِلٍّ ، فَفِيهِ يُغَيِّرُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . فَإِنْ قَالَ
قَاتِلُ : أَفَلَيْسَ شَهْرُ الْحُلِّ ثَمَانِيَّةً ، فَمَا بِالْهَ خَصُّ هَذَا الشَّهْرِ ؟
فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ : أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الشَّيْءَ غَيْرَ الْمَقْصُودِ دَخَلَ مَا كَانَ نَظِيرُهُ فِي حُكْمِهِ .
قال الله تبارك وتعالى :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٠٩) ولم يقل على ظهورهم ، ولم يذكر الارتفاق لأنه يعلم أن الأمر في ذلك واحد . وكذلك قوله عز وجل :
﴿ سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ ﴾ (١١٠) ولم يذكر البرد .

(١٠٧) ل : أبادليجة وهذه كنية فضالة بن كلفة .

(١٠٨) الديوان : ١١٠

(١٠٩) سورة آل عمران : ١٩١ .

(١١٠) سورة النحل : ٨١ .

وقوله :

وَقَوَارِصِ بَيْنِ الْعَشِيرَةِ تَتَقَى دَاوِيَتَهَا وَسَمَتَهَا بِسِمَالِ

يقال : سَمَلَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ إِذَا أَصْلَحَ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ السَّيِّدَ الَّذِي يَأْتِمُرُونَ بِأَمْرِهِ .
(وَالْفَغْوُ) نُورُ الْحِثَاءِ ، يُقَالُ لَهُ الْفَغْوُ وَالْفَاغِيَةُ . وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الرِّيحَانِ رَائِحَةٌ .

قال أبو عبيدة : قوله : (يَجْرِي عَلَيْهَا بِمَسْبِلِ هَطَالِ) قال : يَعْنِي بِمَسْبِلِ هَطَالِ : أَيْ
مَعَ غَيْثِ مَسْبِلِ . قال : فَالْبَاءُ تَقُومُ مَقَامَ (مَعَ) يَافَتَى ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعَبَّاسُ :
وَالَّذِي قَالَهُ صَوَابٌ وَتَفْسِيرُهُ أَقْرَبُ مِمَّا قَالَ . وَتَأْوِيلُ هَذَا عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ : أَنَّ الْبَاءَ
لِلْإِلصَاقِ ، وَ (مَعَ) لِلْمُقَارَبَةِ فَهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . تَقُولُ : مَرَرْتُ بِزَيْدٍ ،
فَالْبَاءُ أَلْصَقَتْ مَرُورِي بِهِ . وَكَذَلِكَ كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ أَوْ ضَرَبْتُ بِالسِّيفِ . فَهَذَا حَقِيقَةٌ
مَعْنَاهُ .

وقوله :

(وَلَنْعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ وَالسَّرِيَالِ) أَيْ نَعَمُ الشَّيْءِ فِي الْأَمْنِ وَالْفَزَعِ . وَ (الْمُسْتَضِيفُ)
الْمُلْجَأُ ، يَافَتَى . يُقَالُ أُرْهِقُ فُلَانًا فِدْعًا لِمَضُوفَةٍ^(١١١) كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :^(١١٢) [الطَّوِيلُ]

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ

أَشْمُرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِشْرَرِي

ويقال : (قَسَطَلُ وَقَسْطَالُ) لَمَّا يَثُورُ مِنَ الْغُبَارِ

وقال يربو فَمَضَالَةُ قَصِيدَةٍ^(١١٣) أُولَاهَا :

عَيْنِي لَا بَدْ مِنْ سَكَبٍ وَتَهْمَالِ (عَلَى فَمَضَالَةِ جَلِّ الرُّزْءِ وَالْعَالِي)

اخترنا منها أبياتاً نادرة كما شرطنا في أول الكتاب . من ذلك قوله :

(١١١) المَضُوفَةُ : الْأَمْرُ يَشْفُقُ مِنْهُ وَيُخَافُ . وَمِنْهُ ضَافَ الرَّجُلُ وَأَضَافَ إِذَا خَافَ . اللَّسَانُ :
ضَيْفٌ .

(١١٢) الشَّاعِرُ هُوَ أَبُو جَنْدَبِ الْهَنْدَلِ . وَالْبَيْتُ فِي اللَّسَانِ كَلِمَةُ ضَيْفٍ .

(١١٣) الدِّيْوَانُ : ١٠٢ - ١٠٦ .

جُمَا عَلَيْهِ بَاءُ الشَّانِ وَاحْضِلَا
أَمَّا حَصَانٌ فَلَمْ تُحْجَبْ بِكِلْتَاهَا
عَلَى أَمْرِهِ سَوْفَةً مِمَّنْ سَمِعَتْ بِهِ
أَوْهَبَ مِنْهُ لِدَى أُنْثَى وَسَابِقَةٍ
وَحَارِجِي يَزُمُ الْآلِفَ مُقَرَّضًا
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ لَوْحِي بِأَرْمَلَةٍ
أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِذْ حَفَلُوا

لَدَى مُلُوكٍ أُولَى كَيْدٍ وَأَقْوَالٍ
أَمْ مَنْ لِقَوْمٍ أَضَاعُوا بَعْضَ أَمْرِهِمْ
عَلَلُوا الْأَصِيلَةَ وَاعْتَلَّتْ مُلُوكُهُمْ
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يَكْخِي الْعَشِيرَةَ إِذْ
أَمْ مَنْ لِأَهْلِ لَوَى فِي مُسْكَةٍ
أَمْ مَنْ لِعَادِيَةِ لُرْدَى مُلْمَلَمَةٍ
وَمَا خَلِيجٌ مِنَ الْعُرُوثِ ذُو حَدَبٍ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ جِئِنْ نَسَّالُهُ
لَيْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدَى هَبْرَةً

لَدَى مُلُوكٍ أُولَى كَيْدٍ وَأَقْوَالٍ
بَيْنَ الْقُسُوطِ وَبَيْنَ الدِّهْنِ أَرْوَالٍ
وَحُمَلُوا مِنْ أَدَى غُرْمٍ بِأَثْقَالٍ
أَمْسُوا مِنَ الْأَمْرِ فِي لَبْسٍ وَبَلْبَالٍ
فِي أَمْرِهِمْ مَحَالَطُوا حَقًّا بِإِهْطَالٍ
كَأَنَّهَا عَارِضٌ مِنْ هَضْبِ أَوْعَالٍ
يَرْمِي الضَّرِيرَ بِخَشَبِ الطَّلَحِ وَالضَّالِّ
وَلَا تُغْبِ بِتَرْجٍ بَيْنَ أَشْبَالٍ
كَأَلْمَرْزُبَانِي عِمَالٍ بِأَصَالٍ

(١١٤) جما : أكيرا . باء الشان : يقصد به العرق الذي تأتي منه الدموع

(١١٥) الكيلة : الحجاب أو ما تستر به المرأة في خيمتها أو على المودج .

(١١٦) السابغة : الدرع .

(١١٧) الهونة : الفرس المطوعة . والأحجال : جمع حجل : وهو يياض في قائمة الفرس ومنه قوله
عَلَلُوا : أنتم الفر المحجلون يوم القيامة من أثر الوضوء

(١١٨) اللبس : الاختلاط . البلبال : الفوضى والارتباك .

(١١٩) لوى : ما جف وذبل من الزرع . المسكعة : المصيبة .

(١٢٠) العادية : الكتيبة . ململمة : مجموعة . العارض : السحاب . هضبة : هضبة في
ديار بني تميم .

(١٢١) المغب : الأسد الذي يفترس يوما ويترك يوما . ترج : موضع في (بيشة)

(١٢٢) الهبرية : ما يسقط عليه من أطراف البردى . والعيال : المتبختر .

يَوْمًا بِأَجْرًا مِنْهُ حَدَّ بَادِرَةٍ عَلَى كَيْمِي بِمَهْوِ الْحَدِّ قَصَالٍ^(١٢٣)
لَأَزَالَ مِنْكَ وَرَيْحَانٌ لَهُ أَرْجٌ عَلَى صَدَاكَ بِصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٍ
تَسْقِي صَدَاكَ وَمُنَسَاةً وَمُصَبِّحَهُ رَفَهَا وَرَمْسُكَ مَخْفُوفٌ بِأَظْلَالٍ
وَرَنْتِي وَدُ أَقْوَامٍ وَخَلَّتْهُمْ وَذُكْرَةٌ مِنْكَ تَغْشَانِي بِإِجْسَالٍ
فَلَنْ يَزَالَ ثَقَالِي غَيْرَ مَا كَذِبٍ قَوْلَ أَفْرِيءٍ غَيْرَ نَاسِيهِ وَلَا سَالٍ
لَعَنُ مَا قَدَرِ أَجْدَى بِمَضْرَعِهِ لَقَدْ أَحْلَى بِغُرْشِي أَيْ إِحْلَالٍ
قَدْ كَانَتْ النَّفْسُ لَوْ سَامُوا الْفِدَاءَ بِهَا إِلَيْكَ مُسْمِحَةً بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ^(١٢٤)

هذا آخر الشعر^(١٢٥) . قال أبو العباس : قوله (لِيَذَى أَثَرِ) يعنى سيفاً له فِرْنَدٌ وهو
الرونق . وقوله :

(يَزُمُ الْآلِفُ) أى يتقدمها كأنه يقودها ، يعنى فرساً . و(الخارجى) : الذى يخرج
بنفسه . انشدنى الرياشى لأعرابى يمدح عبد الله بن جعفر الهاشمى^(١٢٦) : (الوافر)
أَبَا الْعَبَّاسِ لَسْتُ بِخَارِجِيٍّ وَمَا إِنَّ بَخْرُ جُودِكَ بِإِتِّحَالٍ
وقوله :

(ذَاتُ شِمْرَاخِ) فإِنَّمَا يعنى فرساً ذات غُرَّة . و(الشمراخ) من الغرر : السائلة
فى الوجه إذا دقت وطالت .

وقوله : (لَأَشْعَثُ ذِي طِمْرَيْنِ) إِنَّمَا يريد أنه يجبر الفقير . و(الأطلس) الأغبر ،
ومن ثم قيل للذئب : أطلس . وإِنَّمَا نسب الفقير إلى الطَّلَسَةِ لسوء حاله ودناءة لبسته .
و(الأقوال) : الملوك ، واحدهم قِيل ، وأصله : قِيلَ فُخِفُوهُ كَمَا قَالُوا فى المَيِّتِ :
مَيِّت ، وفى الهَيِّنِ واللَّيِّنِ : هَيِّنْ وَلَيِّنْ . وقالوا فى الجَمْعِ : أَقْوَال ، كَمَا قَالُوا فى الميت :
أَمْوَات ، ويقولون : هو من مَقَاوِلِ كِنْدَةٍ .

(١٢٣) البادية : شِبة السيف . المَهْوُ : السيف الرفيق . والمعنى : إن هذا الليث ليس أجراً منه حد
شِبة السيف فى إقدامه على الكمى يقطعه سيف رقيق .

(١٢٤) الديوان : ١٠٢ - ١٠٦ .

(١٢٥) هذا آخر الشعر : من ل .

(١٢٦) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى (١ - ٨٠هـ) صحابى
ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها ، وأتى البصرة والكوفة والشام وكان كريماً يسمى بحر الجود .
وكان أحد الأمراء فى جيش على يوم صفين مات بالمدينة الأعلا ٤ - ٢٠٤ .

(وَالْقُسُوطُ) : العصيان . يُقَالُ : قَسَطَ يَقْسِطُ إِذَا جَارَ وَخَالَفَ . قَالَ اللَّهُ جَلْ ذَكَرَهُ : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (١٢٧) وَيُقَالُ : أَقْسَطَ يَقْسُطُ إِذَا عَدَلَ ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١٢٨) .
وقوله :

(بَيْنَ الْقُسُوطِ وَبَيْنَ الدِّينِ) . يَقُولُ : هُمْ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ . (وَالْأَزْوَالُ) هُمُ الْمُتَصَرِّفُونَ . يُقَالُ : رَجُلٌ زَوَّلَ وَقَوْمٌ أَزْوَالٌ . وَأَنْشَدَنِي التَّوَزِيُّ : (الرَّجَزُ)
وَقَدْ أَقْسَدُ بِالْكَرَامِ الْأَزْوَالُ
مُعَذِّيًا لِذَاتِ لَوْثٍ شِمْلَالٍ (١٢٩)
وقوله :

(وَاعْتَلَّتْ مَلُوكُهُمْ) أَيْ لَمْ يَعْطَوْهُمْ شَيْئًا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : (خَافُوا الْأَصِيلَةَ وَاعْتَلَّتْ مَلُوكُهُمْ) أَيْ خَافُوا أَنْ يُسْتَأْصَلُوا . وَقَوْلُهُ : (وَحَمَلُوا) أَيْ لَزِمَتْهُمْ حِمَالَاتٌ وَغَرْمٌ ، فَهُوَ كَانَ يُصْلِحُ هَذَا كُلَّهُ بِالتَّجْدَةِ وَالْقَرَمِ .
وقوله :

(وَذَاتِ أَوْعَالٍ) وَهِيَ هَضْبَةٌ مَعْرُوفَةٌ بَعِينَهَا وَ (الْمَرْوَاتُ) : أَرْضٌ بَعِينَهَا فِيهَا نَبَاتٌ وَمَسَائِلٌ ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الْعَالِيَةِ . (١٣٠)
وقوله :

(يَرْمِي الضَّرِيرَ بِخَشَبِ الطَّلَحِ وَالضَّئَالِ) الضَّرِيرُ : ضَرِيرُ الْوَادِي ، وَهُوَ نَاحِيَتُهُ . وَقَوْلُهُ : (كَالْمَرْزَبَانِي) يَرِيدُ كَسْرِي ، وَلِنَّمَا يَعْنِي هَاهُنَا الْأَسَدَ (فَيَقُولُ هُوَ مُنْفَرِدٌ بَغِيضَتِهِ تَهَابَهُ الْأَسَدُ) (١٣١) أَنْ تَنْزِلَ مَعَهُ كَمَا قَالَ أَبُو زَيْدٍ : (الْبَسِيطُ)
أَفَرَّ عَنْهُ يَنْسَى الْخَالَاتِ جُرَائُهُ لَا الصَّيْدَ يُفْتَعُّ مِنْهُ وَهُوَ مُفْتَعُّ
وقوله :

(رِفْهًا) يَقُولُ : دَائِمًا فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْقَى صَدَاكَ .
وقوله : (حَمَلْتَنِي وَدَّ أَقْوَامُ) يَعْنِي أَهْلُ بَيْتِ فَضَالَةَ .

(١٢٧) سورة الجن : ١٥ . (١٢٨) سورة الحجرات : ٩ .
(١٢٩) البيت لكثير بن مُزَرَّد . اللسان : زول .
(١٣٠) العالية : اسم لكل ما كان جهة نجد من المدينة وقراها .
(١٣١) ما بين القوسين من ل .

وهذا باب من التعازى والمواظ

ثم نعود إن شاء الله إلى الشعر ونُصِلُهُ بمثل هذا والقوة لله جلّ ذكره .
يُروى عن جعفر بن محمد أنه قال :

مات أخ لبعض ملوك اليمن فعزاه بعض العرب فقال فى تعزيتة :^(١)

اعلم أنّ الخلق للخالق ، والشكر للنعمة ، والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ،
ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك أو ستركه . فما
الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى ؟ وما الحيلة فيما سينقل^(٢) عنك أو
تنتقل عنه ؟ قد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله وأحقّ الأشياء
عند المصائب الصبر ، وأهل هذه الدنيا سقّر لا يحطّون الرّكاب إلا فى غيرها . فما
أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير ، فأعْتَبِرْ بمن قد رأيت من أهل الجزع ؛
هل ردّ أحد منهم إلى شيء من درك ! . واعلم أنّ أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ،
وإنما ابتلاك المُنعم وأخذ منك المُعْطى ، وما ترك أكثر . فإن نسيبت الصبر فلا تُغفل
عن الشكر ، وكلاً فلا تدع . وما أصغر المصيبة اليوم مع عظم المصيبة فى غدّ ، فاستقبل
المصيبة بالحسنة تستخلف بها نعمًا ؛ فإنما نحن فى الدنيا أغراض تنتضل^(٣) فيها المنايا ،
ونهب للمصائب مع كل جرعة شَرَق وفى كل أكلة غَصَص . لأثنال نعمة إلا بفراق
أخرى ، ولا يَسْتَقْبِلُ معترّ يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له زيادة
فى أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزق ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر^(٤) . فنحن أعوان
الحتوف على أنفسنا ، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار
لا يرفعان من شيء شرفًا إلا أسرعا فى هدم مرفعا ، وتفريق ما جمعا . فاطلب الخير
وأهله ، واعلم أن أخيرًا من الخير مُعْطيه ، وشرًا من الشرّ فاعله . والسلام .

(١) الخبر بالتفصيل فى التعازى للمدائنى ، وفيه وملك اليمن هو النعمان بن المنذر وزيادات كثيرة

(٢) انظر التعازى للمدائنى ص ٨٨ - ٩٣ . (٢) وفى البيان والتبيين ٤ - ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) الغرض : الهدف والانتضال : الاستباق فى رمى الأغراض

(٤) إلامات له أثر : من ل .

قال أبو العباس : وعن جويرية بن أسماء^(٥) عن عمه أن إخوة ثلاثة شهدوا يوم (تُسْتَر) ^(٦) ، فاستشهدوا ، فخرجت أمهم إلى السوق يوما لبعض شأنها ، فتلقاها رجل قد حضر أمرهم فعرفته ، فسألته عن بنينا ، فقال : استشهدوا .

فقلت :

أقبلين أم مدبرين ؟

فقال :

بل مقبلين .

فقلت :

الحمد لله ، نالوا الفوز وحاطوا الذمار^(٧) ، بنفسى هم وأمى وأبى^(٨) .

وقال خالد بن عطية :

قال عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على خلقه ، ثم سوى فيه بينهم فقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾^(٩) فليعلم ذوو النهى أنهم صائرون إلى قبورهم مفردون

بأعمالهم ، واعلموا أن عند الله مسألة فاضحة فقال جل وعز :

﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾^(١٠) .

(٥) جويرية تصغير جارية بن أسماء بن عبيد الضبعى بضم المعجمة وفتح الموحدة البصرى صدوق من السابعة مات سنة ١٧٣ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ١٣٨

(٦) تُسْتَر : مدينة فى خوزستان . (انظر هامش التعازى : ١٧) .

(٧) فى م ، ل والتعازى ١٧

(٨) التعازى : ١٧ . الصواب : حاموا الذمار والذمار ما وراء الرجل مما يحق أن يحميه ، وهو مثل قولهم : حامى الحقيقة وسمى ذمارا لأنه يجب على الرجل أن يتوفر له أى أن يغضب ويحميه .

(٩) سورة العنكبوت : ٥٧ .

(١٠) سورة الحجر : ٩٢ وفى الكامل : مسألة فاحصة . والخبر فى التعازى : ٢٠ .

وقال يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه : استشهد ابن لأبي أمانة الجَنَاصِي ،
فكتب عمر إلى أبي أمانة :

(الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه . قد بلغني الذي ساق الله إلى عبد الله
بن أبي أمانة من الشهادة . فقد عاش بحمد الله مأموناً ، وأفضى إلى الآخرة شهيداً ،
وقد وصل إليكم من الله خيرٌ كثيرٌ إن شاء الله)^(١١)

وقال يزيد بن عمر الكلبي :
قال رجل لعمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ
لَمَّا قَدْ تَرَى يُغْدِي الصَّغِيرُ وَيُولَدُ
هَلِ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ
لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ النِّعَةِ مَوْرِدُ^(١٢)

وقال إِبْرَاهِيمُ السَّرِيُّ الْأَزْدِيُّ^(١٣) عن شيخ من أهل الحَرَّة :^(١٤)
إن عمر بن عبد العزيز خطب النَّاسَ بعد وفاة ابنه عبد الملك ، ونهى عن البكاء
عليه ، وقال :

إن الله جل ذكره لم يجعل لمُسيءٍ ولا لِمُحْسِنٍ خُلُودًا في الدنيا ، ولم يُرَضَ بما
أعجَبَ أهلها ثوابًا لأهل طاعته ، ولا بيلاتها عقوبة لأهل معصيته ، فكل ما فيها من
محبوب متروك ، وكل ما فيها من مكروه مُضْمَحَلٌّ كتب على أهلها الفناء ، وأخبر أنه
يرث الأرض ومن عليها . فاتقوا الله ، واعملوا ليوم ﴿ لا يجزى والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئاً ﴾^(١٥) .

(١١) الخبر في التعازي : ٢١ . (١٢) الخبر والبيتان في التعازي : ٢١ ، ٢٢ .
(١٣) ل : أبو البيداء الأسدي (١٤) واحدة من حَرَّتَيِ المدينة الشرقية أو الغربية
(١٥) الآية : سورة لقمان : ٣٣ . والخبر في التعازي : ٢٢ والراوي متفق مع ما جاء في م .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك ، وكان موته بالطاعون ، وكانوا يقولون : إذا مس الطاعون وهو قرحة فَوَجِدَ لَنَا طُمِعَ لصاحبه في البرء منه ، وإن كان خشناً يُحَسِّنَ من صاحبه ، فدخل عمر على ابنه فقال :

دعنى أَمْسُسُ^(١٦) قرحتك ، فكره عبد الملك أن يَمْسُها أبوه فَيَجْزَعُ ، وكانت خشناً فقال أَوْ تُعْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فعلم عمرُ لِمَ منعه ، فقال :
وَلِمَ يَا بَنِي ؟ فوالله لأنْ أَقْدَمَكَ فَأَجَدَكَ في ميزاني أَحَبُّ إِلَيَّ من أنْ تُقَدِّمَنِي فتَجِدَنِي في ميزانك .

فقال :

وأنا والله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لأنْ يَكُونَ ما تَحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ من أنْ يَكُونَ ما أَحَبُّ فَلَمْسِهَا
فقال :

يا عبد الملك . ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ ﴾^(١٧)

فقال :

﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١٨)

وروى عبد الله بن مسلم وغيره :

أنْ خَنَسَاءٌ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْهَا صِدَارٌ مِنْ شَعْرٍ فَقَالَتْ لَهَا : يَا خَنَسَاءُ اتَّخِذِي الصِّدَارَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ ؟^(١٩)

فقالت :

يَا أُمَّمُؤْمِنِينَ ، إِنْ زَوْجِي كَانَ رَجُلًا مِثْلَافًا فَأَمْلَقْنَا فَقَالَ :

لَوْ أَتَيْتِ مَعَاوِيَةَ فَاسْتَعْتَتْهُ ؟

فَلَقَيْنِي صَخْرًا أَخَى فَقَالَ :

(١٦) ل : أَمْس .

(١٧) سورة آل عمران : ٦٠ . (١٨) الآية من سورة الصافات : ١٠٢ . والخبر في التعازي : ٢٢ .

(١٩) الصدار : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، تلبسه المرأة .

أين تريدین ؟

فأخبرته ، فشاطرني ماله ، فأتلفه زوجي ، ففعل ذلك ثلاث مرات .

فقلت أمرأته :

لو أعطيتها من شرارها - تعنى الابل - فسمعتة يقول : (مشطور الرجز)
والله لا أمنحها شِرَارَهَا وَلَوْ هَلَكْتُ عَطَلْتُ خِمَارَهَا
وَأَتَّخِذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

فلما هلك. اتخذت هذا الصدار ، وَنَذَرْتُ لا أضعه حتى أموت^(٢٠) .

وقال أبو محمود :

قالت الخنساء : كنت أبكى صخرًا على ما فاته من الحياة فأنا اليوم أبكى له من

النار .

ويروى أن عائشة رضى الله عنها أنشدتها الخنساء بعض أشعارها فى صخر ، أحسبه

(الوافر)

قولها :

أَلَا يَاصْخُرُ إِن أَبْكَيْتُ غِنَى لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءٍ مَقُولَاتٍ وَكُنْتُ أَحَقُّ مَنْ أَبْدَى الْقَوِيلَا
دَفَعْتُ بِكَ الْخُطُوبَ وَأَنْتَ حَيٌّ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخُطْبَ الْجَلِيلَا
إِذَا قَبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَبِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا^(٢١)

فقلت لها عائشة :

اتبكين صخرًا وإنما هو جَمْرَةٌ فى النار ؟

قالت :

يأُم المؤمنین ، ذاك والله أَشَدُّ لجزعى عليه .

(٢٠) الخير فى التعازى : ٢٩ ، ٣٠ . والكامل : ٢٠٣ وزاد فيه المبرد . وكان صخر أخلأً بيها فقط

(٢١) الكامل : ٣ ، ١٢ ، انيس الجلساء : ٧٢ .

وقال مسلمة :

لما قتل عبد الله بن عامر بن مِسمع بالزاوية^(٢٢) أتوا الحجاج برأسه ، فقالوا اذهبوا برأسه إلى عامر بن مسمع - يعنى أباه - فأتوه ، فجعله في ثوبه ، وأقبل به إلى الحجاج وهو يبكي ، فقال : أجزعت عليه ؟

فقال :

لا ، بل جزعت له من النار فإن رأى الأمير أن يأذن لى في دفنه ، فأذن له ، فدفنه^(٢٣) .

وقال مسلمة بن محارب :

قُتِلَ معاوية بن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب^(٢٤) في الحرب التي التي كانت بين (سلم)^(٢٥) بن قتيبة وبين سفيان بن معاوية . فلما ولى سفيان البصرة أرسل إلى خالد بن صفوان أن ابنك قتل ، وقتل ابني ، فأرسلت إليك أتعزى بك وتتعزى لى . فقال :

أصلح الله الأمير ، أنا وأنت كما قالت الباكية :
[المجت]
أَسْعِدْنِي أَخَوَاتِي . فَأَلْوِزِلْ لِي وَلَكُنْ

فقال سفيان :

جَدَدْتُ لى حزنا .

فقال :

أصلح الله الأمير ، فَلْيُسَلِّ عَنْكَ مَا جَدَدْتُ لَكَ الْعَلَمَ بِأَنَّكَ غَيْرَ بَاقٍ^(٢٦)

قال كُليب بن خُلف :

قال عبد الكريم المازنى لعبد الله بن عبد الله بن الأهم :

-
- (٢٢) الزاوية مكان قرب البصرة من الأماكن التي حارب فيها الحجاج وانتصر .
(٢٣) الخير في التعازى : ٣٠ . (٢٤) ابن صفرة وكان قد ولى البصرة . الجمهرة لابن حزم ١٩
(٢٥) سلم بن قتيبة الباهلى والد أمير خراسان صدوق ، ولاء المنصور البصرة
(٢٦) الخير في التعازى : ٣٠ ، ٣١ .

كيف كان جزعك على أهل بيتك ؟

فقال :

ما ترك حُبَّ الغداء والعشاء في قلبي حزناً على أحد^(٢٧) .

وقال يزيد بن عياض بن جعدبة :

كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة يقول :

إِنْ ابْتَلَيْتُ فَقَدْ قَتَلَ أَبِي وَإِمَامِي عَثْمَانُ . فَصَبَّرْتُ^(٢٨)

وقال قائل لعبد الملك بن مروان :

أَدْرَكْتَ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَثْمَانَ ؟

قال :

نعم !

قال :

فكيف كان جزعك عليه ؟

قال :

شغلني الحَقُّ لأن أدرك بثأره عن الحزن عليه

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن إسماعيل بن يسار^(٢٩) :

مات ابنُ لأرطأة بن سُهَيْبِ المَرِّي^(٣٠) من غُطفان يقال له عمرو فأقام على قبره

حَوْلًا ، يَأْتِيهِ كُلُّ غَدَاةٍ فيقول :

(٢٧) الخبير في التعازي : ٣٤ .

(٢٨) الخبير في التعازي : ٣٤

(٢٩) إسماعيل بن يسار أصله من أذربيجان ولد ونشأ بالمدينة وهو شاعر مجيد فصيح الألفاظ سهل التراكيب ، وكل أهله شعراء وعرف بالشعبوية لذلك لم يلق حظه من الخلفاء سواء الزبيريون أم الأمويون توفي سنة ١١٠ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لفروخ ١ - ٣) .

(٣٠) أرطأ بن سهيب المزني ، وسهيب أمه شاعر أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان

ومدحه وأولاده من بعده توفي سنة ١٣٠ هـ . التعازي ٣٤

يا عمرو ! هل أنت غاد معي ؟
فلما كان رأسُ الحول تمثّل قولَ لييد :
إلى الحولِ ثمّ اسمُ السّلامِ عليكما
وَمَنْ يَتِكَ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ
ثم ترك قبر ابنه (٣١) .

وقال أبو عمرو بن يزيد :
مات أخٌ لملك بن دينار (٣٢) فبكى وقال :
يا أخى لا تقرّ عينى بعدك حتى أعلم أفى الجنة أنت أم فى النار ولا أعلم ذلك حتى
ألحق بك (٣٣) .

وقال مسلم بن محارب :
لما أتت معاوية وفاةُ زيادٍ استرجع وقال : (الطويل)
وَأَفْرَدْتُ سَهْمًا فِي الْكِتَابَةِ وَاحِدًا
سَيَّرَمَى بِهِ أَوْ يَكْسِرُ السَّهْمَ كَاسِرٌ (٣٤)

وقال أبو زكريا العجلاني وغيره أن معاوية نُعيَ إليه سعيد بن العاصي (٣٥) وعبد الله
ابن عامر (٣٦) فاسترجع وقال : (الطويل)

(٣١) الخير فى التعازى : ٣٤ .
(٣٢) مالك بن دينار البصرى الزاهد أبو يحيى صدوق عابد ، من رواة الحديث ، يكتب المصحف
توفى بالبصرة سنة ١٣١ هـ . تقريب التهذيب ٢ - ٢٢٤ .
(٣٣) التعازى : ٣٨

(٣٤) البيت فى الكامل : ١١٩١ . والخير فى التعازى : ٣٨ .
(٣٥) سعيد بن العاصى استعمله عثمان على الكوفة ، وغزا بالناس طبرستان واستعمله معاوية على
المدينة ، توفى بالعرصة على بعد ثلاثة أميال من المدينة سنة ٥٩ هـ وله من العمر ٥٦ سنة . التعازى :
١٨ .

(٣٦) عبد الله بن عامر ، ابن خال عثمان بن عفان ولاء البصرة وفارس وافتتح خراسان وسجستان
وغيرهما . توفى ٥٩ هـ بمكة وله العمر ٥٥ سنة . التعازى ٣٩ .

إِذَا مَاتَ مِنْ خَلْفِ امْرِئٍ وَأَمَامَهُ
وَأَفْرَدَ مِنْ جِوَارِهِ فَهُوَ سَائِرٌ^(٣٧)

وقال عبد الله بن مسلم :
بكى رجل على شاة له أصيب بها فأكثر ، فراه رجل من باهلة يقال له الحارث
بن حبيب فقال :

يَا أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى شَايِهِ يَبْكِي بُكَاءَ غَيْرِ إِسْرَارٍ
إِنَّ الرِّزِيَّاتِ وَأَنْشَاهَا مَالَقَى الْحَارِثُ فِي الدِّارِ
دَعَا بَنِي مَغْنٍ وَأَشْيَاعَهُمْ فَكَلَّهْمُ يَغْدُو بِمَخْفَارٍ

وكان للحارث المذكور عشرة بنين ، فَحَلَبَ يَوْمًا فِي عِلْبَةٍ وَوَضَعَهَا فَمَجَّ فِيهَا أَسْوَدُ
سَالَخٌ فَبَعَثَ بِالْعِلْبَةِ إِلَى بَنِيهِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي ، فَشَرَبُوا فَمَاتُوا جَمِيعًا . وَقِيلَ : بَلْ كَانُوا
سَبْعَةً ، فَسَقَطَ عَلَيْهِمْ حَائِطٌ فَفَتَلَهُمْ^(٣٨) .

وقال خالد بن يزيد بن بشر :
جَزَعَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَيَّ ابْنَهُ أَيُّوبَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ
رَجُلًا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ لَغَيْرِ جِيدِ الرَّأْيِ^(٣٩) .

وقال صَدَقَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَازَنِيُّ^(٤٠) .
مَاتَ حَنْظَلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ^(٤١) . فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ ، فَهَنَّتْهَا جَارَاتُهَا وَقُلْنَ
لَهَا :

(٣٧) البيت في الكامل : ١١٩٦ . والخير في التعازي : ٣٨ ، ٣٩ .
(٣٨) الخير في التعازي : ٣٩ ، وفي ل في البيت الثالث بنى معن وهو موافق لرواية التعازي .
(٣٩) الخير في التعازي : ٤٠ .
(٤٠) صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية أو أبو محمد الدمشقي مات سنة ٦٦ هـ تقرب التهذيب
١ - ٣٦٦ .

(٤١) هو حنظلة بن الربيع الكاتب ، وأبوه الربيع بن صيفى هو أخو أكرم بن صيفى وهو من
بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، توفي سنة ٤٥ هـ التعازي : ٤٤ .

(السريع)

إن هذا يُخبط أجرك . فقالت :

تَعَجَّبَ الدُّفْرُ لِمُخْزَوْنَةٍ تَبْكِي عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاحِبٍ
إِنْ تَسْأَلْنِي الْيَوْمَ مَا شَفَّنِي أَجْبِرْكَ قَوْلًا لَيْسَ بِالْكَاذِبِ
إِنْ سَوَّادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةِ الْكَابِ

وكان حنظلة قد كتب لرسول الله ﷺ (٤٢) .

وقال إسحاق بن أيوب ، وعامر بن حفص (٤٣) ومسلمة بن مخارب :
قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه محمد بن عروة فدخل مُحمَّد
دار الدواب فضرته دابة فخرميتا ، ووقعت في رجل عروة الأكلة ، ولم يدع ورده
تلك الليلة .

فقال له الوليد :

اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك ، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير . ولم يمسه
أحد . وقال :

﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (٤٤)

وقدم على الوليد في تلك السنة قوم من بنى عَبْس ، فيهم رجلٌ ضَرِير فسأله الوليد
عن عينيه فقال :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَتْ لَيْلَةٌ فِي بَطْنِ وَادٍ وَلَا أَعْلَمُ عَبْسِيًّا يَزِيدُ مَالَهُ عَلَى مَالِي ، فَطَرَقَنَا
سَيْلٌ فَذَهَبَ بِمَا كَانَ لِي مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ وَوَلَدٌ غَيْرُ بَعِيرٍ وَصَبِيٌّ مَوْلُودٌ . وَكَانَ الْبَعِيرُ صَغْبًا
فَنَدَّ ، فَوَضَعْتُ الصَّبِيَّ وَاتَّبَعْتُ الْبَعِيرَ ، فَلَمْ أَجَاوِزْهُ (٤٥) إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى سَمِعْتُ صَبِيحَةَ
ابْنِي ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَرَأْسَ الذُّبِّ فِي بَطْنِهِ وَهُوَ يَأْكُلُهُ ، وَلَحَقْتُ الْبَعِيرَ لِأَحْبِسَهُ فَتَفَحَنِي

(٤٢) الخبر في التعازي : ٤٤ .

(٤٣) عامر بن حفص عالم بالأنساب يلقب بسحيم توفي سنة ١٩٠ هـ . الأعلام : ٤ - ١٧ .

(٤٤) سورة الكهف : ٦٢ .

(٤٥) م : أجاوز .

برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر .

فقال الوليد :

انطلقوا به إلى عُرْوَةَ لِيَعْلَمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بِلَاءَ .

وشخصَ عُرْوَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَتَتْهُ قَرِيشٌ وَالْأَنْصَارُ فَقَالَ لَهُ عِيسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ :

أَبَشِيرُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا ، وَاللَّهُ مَا بِكَ حَاجَةٌ إِلَى الْمَشَى .
فقال :

مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ اللَّهُ إِلَيَّ ، وَهَبَ لِي سَبْعَةَ بَنِينَ ، فَمَتَّعَنِي بِهِمْ مَا شَاءَ ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدًا وَتَرَكَ سِتَّةَ ، وَوَهَبَ لِي سِتَّ جَوَارِحَ فَمَتَّعَنِي بِهِمْ مَا شَاءَ ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدَةً وَتَرَكَ لِي خَمْسًا : يَدَيْنِ وَرِجْلًا وَسَمْعًا وَبَصَرًا^(٤٦) ثُمَّ قَالَ :

اللَّهُمَّ لَئِنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَقَدْ أَبْقَيْتُ ، وَلَئِنْ كُنْتُ أَتَيْتُ لَقَدْ عَافَيْتُ .

وكرر الموتُ سنَّةً بالبصرة ، فقليلٌ للحسن :

يَا أَبَا سَعِيدَ ، أَلَا تَرَى ،

فقال :

مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ رَبُّنَا ، أَقْلَعَ مُذْنِبٌ ، وَأَنْفَقَ مُمَسِّكٌ ، وَلَمْ يُغْلَظْ بِأَحَدٍ .

وَقَالَ مَخْلَدٌ^(٤٧) بْنُ حَمْزَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ^(٤٨) قَالَ :

(٤٦) الخبر في التعازي : ٤٥ .

(٤٧) مخلد بن حمزة موافق لما جاء في رواية المدائني في كتابه التعازي : ٤٧ .

(٤٨) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي راوية ثقة فقيه ، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبي توفي

سنة ١٣٦هـ وقد بلغ من العمر المائة وثلاث . تقريب التهذيب : ١ - ٥٢١ .

دخل عبد الله بن الزبير^(٤٩) على أمه أسماء بنت أبي بكر ، فقال لها : يَا أُمُّهُ ، قد خذلني الناس فما بقي معي إلا من ليس عنده من الصبر أكثر من ساعة ، والقَوْمُ يُعْطَوْنِي ما أردتُ ، فما رأيك ؟

قالت :

أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، والله^(٥٠) تدعو فامض على حَقِّكَ ، ولا تمكن غلمان بني أمية من نفسك .

قال :

وَقَفَّكَ اللَّهُ ، هذا رأيي ، وإني لحسنُ الظنِّ بربي ، فَإِنْ هَلَكْتُ فلا يَشْتَدَّ عَلَيَّ جَزَعُكَ ، فَإِنَّ ابْنَكَ لم يتعمد إتيانَ دَنِيَّةٍ ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يَجْرُ في حُكْمٍ . ولم يَسْعَ بغدر ، ولم يكن شيء آثر عنده من رضى ربه .

اللَّهُمَّ إِنِّي لا أقول هذا تزكية لنفسي وأنت أعلم بي ، ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تسَلِّوْا عني^(٥١)

وقال على بن مجاهد بن عبد الأعلى بن ميمون :

دخل عبد الله بن الزبير على أمه ، فقال :

كيف أصبحت يَا أُمُّهُ ؟

قالت :

إِنِّي لَوَجَعَةٌ !

قال :

إِنَّ فِي المَوْتِ لِرَاحَةً

قالت :

(٤٩) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو خبيب ، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين ، تولى الخلافة بعد يزيد تسع سنين . قتله الحجاج سنة ٧٣ هـ تقريبا التهذيب : ٤١٥ - ١ .

(٥٠) ل : وإليه تدعو .

(٥١) التعازي : ٤٧ .

والله ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك ، إما ظفرت ففرت عيني ،
وإما قتلت فأحتسبتك وإن أحبهما إلي أن تكون تصلي على وتدفني .
فما دمعت عينه ولا غيها . فما ندري من أيهما نعجب .

ولقد قال :

إني لا آمن إن قتلت أن أصلب ،

فقال له :

يا بني إن الشاة لا تألم للسلخ .

[الطويل]

فحمل على أهل الشام وهو يتمثل :

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبِّهِ

وَلَا مُرْتَقِي مِنْ حَشِيَةِ الْمَوْتِ سَلْمًا^(٥٢)

قال أبو الحسن المدائني :

وأخبرنا يزيد بن عياض قال : لما مات علي بن الحسين ضربت امرأته على قبره
فُسْطَاطًا ، فأقامت فيه حولاً ، ثم رجعت إلى بيتها ، فسمعوا قائلاً يقول :
أدركوا ما طلبوا ؟

فأجابه مجيب :

بل يُسْأَلُوا فأنصرفوا !^(٥٣) .

قال :

واخبرنا علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه قال :
عزى رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك ، فقال عمر :

(٥٢) الخبر في التعازي : ٤٨ . والبيت للحصين بن الحمام المري (أنظر هامش التعازي : ٤٨ ، ٤٩
والبيت الذي بعده

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تُقَطَّرُ الدما

انظر شرح الحماسة للمرزوقي : ١ - ١٩٨ .

(٥٣) الخبر في التعازي : ١٩ .

الذى نزل بعبد الملك أَمَرَ كُنَّا نَنْتَظِرُهُ ، فلما وقع لم نُنْكِرْهُ .^(٥٤)
قال :

واخبرنا بشر بن عبد الله بن عمر^(٥٥) قال : قام عمر على قبر ابنه عبد الملك
فقال :

رحمك الله يابنى ، لقد كنت ساراً مولوداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحبُّ أنى دعوتك
فأجبتنى !^(٥٦)

وقال الأصمعى :

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو يجود بنفسه ، فقال :
كيف تجدك يابنى ؟

قال :

أجدنى فى الموت ، فاحتسبنى يأمر المؤمنين ، فإن ثواب الله خير لك منى .
قال :

رضى الله عنك يابنى فإنك لم تنزل تُسَرُّ أباك وأنت فى الخِرْق ، وما كنت قط
أسرَّ لى^(٥٧) منك حيث يصيرك الله فى ميزانى ، فرضى الله عنك وعن كل شاهد
وغائب دعا لك بخير .

فجعل الناس يَدْعُونَ له رَجَاءً أَنْ يَدْخُلُوا فى دعوة عمر . وعاش عمر بعده أربعين
يوماً ثم هلك .

وقال الأصمعى :

قال عمر : إنما الجزع قبل فوات الشئ فإذا فاتك الشئ فاله عنه
وقال الأصمعى :

كتب رجل إلى عمر يعزيه فأجابه :

إنى لم أزل فى صحة منه وسلامة ، موطننا نفسى على فراقه . والسلام^(٥٨)

(٥٤) الخبر فى التعازى : ١٩ .

(٥٥) بشر هذا حفيد عمر بن عبد العزيز . (٥٦) الخبر فى التعازى : ١٩ .

(٥٧) ل : أسرَّ لى .

(٥٨) الخبر غى التعازى : ٢٣ .

وأخبرنا أبو الحسن عمن حدثه عن مسلمة (بن محارب) قال :

لما مات عبد الملك كشف أبوه غن وجهه وقال :

رحمك الله يابني ، سررت بك يوم بُشِرتُ بك ، ولقد عُمرت مسرورًا بك وما أتت علي ساعة أنابك فيها أسرُّ مني بك من ساعتى هذه ، أما والله إن كنت لتدعو أباك إلى الجنة^(٥٩) .

وتحدث المدائني عن سليمان بن أرقم أن عمر عبد العزيز قال لأبي قلابه - وكان ولي غُسل ابنه - إذا غسلته وكففته فأذني به قبل أن تُعطى وجهه . فنظر إليه فقال : رحمك الله يابني وغفر لك^(٦٠) .

وتحدث عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه قال : استشهد ابن لأبي أمانة الحمصي فكتب عمر إلى أبي أمانة :

(الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه . فقد بلغني الذي ساق معاد الله إلى عبد الله بن أبي أمانة من الشهادة ، فقد عاش بحمد الله في الدنيا مأمونا ، وأفضى إلى الآخرة شهيدا ، وقد وصل إليكم من الله خير كثير إن شاء الله)^(٦١) .

وتحدث عن جعفر بن هلال بن حباب عن أبيه قال : كتب عمر إلى عماله : (إن عبد الملك بن عمر كان عبداً من عبيد الله أحسن إليه وإلى أبيه فيه ، أعاشه ما شاء ثم قبضه إليه . وكان ما علمت - والله به أعلم - خيراً ، من صالحى شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحرياً للخير . وأعوذ بالله أن تكون لى محبة فى شيء من الأمور تُخالف محبة الله ، فإن ذلك لا يحسن لى فى إحسانه لى ، وتتابع نعمه على .

وقد قلت عند الذى كان بما أمر الله عز وجل أن أقول عند المصيبة ثم لم أجد بحمد الله إلا خيراً ، ولا أعلم ما بكت عليه باكية ، ولا ناحت عليه نائحة ، ولا اجتمع لذلك أحد ، فقد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه^(٦٢) .

(٥٩) الخبر فى التعازى : ٢٠ .

(٦٠) الخبر فى التعازى : ٢١ ، ٢٢ .

(٦١) كرر هذا الخبر فى ل . ولم يذكر فى م . ونذكره ها هنا ضمن أخبار عمر بن عبد العزيز .

(٦٢) الخبر فى التعازى : ٢٢ ، ٢٣ .

تُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ عِبَادٍ^(٦٣) أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عُمَرَ لَمَّا مَاتَ ، فَخَرَجَ بِسَرِيرِهِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، صَفَّ عُمَرَ النَّاسَ خَلْفَهُ ، ثُمَّ قَامَ حِيَالَ صَدْرِهِ أَوْ رَأْسِهِ ، وَقَالَ :
هَكَذَا يَقُومُ وَلِيُّ الرَّجُلِ مِنَ الرَّجُلِ ، وَمِنَ الْمَرْأَةِ يَقُومُ حِيَالَ وَسْطِهَا . فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْقَبْرِ دَخَلَ فِيهِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ ابْنِهِ حَتَّى وَضَعَهُ فِي اللَّحْدِ . ثُمَّ قَالَ :

وَهَكَذَا يُصْنَعُ وَلِيُّ الرَّجُلِ بِالرَّجُلِ ، ثُمَّ قَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، وَجَعَلَ الْقَبْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَائِمًا قَامُوا . فَقَالَ :

اجْلِسُوا فَإِنَّمَا يَجِبُ الْقِيَامُ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ .

وَتُحَدِّثُ عَنْ مُسْلِمَةَ بْنِ عُمَانَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

هَلْ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِي حَالَةٍ تَنْزِلُ بِهِ الْمَصِيبَةُ وَلَا يَتَأَلَّمُ لَهَا ؟

قَالَ :

لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا يَكُونُ أَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَكَ مَا تَحِبُّ وَمَا تَكْرَهُ ، أَوْ تَكُونَ فِي الضَّرَاءِ وَالسَّرَاءِ عِنْدَ أَحَدٍ سَوَاءٍ . وَلَكِنْ مُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ^(٦٤) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَسْوَدِ :

[الخطاب]

لَمَّا مَاتَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَزَعَ عَلَيْهِ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ فَرثَاهُ .

وَأَنشَدَنِي هَذَا الشَّعْرَ الرِّيَاشِي :

[الطويل]

إِنْ تِلْكَ أَخْزَانٌ وَفَاقِصُ غَبْرَةٍ أَثَرَنَ دَمًا مِنْ دَاخِلِ الْجَوْفِ مُنْقَعًا
نَجَرَعْتُهَا فِي عَاصِمٍ فَأَخْسَبْتُهَا لِأَعْظَمُ مِنْهَا مَا أَخْسَى وَنَجَرَعَا
فَلَيْتَ التَّائِيَا كُنَّ صَادِقِينَ غَيْرَهُ فَمِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبْنَا بِنَا مَعَا

(٦٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ عِبَادٍ كَانَ شَاعِرًا وَرَآوِيَةً . الرِّسَالَةُ : ٦٠ .

(٦٤) التَّعَازَى : ٣٧ .

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب يرثي أخاه محمد بن عبد الله :

[البسيط]

أَبَا الْمُتَنَزِّلِ يَا عَبْرَ الْقَوَارِسِ مَنْ يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِّعًا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ حَشَيْتُهُمْ وَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَرَزَعًا
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أَسْلِمْ أُخَى لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعًا^(٦٥)

وكان قتله في المعركة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وهو الذي قتل ابراهيم أخاه^(٦٦) .

وقال أبو الحسن : أخبرنا العباس بن معاوية قال :

عزى محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال :

يا أمير المؤمنين لَيْشْتَغَلَكَ مَا أَقْبَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَيْكَ عَمَّنْ هُوَ فِي شُغْلٍ عَمَّا دَخَلَ عَلَيْكَ ،
وَأَعْلَذُ لِمَا تَرَى عُذَّةً تَكُونُ لَكَ جُنَّةً مِنَ الْحَزَنِ وَسِتْرًا مِنَ النَّارِ .
فقال عمر :

فَهَلْ رَأَيْتَ حَزَنًا يَنْكُرُ أَوْ غَفْلَةً أُتْبَهُ لَهَا ؟
قال :

يا أمير المؤمنين ، لو أن رجلاً ترك تعزية رجل لعلمه وانتباهه لكنته ، ولكن الله قضى
أن الذكرى تنفع المؤمنين^(٦٧) .

وقال أبو الحسن :

دخل مسلمة^(٦٨) على عمر في مرضه فقال :

(٦٥) التعازي : ٤٦ ، ٤٧ .

(٦٦) الخبر في التعازي : ٥٣ .

(٦٧) الخبر في التعازي : ٥٧ ، ٥٨ .

(٦٨) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، كان شجاعا وافتتح فتوحا كثيرة في الروم .

يا أمير المؤمنين ألا توصى ؟

قال :

وهل لي مال أوصى فيه ؟

فقال مسلمة :

هذه مائة ألف أبعث بها إليك فهي لك أوصر بها .

قال :

فهلا غير ذلك يا مسلمة ؟

قال مسلمة :

وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

قال :

تردها من حيث أخذتها .

فبكى مسلمة وقال :

يرحمك الله ، فقد ألتت منا قلوباً قاسية ، وزرعت لنا في قلوب المؤمنين مودة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكر^(٦٩) .

وقال أبو الحسن عن سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال :

سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول :

ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه ، وعوضه من ذلك الصبر إلا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه . ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٧٠)

وقال مقسم وهو مولى لبعض أهل المدينة يرثي عمر بن عبد العزيز [رضى الله عنه] :

[البيسط]

لَوْ أَغْظَمَ الْمَوْتُ خَلْقًا أَنْ يَلَايِهِ لَا غَظَمَ الْمَوْتُ أَنْ يَلْقَاكَ يَا غَمْرُ

(٦٩) التعازى : ٨٠ .

(٧٠) سورة الزمر : ١٠ .

لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَهْفَ الْمُوجِعِينَ مَعِيَ عَلَى الْعُدُولِ الَّتِي نَفَى لَهَا الْحَفَرُ
ثَلَاثَةٌ لَا تُرَى غَيْرَ لَهُمْ شَبَهاً نَضُمُ أَعْظَمَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْجَدْرِ^(٧١)
فَقَدْ بَلَغْتَ وَلَمْ تَبْلُغْ فَعَالَهُمْ مَا فَوْقَهُ لِإِمَامٍ مُبْصِرٍ بَصَرُ

قال أبو الحسن :

وقال محمد بن حرب اللّالئ^(٧٢) : كان رسول الله ﷺ إذا عَزَى يقول :
« أَجْرُكُمْ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ » .

وإذا هَنَأَ قال :

« بَارِكَ اللَّهُ لَكُمْ وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ » .

وقال ابن الأعرابي^(٧٣) :

وقف جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس على قبر أخيه محمد بن سليمان
فقال :

اللهم إني أُمسيت أرجوك له وأُخافك عليه ، اللهم فَصِّدْ رَجَائِي وَأَمِّنْ خَوْفِي ،
إنك على كل شيء قدير .

قال الأصمعي :

ولَّى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَعْبَ بْنَ سُوْر^(٧٤) قِضَاءَ الْبَصْرَةِ .

(٧١) أعظمهم : من ل .

(٧٢) محمد بن حرب اللّالئ من النّبهاء الذين روى عنهم الجاحظ .

(٧٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي اللّغوي الشاعر توفى سنة ٢٣١ هـ وقد جاوز الثمانين .

(انظر الأعلام : ٦ - ٣٦٥)

(٧٤) كعب بن سور بن بكر الأزدي تابعي بعثه عمر قاضياً على البصرة وأقره عثمان عليها وفي
عهد الفتن انضم إلى علي وكان يدعو إلى المصالحة ، قُتِلَ بسهم أصابه سنة ٣٦ هـ . من الأعلام
بتصرف .

قال أبو العباس :

وكان سبب ذلك أنه حضر مجلس عمر ، فجاءت امرأة فقالت :

يا أمير المؤمنين إن زوجي صَوَّام ، قَوَّام . فقال عمر :

إن هذا رجل صالح ليتنى كنت كذا .

فَرَدَّتْ عليه الكلام . فقال عمر كما قال :

فقال كعب بن سور الأزدي :

يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها ، تخبر أنها ليس لها منه حظ .

فقال :

علّى بزوجها . فأتى به . فقال له :

ما بالها تشكوك ، وما رأيت امرأة أكرم شكوى منها ؟

فقال :

يا أمير المؤمنين ، (أفى طعام أو شراب) ؟

قال :

لا

فقال عمر :

يا كعب كما فهمت كلامهما اقض بينهما .

فقال المرأة :

[الرجز]

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ رَشْدُهُ أَلْهَى حَلِيلِي عَنْ فَرَاشِي مَسْجِدُهُ

زَهْدُهُ فِي مَضْجَعِي تَعْبُدُهُ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ مَا يَرْقُدُهُ

فَلَسْتُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهُ فَأَقْضِ الْقَضَا كَعْبُ وَلَا تُرَدِّدُهُ

فقال الرجل :

زَهَّدْنِي فِي فِرْشِيهَا وَفِي الْحَجَلِ أَنِّي أَمْرُو أَدْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلَ

فِي سَوْرَةِ النَّحْلِ وَفِي السَّبْعِ الطُّوْلِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَخْوِيفُ جَلَلِ

قال كعب :

إِنْ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا يَا رَجُلُ تُصَيِّهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلَ

فَاغْطِهَا ذَاكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعِلْلَ

ثم قال :

إن الله تعالى قد أحل لك من النساء مثني وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام وليالهن تعبد
فيهن ربك . ولها يوم وليلة .

فقال عمر :

والله ما أدرى من أى أمريك أعجب ، أمن فهمك كلامها ، أم من حكمك بينهما .
اذهب فقد وليتك قضاء البصرة^(٧٥)

قال أبو العباس : اتصلي هذا بخبز الأصمعي :

فلم يزل [كعب قاضياً]^(٧٦) عليها حتى قتل عثمان . فلما كان يوم الجمل خرج مع أهل
البصرة وفي عنقه مصحف ، فقتل هو يومئذ وثلاثة إخوة أو أربعة . فجاءت أمهم
فوجدتهم في القتل ، فحملتهم وجعلت تقول :

أَيَا عَيْنُ بَكِّي بَدَمْعِ سَرَبٍ عَلَى قِتَّةٍ مِنْ نِجَارِ الْقَرْبِ
فَمَا ضَرَّهُمْ غَيْرُ حَيْنِ الثَّفْرِ سِ أَيْ أَمِيرِي قُرَيْشٍ غَلَبَ^(٧٧)

وقال أبو الحسن :

أخبرني مخبر قال : كتب غيلان إلى رجل من إخوانه أنه أصيب بابه فجزع عليه :
أما بعد . فإن الله أعطاك هبته ، وجعل عليك أدبه ومؤنته ، فأنت تحشى فتنه ،
فاشدد بذلك سرورك ، فلما قبض الله هيبته ، وكفاك أدبه ومؤنته ، وأمن فتنه ، اشد
لذلك جزعك ، فأقسم بالله أن لو كنت تقياً لُعْزِيت على ما هُنْتُت عليه ، وَلَهْمُتَتْ على
ما عُزِيت عليه ..

(٧٥) ما بين القوين من قوله (أى طعام إلى قوله : قضاء البصرة) من : ل هذا مع تصحيح
النقص الذى ورد في : ل .

(٧٦) [كعب قاضياً] توضيح لقوله : فلم يزل عليها .

(٧٧) البيتان لعبد الرحمن بن الحكم وهو شاعر إسلامي متوسط الحال في شعره يرثى قتل قريش
يوم الجمل انظر الكامل وهامشه ص ١١٩١ .

فإذا أتاك كتابي فاصبر على الأمر الذى لا غنى بك عن ثوابه ، ولا صبر لك على عقابه . واعلم أن كل مصيبة لم يُذهب فرحُ ثوابها حزنَها ، فذلك الحزن الدائم .^(٧٨)

وقال أبو الحسن .

لما هلك ابن عمر بن ذر^(٧٩) وقف عليه أبوه وهو مُسَجَّى فقال : يا بنى ، ما علينا من موتك غضاضة ، وما بنا إلى أحد سوى الله^(٨٠) من حاجة . فلما دُفِنَ قام على قبره فقال :

يا ذرّ غفر الله لك ، فقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، لأننا لا ندرى ما قلت وما قيل لك .

اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضته عليه من حقّى ، فهب لي ما قصر فيه من حقك ، واجعل ثوابى عليه له ، وزدني من فضلك فإنى إليك من الراغبين ! فسئل عنه فقيل :

كيف كان معك ؟

فقال :

ما مشيتُ معه بليل قطّ إلا كان أمامى ، ولا نهار قطّ إلا كان خلفى ، وما علا سطحاً قطّ وأنا تحته رحمه الله تعالى .^(٨١)

وقال أبو الحسن :

أخبرني بعض قريش ، يرفع الحديث إلى ابن عباس قال :

(٧٨) الكامل : ١٠٢ .

(٧٩) عمر بن ذر عبد الله الهمداني الكوفي ثقة توفي سنة ١٥٣ هـ تقريّب التهذيب : ٢ - ٥٥ .
ووفيات الأعيان : ٣ - ٤٤٢ ، ٤٤٣ وفيه أنه توفي سنة ١٥٦ هـ .

(٨٠) م : وما بنا إلى سوى الله .

(٨١) الخبر في ترجمة عمر بن ذر : في وفيات الأعيان : ٣ - ٤٤٢ - ٤٤٣

هلك رجل من أهل المدينة ، فشهد جنازته عبد الله بن العباس رضى الله عنهما ، فلما
دُفِن الرجل ، قال بعض من شاهده :
ليت شعرى إلى ماذا صار صاحبنا ؟
فسمعه ابن عباس فقال :
أما تدري ؟

قال :

لا ، والله .

قال :

لكنى - والله - أدرى ، قال الله عز وجل :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

﴿ ٨٨ ﴾ فَرَّحَ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿ ٨٩ ﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ ﴿ ٩٠ ﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ ٩١ ﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿ ٩٢ ﴾ فَتَرَّلَ مِنْ حِمِيرٍ ﴿ ٨٧ ﴾

وليس صاحبنا من المكذبين الضالين ، فإن أخطأه أن يكون من المقربين فهو من
أصحاب اليمين . (٨٣) .

قال :

ففرح جميع القوم بما سمعوا .

وقال عن عوانة : (٨٤)

لما بلغ خالد بن الوليد موت أبى بكر رضى الله عنه قال :

(٨٢) الواقعة : ٨٨ - ٩٣ .

(٨٣) فإن أخطأه أن يكون من المقربين . ليست فى ل .

(٨٤) أبو الحكم عوانة بن الحكم مؤرخ من أهل الكوفة ضرير . عالم بالإنساب والشعر قالوا عنه

إنه متهم بوضع أخبار لبنى أمية ، اعتمد عليه المدائنى فى كثير من الأخبار . توفى سنة ١٤٧ هـ

عن الأعلام : ٥ - ٢٨٢ بتصرف .

الحمد لله الذى أَمَاتَ أَحَبَّ خَلْقِهِ إِلَيَّ ، واستخلف أبغض الأَمة إِلَيَّ . وقد استخلف عليكم أَمِين أَمَتِكُمْ ، يعنى أبا عبيدة بن الجراح .

قال الأصمعى :

قام خالد بن الوليد على رأس أُنَى عبيدة فستره بردائه من الشمس فقليل له :
ما أردت إلى هذا ؟

قال :

أردت إعزاز الإسلام .

وقال أبو الحسن عن محمد بن الفضل . أُنَى حازم^(٨٥) قال :
مات عقبه بن عياض بن غَنَم الفهرى^(٨٦) فعزى رجل أباه وقال :
- لا تجزع عليه فقد قتل شهيدا - وكان من سادة الجيش -
فقال :

وكيف لا أصبر وقد كان فى حياته زينة الحياة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

وأخبر عن عامر بن الأسود قال :
استشهد لمولئى لبني نوفل بنون ، فعزاه رجل فقال :
آجرك الله فى الباقيين ، ومتعك بالفانين .
فقال له رجل :
لعلك غلطت

(٨٥) أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار المدنى القاضى ثقة عابد مات فى خلافة المنصور تقريبا التهذيب : ١ - ٣١٦ .

(٨٦) عياض هذا من كبار الصحابة وقوادهم . والخبر فى التعازى : ٢٣ ، ٢٤ .

فقال :

لا ، إن الله يقول : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (٨٧) .

وأخبر عن عمر بن مجاشع (٨٨) قال :

قال نافع (٨٩) مولى [عبد الله بن] عمر بن الخطاب : سمع رسول الله ﷺ يقول :
- « نسأل الله تمام النعمة » .

فقال :

أتدري ما تمام النعمة ؟ إن تمام النعمة النجاة من النار (٩٠) .

وسمع ﷺ رجلا يقول :

اللهم ارزقني صبرا . فقال : يا عبد الله ، سألت بلاء فاسأل الله العافية (٩١) .

وعن عمر بن مجاشع قال :

قال رجل لابن عمر وعزاه : أعظم الله أجرك . فقال ابن عمر : نسأل الله العافية (٩٢) .

قال : [أبو العباس]

وهذا حديث ثعلبيه ، وقد مضى في صدر الكتاب ناقصا ، فأتممناه في هذا الموضع ليتوفر ، ويتصل به ما بعده .

تحدث المدائني عن يعقوب بن داود (٩٣) عن بعض أشياخه أن عبيد الله بن العباس بن

(٨٧) سورة النحل : ٩٦ . والخبر في التعازي : ٢٤ .

(٨٨) عمر بن مجاشع المدائني مذكور في الثقات . (انظر ترجمته في لسان الميزان : ٤ - ٢٢٤) .

(٨٩) في الأصل نافع مولى عمر فقد صححناه من الخبر في التعازي للمدائني : ٢٤ . ونافع هذا هو أبو عبد الله من أئمة التابعين في الفقه ورواية الحديث وهو ديلمى مجهول النسب ، أصابه ابن عمر في بعض مغازيه وأرسله عمر عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن : (انظر هامش التعازي ص ٢٤) وتقريب التهذيب : ٢ - ٢٩٦ .

(٩٠) ودخول الجنة : التعازي : ٢٤ . (٩١) التعازي : ٢٥ . (٩٢) التعازي : ٢٥ .

(٩٣) أبو عبد الله يعقوب بن داود ، كاتب الوزراء في الدولة العباسية ، علت منزلته عند المهدي ثم غضب عليه وحجسه ثم أخرجه الرشيد من السجن فأقام بمكة وتوفي سنة ١٨٧ هـ .

عبد المطلب كان عاملاً لعل بن أبى طالب عليه السلام على اليمن ، فخرج إلى على ، واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفى . فوجه معاوية بـسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى ، فقتل عمرو بن أراكة فيمن قتل . فجزع عليه أخوه عبد الله . فقال أبوه :

لَعَمْرِى لَئِنْ أَبَغْتَ عَيْنِكَ مَا مَضَى بِهِ الدُّخْرُ أَوْ سَاقِ الْجِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ
لَتَسْتَفِدَّنَ مَاءَ الشُّوْنِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتُ نَعْرِيَهُنَّ مِنْ بَيْحِ الْبَحْرِ
لَعَمْرِى لَقَدْ أَرْدَى ابْنُ أَرْطَاةٍ فَارِسًا بِصَنْعَاءَ كَاللَّيْثِ الْهَزْبِ أَيْبَى الْأَجْرِ
فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ إِذَا خُنَ بَاكِيًا نَعَزَ وَمَاءَ الْعَيْنِ مَنَحِدَرٌ يَجْرِى
وانشدنى التوزى عن أبى زيد إذ خن باكياً^(٩٤) :

تَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبَكَارُذُ هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجَّهَ عَلَى وَعْبَاسَ وَآلَ أَيْ بَكْرَ^(٩٥)

قال أبو العباس :

وكان بـسر قد قتل خلقاً باليمن . يقول بعضهم : حتى أخاض الخيل فى الدماء . وكان فيمن قتل طفلان لعبيد بن العباس أحدهما من الكتاب . فروى أنه قتلهما وهما يقولان : يا عم لا نعود !

وأما الرواية الفاشية التى كأنها إجماع ، فإنه أحدهما من تحت ذيل أمهما ، وهى امرأة من بنى الحارث بن كعب^(٩٦) . ففى ذلك تقول لما خرج بهما من عندها :

[مجزوء الوافر]

أَلَا مَنْ يَنْ الْأَخْوَى — مِنْ أُمُّهُمَا هِىَ الْكَلَى
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَهَا وَتُسْتَفِى فَمَا تُبْقَى^(٩٧)

(٩٤) وأنشدنى التوزى ... باكياً . ليس موجود فى ل .

(٩٥) هذا الخبر ذكر فى مقدمة هذا الكتاب بشئ من التصرف ، وفى التعازى : ٢٥ ، وفى الكامل : ١١٩٤ .

(٩٦) هى جويرية بنت خالد الكنانية من بنى الحارث بن كعب . انظر الكامل : ١١٩٥ .

(٩٧) ما بين القوسين : (عندها أيضاً) من ل .

[البيسط]

وقالت أيضا :

يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَى اللَّذَيْنِ هُمَا كَالذَّرَّتَيْنِ تَشْطَى عَنْهُمَا الصَّدْفُ
يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَى اللَّذَيْنِ هُمَا قَلْبِي وَطَرْفِي فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُخْطَفُ
يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَى اللَّذَيْنِ هُمَا مِخْ الْعِظَامِ فَمِخِي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ
بُتُّ بُسْرًا وَمَا صَدَقْتُ مَا ذَكَرُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنْ الْإِفْكِ الَّذِي أَقْتَرُوا
أُنْحَى عَلَى وَدَجِي شَيْلَى مُرْهَفَةً بَقِيَا كَذَا وَعَظِيمَ الْبَغْيِ يُقْتَرَفُ^(٩٨)

وقال أبو الحسن :

مات الحسن بن الحُصَيْن أبو عبيد الله بن الحسن^(٩٩) - وعبيد الله يومئذ قاضى البصرة وأميرها - فتذكروا ما يتبين به جزعُ الرجل من صبره ، فأجمعوا على أنه إذا ترك شيئا كان يصنعه فقد جزع ، فاتاه صالح المري^(١٠٠) فعزاه فقال :

يا هذا ، إن كنت مصيبتك أحدثت لك عِظَةً في نفسك فَنِعْمَ المصيبة مصيبتك : وإن كانت لم تحدث لك عِظَةً في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك بأبيك^(١٠١) .

وأخبر عن عامر بن حصين والمثنى بن عبد الله قالا : مات أخ محمد بن سيرين^(١٠٢)

(٩٨) هذا تكملة للخبر السابق وورد في الكامل بيت آخر .
مَنْ ذَلَّ وَالْهَةَ حَرَى مُفْجَعَةً عَلَى حَبِيبَيْنِ غَابَا إِذْ مَضَى السَّيْفُ
الكامل ص ١١٩٥ . والودج : عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .
(٩٩) عبيد الله بن الحسن بن الحُصَيْن العنبري ولد سنة ١٠٥ هـ قاضى البصرة وَفَقِيهَهَا ومحدثها
توفى سنة ١٦٨ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ٥٣١ .
(١٠٠) أبو بشر صالح بن بشير المري البصرى ، أحد رواة الحديث توفى سنة ١٧٣ هـ . تقريب
التهذيب : ١ : ٣٥٨ .

(١٠١) التعازى : ٢٦ ، ٢٧ .
(١٠٢) محمد بن سيرين ولد سنة ٣٣ هـ ، وكان إمام وقته بالبصرة ، اشتهر بالورع وكان ثقة صدوقا ، وكان يعبر الرؤيا . توفى سنة ١١٠ هـ تقريب التهذيب : ٢ - ١٦٩ .

فجزع عليه ، فلما كان في مؤخر الدار ذكر أنه لم يسرح لحيته . فجلس ودعا بمشط
فسرح لحيته ورأسه ثم خرج^(١٠٣) .
وقال الأصمعي : وكان ابن سيرين يترجل غيا ، فجاءه نعي أخيه في يوم ترجله
فترجل .

وأخبر أبو الحسن عن عبد الله بن مرة عن بعض أشياخه أن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه قال للخنساء :
ما أقرح مآقي عينيك ؟
قالت :
بكأني على السادات من مضر !
فقال :
يا خنساء إنهم في النار .
قالت :
ذاك أطول لعويلي عليهم .
وقال عن أبي محمود :
قالت الخنساء :
كنت أبكي لصخر على الحياة ، فأنا اليوم أبكي^(١٠٤) له من النار .

وأخبر عن محمد بن عبد الحميد قال :
نعي رجل لرجل ابنه فقال :
قد بُعِيَ إلَيَّ من قبل
فقال :

(١٠٣) الخبير : في التعازي : ٢٧ .

(١٠٤) ل : فأنا أبكي . والخبير في التعازي : ٢٧ ، ٢٨ .

ومن أعلمك موته وما نعاه غمري ممن يعرفك ؟
قال :

نعاه الله حيث يقول لنيبه : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١٠٥) .

* * *

وأخبر عن أوى المقدام ، وكان كبيراً ، أدرك سعيد بن المسيب^(١٠٦) .
قال :

بلغنى أن أبا مسلم الخولاني^(١٠٧) كان يقول :
لأن أقدم^(١٠٨) سقطاً أحب إلى من أن أدع مائة من خولان ، ولأن أقدم قرطاً^(١٠٩)
أحب إلى من أن أتحلف خولان كلها^(١١٠) .

(١٠٥) سورة الزمر : ٣٠ . والخبر فى التعازى : ٢٨ .

(١٠٦) سعيد بن المسيب أبو محمد تابعى فقيه المدينة ، لم يترك الصف الأول فى الصلاة فى مسجد المدينة ، ولم يخفض للخلفاء والأمراء . جمع بين الحديث والفقة وتوفى سنة ٩٤ هـ . وقد ناهر الثمانين . وهو أحد الأئمة الفقهاء الكبار قال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه .
تقريب التهذيب : ١ - ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(١٠٧) أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب فقيه عاهد زاهد من اليمن ، أدرك الجاهلية . وأسلم قبل وفاة النبى ﷺ سنة ٦ هـ . التعازى : ٢٨ .

(١٠٨) النسقط : الولد الذى يسقط من بطن أمه من قبل تمامه .

(١٠٩) الفرط : ما يتقدم من أجر .

(١١٠) الخبر فى التعازى : ٢٨ .

باب من التعازى والتعزى فى الأشعار [أشعار لىلى الأَحْيَلِيَّة وصاحبها (تُوبَةُ)]

قالت لىلى الأَحْيَلِيَّة^(١) : [الطويل]

قال أبو العباس : قرأته على الرياشى :
أَفْسَنْتُ أَبْكَى بَعْدَ (تُوبَةٍ)^(٢) هَالِكَا
لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارَ عَلَى الْفَتَى
فَلَا الْحَىِّ مِمَّا يُخْدِتُ الذُّفْرُ سَالِمَ
وَكُلُّ شَتَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى
فَلَا يَتَعَدَّلُكَ اللَّهُ بِالتَّوْبِ هَالِكَا
فَأَفْسَنْتُ لَا أَفْكَكَ أَبْكَيكِ مَا دَعَتْ
فَقِيلَ بَنَى عَزُوفَ قَبَالَهْفَى لَهُ
وَإِخْفَلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
إِذَا لَمْ تُعْبِهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
وَلَا أَلَمْتُ أَنْ لَمْ يَصْبِرِ الْحَىِّ تَأْخِيرُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
إِذَا الْحَرْبُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَّوَائِرُ^(٣)
عَلَى قَهْنٍ وَزَقَاءٍ أَوْ طَارَ طَائِرُ
وَمَا كُنْتُ إِهَاتَكُمُ عَلَيْهِ أَحَادِرُ^(٤)

قال أبو العباس :

وأشعار المرائى كثيرة ، وإنما نختار عيونًا من جميعها ومن الشيء أحسنه وكذلك الكلام غير الشعر .

ولم تكن لىلى الأَحْيَلِيَّة امرأة لتوبة ، ولا بينهما نسب لاصق إلا أنها جميعًا من بنى عُقَيْلِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَكَانَتْ تَحِبُّهُ وَيَحِبُّهَا وَرَوَتْ الرِّوَاةُ أَنَّهُ خَلَا بِهَا مَرَّةً فَأَرَادَهَا عَلَى مَا يَرِيدُ الرَّجُلُ ، فَأَبَتْ وَاشْتَمَزَتْ فَقَبِي ذَلِكَ تَقُولُ : [الطويل]

(١) هى لىلى بنت عبد الله بن الرحالة من شواعر العرب أدركت العصر الأموى ، وماتت فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ ولها ديوان شعر . نشوة الطرب : ٥٠٤ ، معجم المؤلفين : ١٦٢ - ٨ .

(٢) توبة بن الحمير الخفاجى كان فارسًا شاعرًا عاشقًا لليل ، قتلته بنو عوف بن عامر أبناء عمه فى خلافة معاوية . نشوة الطرب : ٥٠٤ ، وانظر تاريخ الأدب العربى لفروخ ١ - ٤٦٦ .

(٣) ل : الشطر الثانى فى ل : أَنَا الْحَرْبُ إِذْ دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ .

(٤) الديوان : ٦٤ .

وَفِي حَاجَةٍ فَلَمَّا لَمْ يَلْعَلْ بِهَا فَلَمَّا لَمْ يَلْعَلْ بِهَا فَلَمَّا لَمْ يَلْعَلْ بِهَا
لَمَّا حَاجَتْ لَا يَتَّبِعِي أَنْ نَحْنُ وَأَنْتَ لِأَخْرَى حَاجَتْ وَطِيلَ^(٥)

فأقاما دهرًا على حب عفيف ، وهى السُّنة الجارية فى العشاق الماضين من بنى عُذرة
وغيرهم .

وكان سبب قتل توبة أن بنى عوف كانوا يطلبونه فأحسوه ، وقد قدم من سفر
ومعه عبيد الله بن الحُمَيْر^(٦) أخوه وقابض مولاة وبينه وبين الحى ليلة ، فأتوه طروقًا ،
فهرب أصحابه واسلماه فقتل ، ففى ذلك تقول ليل : [الطويل]

دَعَا (قَابِضًا) وَالْمَرْهَقَاتِ نُسُوشَهُ فَنَبَّحَتْ مَدْعُوًّا وَلَبَّيْتُ دَاعِيًا
فَلَبَّيْتُ عَيْدَ اللَّهِ حُلَّ مَحَلِّهِ فَأَوْدَى وَلَمْ أَسْمَعْ لِقَابَ نَاجِيَا^(٧)
وقالت : [الطويل]

أَعْنَى الْآ فَابْكِي عَلَى ابْنِ مُدِيرٍ يَدْمَعُ كَفَيْضِ الْجَانِلِ السَّجَّارِ
لَبَّيْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ حَفَاجَةِ نَحْوَةِ بِمَاءِ شُورِنِ الْعَبْرَةِ السَّجَّارِ
خفاجة بن عقيل^(٨)

سَمِعَنَ بِهَيْجَا أَوْجَفَتْ فَلَكَرْسُهُ وَقَدْ يَبْعَثُ الْأَحْزَانُ طَوْلَ التَّلَكُّرِ
كَأَنَّ قَتَى الْفَتَيَانَ (تَوْبَةً) لَمْ يُنْعَ يَنْجِدْ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُشْغُورِ
وَلَمْ يَرِدْ الْمَاءُ السَّدَامَ إِذَا بَدَا سَنَا الصَّبْحِ فِي أَغْطَابِ أَحْضَرَ مُدِيرِ
السدام : الآبار القديمة المنفخة وجمعها سدوم .

وقولها : (سنا الصبح) السنا : من الضوء ، مقصور كقول الله عز وجل : (يُكَادُ سَنَا
بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)^(٩) والسناء : من الشرف ممدود . وقولها : (فى أغطاب أحضر
مدبر) تعنى الليل ، تريد بأحضر : أسود وجعلته مدبراً لورود الصبح .

وَلَمْ يَقْدِرْ الْخَصْمُ الْإِلْدَ وَيَمْلَأُ الـ جِفَانِ سَدِيقًا يَوْمَ لِكَيْلَاءِ صَرْحِهِ

(٥) الديوان : ٩٥

(٦) م : عبيد الله بن توبة ، وهو خطأ .

(٧) الديوان : ١٢٣ . (٨) خفاجة بن عقيل من : ل .

(٩) سورة النور : ٤٣

النكباء : الريح بين الريحين : والسديف : شقق السنام^(١٠) . والصرصر الريح الشديد الصوت الباردة^(١١) .

أَلَا زُبٌّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَنَائِلٍ فَعَلَتْ وَمَعْرُوفًا لَدَيْكَ وَمَتَكَّرٍ^(١٢)
فَيَأْتِزُوبُ لِلْمَوَلَى وَيَأْتِزُوبُ لِلْعَدَى وَيَأْتِزُوبُ لِلْمُسْتَبِحِ الْمُتَوَرِّ^(١٣)
فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ :

ما كان توبة كما ذكرت . وقلت : ففى الفتيان وما كان كذلك ، فقالت :
إن كنت كاذبًا فَأَسْأَلُ اللَّهَ عَشْرَكَ^(١٤) ، وأدام فقرك . كان والله شديد البيرة^(١٥) لين
المطقة ، يرضيه أقل مما يُسخطه . وقالت أيضا :

نَظَرْتُ وَرَكْنًا مِنْ أَبَائِنِي ذُوْنَهُ مَقَاوِزُ جِنْمَى أَيْ نَظَرْتُ نَاطِرًا^(١٥)
كَأَنَّ قَلْبِي الْفَتِيَانُ ذُوْنَهُ لَمْ يُسْخَعْ فَلَاحِصٌ يَفْخَمُنُ الْحَصَى بِالْكَرَاكِرِ
وَلَمْ يَنْ أَبْرَادًا هَلَاكًا لِلنَّفْسِ كَيَوْمٍ وَتَزَحَلُ قَبْلَ فَيْءِ الْهَوَاجِرِ
فَقَى لَا تَخْطَاةَ الرَّفَاقِ وَلَا مَسْرَى لِقَدْرِ عِيَالٍ ذُوْنَ جَوَارٍ مُجَاوِرِ
فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَرَاءً فَإِنَّكُمْ لَقَى مَا لَقِئْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ^(١٦)

البواء : الأمثال . يقال : بَاءَ فلان بفلان إذا قُتِلَ به . تقول : فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى يَبُوءُ
بعضها ببعض فَإِنْ تَوْبَةٌ فَوْقَ ذَلِكَ .

وأما قوله عز وجل : ﴿إِلَىٰ أَرْبَابِهِمْ أَن تَبُوءَ بِإِذْنِي وَلِئَمَّكُ﴾^(١٧) إنما هو إن فعلت
أن تحمِلَ الإِثْمَيْنِ المتساويين : الذى رَدَّ عَلَيْكَ قَرِيبَانِكَ فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْ أَجَلِهِ ، وَقَتْلَكَ إِيَّاهُ ،
وكان كل واحد منهما كفاء الآخر . هذا اشتقاق هذا المعنى .

ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حين قتل بجير بن الحارث بن عباد : بُوْ بِشْنَعِ
كُلَيْبٍ ، فَعِيلٌ لِلْحَارِثِ بْنِ عِبَادٍ : إِنْ ابْنُكَ بِجِيرًا قَدْ قَتَلَ .

(١٠) شقق السنام : الشحم

(١١) الصوت الباردة : زيادة من ل .

(١٢) ل : ومعروف . ورواية (م) على التقدير النحوى .

(١٣) فَتَشَلَّ هُنَا : تراخى والعشر : أصابع اليدين وهذا دعاء عليه بالشلل .

(١٤) المرة : القوة . (١٥) الأباين : جبلان . (١٦) الديوان : ٧٤ .

(١٧) سورة المائدة : ٢٩

قال :

إنه لأعظم فتيل بركة إن أصلح الله به بين ابنتي وائل .

قيل :

إن مُهللاً لما قتله قال : بُؤِ بِشِيعِ كُليب^(١٨) .

فعند ذلك دخل الحارث في حربهم ولم يكن دخلها .

رَجَعَ الشَّعْرُ^(١٩) :

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بَوَاءٌ لَأَبْكُكُمْ سَتَلْقَوْنَ يَوْمًا سِرَّةً غَيْرَ صَادِرٍ
وَكُنْتُ إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظَلَامَةً دَعَاكَ وَلَمْ يَغْدِلْ سِوَاكَ بِصَاحِبِ
وَقَدْ كُنْتُ مَوْهُوبَ الْحَنَانِ وَبَيْنَا وَمَجْدَامَ سَيْرِ دَائِبَا غَيْرِ فَاتِرٍ
فَيُعَمُّ الْفَتَى إِنْ كَانَ نَزْوَةً فَاجِرًا وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ
أَتَتْهُ الْمَتَابَا دُونَ دُرْعِ حَصِينَةٍ وَأَسْمَرَ حَطْطَى وَجْزْدَاءَ صَاحِبِ
فَسَالَهُ ثِنْيِي يَتْتَبِعُهَا أَمْ عَاصِمٍ عَلَى مِثْلِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَاسِرِ^(٢٠)

وروت الرواة أنها زارت قبره، فجعلت تقول:

ياتوبة! ياتوبة! ثم أقبلت على مَنْ معها بعد أن سلمت على القبر، فقالت: ماكذبني قبلها
فقليل لها:

فيم ذلك وما تبينا منه كذبا؟

قالت لأنه قال في بعض قوله:

وَلَوْ أَنَّ لَيَالِي الْأَحْيَاءِ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي ثَرْبَةً وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ نَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَائِحُ^(٢١)

قال:

وهذا الكلام غاية المدح، لا لأنها جهلت حال الموتى، ولكن^(٢٢) دلت على أنه لم
تعرف منه كذبة قط حتى يُعْتَدَّ عليه بهذه^(٢٣) ميتا.

(١٨) (بؤ بشيع كليب) سياق الكلام مفصلاً في آخر هذا الكتاب عند ذكر حرب البسوس .

ومعنى المثل : كن كفواً لشيع النعل وهي الجلدة التي بين الأصابع .

(١٩) رجع الشعر من ل . (٢٠) الديوان : ٧٤ . (٢١) الأغاني : ٩ - ٢٤٤

(٢٢) ولكنها دلت على أنه لم تُعرف . (٢٣) ميتا زيادة من ل .

وقال سليمان بن قته^(٢٤) وهو مولى لبنى تيم وانقطاعه إلى بنى هاشم يذكر يوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

[الطويل]

مَرَزْتُ عَلَى آيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا كِمَهْدِهَا يَوْمَ حُلَّتِ
فَلَا يَتَعَدِ اللَّهُ الدَّيَّارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَحَلَّتِ
وَكَانُوا رَجَاءَ نَفْسٍ عَادُوا رِزْيَةً فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتِ
وَأَنْ قَتَلَ الطُّفَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ^(٢٥)
وَعِنْدَ غِنَى قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا سَتَجْزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حُلَّتِ
إِذَا انْفَقَرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَعِيرَهَا وَتَقَطَّلْنَا قَيْسٌ إِذَا النُّغْلُ زَلَّتِ^(٢٦)

قال أبو العباس:

أنشدني الرِّياشي، وأنشدني ما بعدها مما أُملي به إلى انقطاعه .

وقال الفرزدق يذكر ابني مِسْمَعٍ، وكان قد قتلها معاوية بن يزيد بن المهلب بعد قتل ابنه وكانا مروانيين وكان سائر بكر بن وائل مع يزيد بن المهلب، وكان (المتنوف) مولى بنى قيس بن ثعلبة على شرطة يزيد فقتل لسبب عنده^(٢٧) مع يزيد فبكته بكر ابن وائل وهو مولى، وأعترضت عن ابني مِسْمَعٍ وهما صليبة. فقال الفرزدق: [الطويل]

تُبْكِي عَلَى الْمُنْتَوِفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَتَنْهَى عَنِ ابْنِي مِسْمَعٍ مَنْ يَكَاهُمَا
غُلَامَانِ شَبَابًا فِي الْحُرُوبِ وَأَذْرَكَ كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذْ أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَغْلُو سَنَاهُمَا^(٢٨)

وقال الفرزدق أيضا يروي ابنين له ماتا في مدة يسيرة:

[الطويل]

يَفِي الشَّامَتَيْنِ التُّرْبُ إِنْ كَانَ مَسْنَى رِزْيَةُ شَيْلَى مُخْلِجٍ فِي الضَّرَاعِمِ

(٢٤) سليمان بن قته منسوب إلى أمه ولد بالبصرة، وكان شاعرا تشيع لآل البيت وهو من بنى عدى وفي أبياته هذه رثاء للحسين ومن قتل معه بالطف توفى حوالى عام ٢٠ هـ .

(٢٥) الطف: أرض من ضاحية الكوفة، وفيها كان مقتل الحسين رضى الله عنه .

(٢٦) ديوان الحماسة: ١ - ٣٩٩ غير مرتبة مع اختلاف في بعض الألفاظ

(٢٧) لسبب عنده: من ل أى لصلة به .

(٢٨) الديوان: ٧٦٢

وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَاءِ وَرَاءَهُ وَإِنْ غَاضَ أَيَّامًا طَوَالًا بِسَالِمٍ
أَرَى كُلَّ حَيٍّ لَا تَزَالُ طَلِيعَةً عَلَيْهِ الْمَنَاءِ مِنْ ثَنَاءِ الْمَحَارِمِ
يُذَكِّرُنِي ابْنِي السَّمَكَانَ مَوْهِنًا إِذَا ازْتَفَعَا فَوْقَ الثُّجُومِ الْقَوَائِمِ
وَقَدْ رُزِيَءَ الْأَقْوَامِ قَبْلِي بَنِيهِمْ وَاحْوَالَهُمْ فَأَقْنَى حَيَاءَ الْكَرَائِمِ
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُنْدِرَانِ كَلَامُهَا وَعَمَرُوا بَنَ كُفُومٍ شِهَابُ الْأَرَاقِمِ
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانِ وَحَاجِبِ وَعَمَرُوا أَبُو عَمْرٍو وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ
وَقَدْ مَاتَ بِسَطَّامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخُ اللَّهِهَازِمِ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُهْلِكَا هُمْ عَشِيَّةَ بَاتَا زَهْطٍ كَغَبٍ وَحَاثِمِ
فَمَا أَبْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي فَلَنْ يَرْجَعَ الْمَوْتَى حَنِينَ الْمَاءِ (٢٩)

ويقال: خنين.

وماتت امرأة له أيضا وبها حنل، فقال:
وَجَفَنِي سِلَاحٌ قَدْ رَزْتُكَ فَلَمْ أَنْجِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَاءِ أَرْجَأَهُ لَيَالِيَا (٣٠)

وقال بعض الشعراء يعزى رجلا عن ابنه:
[الكامل] اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدْ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرَّةَ غَيْرُ مُخْلَدٍ
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمُصَابَةَ فَادْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وقال الحكمي (٣١) وأحسن جدا:
[الطويل] طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَيِّتُ نَاشِرٍ
لَنْ أَوْحِشْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ مَنَازِلَ لَقَدْ أَسِسْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمَقَابِرِ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخَذَرُ الْمَوْتِ وَخَدَهُ فَلَمْ يَتَّقِ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَادِرُ (٣٢)

(٢٩) الديوان : ٧٦٤ . مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٣٠) الديوان : ٨٩٤ . مع اختلاف في بعض الكلمات .

(٣١) الحكمي يطلق على أبي نواس الشاعر المشهور .

(٣٢) الأبيات من قصيدة لأبي نواس يرثي بها المأمون راجع الديوان : ٢٩٩

وهذا يشبه قول التيمي في يزيد بن مزيّد^(٣٣) [الواغر]

لَقَدْ عَزَى رَيْعَةً أَنْ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلُ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

وقال حارثة بن بدر الغداني يرثي زياد بن أبيه: [البسيط]

صَلَّى إِلَهُ عَلَى قَبْرِ وَطْهَرَهُ عِنْدَ الثَّوْبَةِ يَسْفِي قَوْقَهُ الْمَوْرُ
رَفَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيْدَهَا فَالْجُودُ وَالْحَزْمُ فِيهِ الْيَوْمَ مَقْبُورُ
أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالذُّلْيَا مُفْجَعَةً وَإِنْ مَنْ غَرَّتِ الذُّلْيَا لَمَعْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكَرَاءِ تَكْثِيرُ
وَكُنْتَ تُغْشَى وَتُعْطَى الْمَالُ مِنْ سِعَةٍ إِنْ كَانَ بِأَبْكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ
فَالنَّاسُ بِغَدِكَ قَدْ حَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا تَفَحَّتْ فِيهَا الْأَعَاصِرُ^(٣٤)

وقال خُلَيْدٌ^(٣٥) عَيْنَيْنِ يَرِثِي الْمُنْدَرَ بْنِ الْجَارُودِ الْعَبْدِيِّ^(٣٦)، وكانت بَحْرِيَّةُ بنت
المنذر تحت عبيد الله بن زياد، ومات المنذر بالسُّنْدِ في موضع يقال له: قُصْدَارُ^(٣٧).

[السرغ]

بَحْرِيٌّ قَوْمِي فَأَلْدَبِي مَنَذِرًا وَابْكِي ابْنَ بَشَرٍ سَيِّدَ الْوَاغِدِينَ
وَابْكِي أَبَا الْأَشْعَثِ لَمَّا تَوَى بِالْهِنْدِ لَمْ يَقْفُلْ مَعَ الْقَافِلِينَ
جَاوَزَ قُصْدَارَ وَأَكْأَفَهَا نَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ مَوْرَ الدَّرِينِ
فِي جَدَثٍ عَافٍ بِمَهْجُورَةٍ نَاءٍ عَنِ الزُّوَارِ وَالْعَائِدِينَ
فَأَصْبَحَ الْمَجْدُ بِهَا ثَاوِيًا يَتَنَ صَقًا صُمٌّ وَصَخْرَ رَزِينِ
لَهُ قُصْدَارٌ وَأَكْأَفَهَا أَيْ قَسَى ذُلْيَا أَجْنَتْ وَدِينِ
قَدْ عَلِمْتَ نَفْسِي فَمَا أَمْتَرِي حَقًّا سِوَى الظَّنِّ وَقَوْلِ الْيَقِينِ

(٣٣) يزيد بن مزيّد بن زائدة الشيباني ولي أرمينية وأذربيجان كان كريما شجاعا توفي سنة ١٨٥ هـ . الأعلام : ٩ - ٢٤٤ .

(٣٤) الأبيات في الكامل للمبرد : ٢٧٢ . المور : التراب . الدارين : مكان بالبحرين يجلب إليه المسك من الهند .

(٣٥) اسمه خالد لكنه اشتهر باسمه مصفرا وهو من قرية بالبحرين تعرف بعينين كان يهاجى جريرا ، وهو من عبد القيس ...

(٣٦) ولاء عليّ ثم عزله ، وولاه عبيد الله بن زياد نجر الهند توفي ٦١ هـ (انظر الأعلام : ٨ - ٢٢٦)

(٣٧) قصدار أو قذدار من نواحي السند . معجم البلدان (حرف القاف)

مَا الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ فِيمَا نَرَى مِنْ حَدَثِ الدَّهْرِ وَرَيْبِ الْمَوْتِ
إِلَّا كَفَادِ رَاحِ أَصْحَابِهِ أَوْ رَاحٍ فِي أَثَرِ الْمُتَعَدِّينَ
مَاتَ بِهَا الْجُودُ وَأَوْدَى التَّسَدَّى وَانْقَطَعَ الْخَيْرُ عَنِ السَّائِلِينَ

وقال جرير يروى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : [البيسط]
نَمَى الثُّغَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسَا يَأْخِيزَ مَنْ حَجَّ يَتَى اللَّهَ وَاعْتَمَرَ
حُمِّلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتَ لَهُ وَقُمْتَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَ
قَالَ شُمْشُ طَالَعَةَ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ (٣٨)

وقال بكير بن معدان اليربوعي يروى يحيى بن مُبَشَّر ، وكان قد قُتِلَ بِمَسْكِنَ (٣٩)

مع مصعب بن الزبير : [السريع]
صَلَّى عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعِهِ رُبَّ غَفُورٍ وَشَفِيعٍ مُطَاعٍ
لَمَّا عَصَى الْمُصَنَّبَ أَصْحَابُهُ أَدَّى إِلَيْهِ الْكَيْلَ صَاعًا بِصَاعٍ
أُمِّ عَيْدِ اللَّهِ مَخْرُوءَةً مَا نَوْمُهَا بَعْدَكَ إِلَّا الرُّوَاغُ
يَا فَارِسًا مَا أَنْتَ مِنْ فَارِسٍ مُوْطَأُ الْبَيْتِ رَحِيبِ الدَّرَاغِ
قَوْلٍ مَعْرُوفٍ وَفَعَالٍ لَمْ يَخْرُجْ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ
عَقَارَ مَتَى أَمَهَاتِ الرِّبَاغِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِوَاءُ شِبَاغِ
مَنْ يَكُ لَأَسَاءَ فَقَدْ سَاءَ نَسِي تَزَكُ أَنْيَسَى إِلَى غَيْرِ رَاغِ (٤٠)

وحدثنا بعض جلساء القَحْذَمِيِّ ، وذكر امرأة من الأعراب فقال : كان لها أربعة
بنين ، وكان يمر بها إخوة أربعة غادون لشأنهم ، وكانت تأنس بهم لمشاكلتهم بنينا في
العدد والأسنان ، ثم أصيب بنوها الأربعة إما بطاعون وإما بشبهه واجتنبها الإخوة الأربعة

(٣٨) الكامل : ٦٥٢ .

(٣٩) مسكن : موضوع عند دير الجاثليق قتل به مصعب بن الزبير .

(٤٠) المفضليات القصيدة : ٩٢ .

إبقاء عليها من الحزن إذا رأتهم ، ثم عزموا عزيمةً على المرور بها مرحًا وبغيا .

فلما رأتهم ذرفت عيناهما وتمثلت : [الكامل]

لَنْ يُلْبِثَ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلَ يَكْرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ^(٤١)

فاعتل أحدهم فمات ، فغير الثلاثة لا يقربونها ، ثم فعلوا فلما رأتهم تمثلت : [السريع]

كُلُّ نَيْسٍ أُمٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ يَوْمًا يَصِيرُونَ إِلَى وَاحِدٍ

فلم يلبث واحد منهم أن مات ، وعبر الاثنان لا يقربانها ، ثم اجتازا بها على نحو

ما فعلوا من المرح والدالة . فلما رأتهما قالت : [الوافر]

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ^(٤٢)

فمات أحدهما فأجتنبتا الباقي دهرا ، ثم مرَّ بها فتثلت : [السريع]

وَالْوَاحِدُ الْفَرْدُ كَمَنْ قَدْ مَضَى لَيْسَ بِمَشْرُوكٍ وَلَا خَالِدٍ

فقال :

أَتِيلِينِي^(٤٣) جعلني الله فداك ، فأني والله غير عائد .

وقال أبو العباس :

و[أيضا]^(٤٤) هذان يتان قديمان لا يعرف قائلهما . ويروى أن أبا بكر الصديق

رضي الله عنه كان ينشدهما ، فبعض الناس يقول : هُمَا لَ [مجزوء الكامل]

تُفْلِكَ تَسْمَعُ مَا حَيَّ سَ بِهَالِكٍ حَتَّى تُكُونَنَّ

وَالْمَرْءُ قَدْ يَرْجُو الرَّجَاءَ مُعَيَّيَا وَالْمَوْتُ دُونَنَّ

(٤١) البيت من قصيدة لجرير يرثي بها امرأته الكامل : ١١٩٧ . الديوان : ٢٣٩

(٤٢) البيت لعمر بن معدى كرب . الكامل : ١٢٤

(٤٣) التصحيح من الرسالة

(٤٤) أبو العباس والوافر من ل . وما بين القوسين من المحقق للتوضيح .

وقال وضاح الين: (٤٥)
يَا مَوْتُ مَا إِنْ نَزَالَ مُعْتَرِضًا لَا مِلْ دُونَ مُتَّهَى الْأَمَلِ
لَوْ كَانَ مَنْ قَرَّ مِنْكَ مُتَّفَلِّيًا إِذَنْ لَاؤَشَكْتُ رَحْلَةَ الْجَمَلِ

وقال معن بن أوس المزني: (٤٦)
أَلَمْ تُعَلِّمِي عَمْرًا وَسُقْيَانًا بَعْدَهُ وَضَمْرَةَ أَمْسَى فَأَيْسَى وَمُسَافِعُ
أَوَّلِكَ لَا أَتْنَنَّ كَانُوا فَوَارِسِي بِهِمْ كُنْتُ أَسْتَخْشِي الْعِدَا وَأَدَافِعُ
فَأَصْبَحْتُ أَرْقَى الشَّامِتِينَ رُقَاهُمْ لِيَرْبُوَ طِفْلٌ أَوْ لِيَجْرَ ظَالِعُ
وَصَانَعْتُ فِي أَشْيَاءَ لَوْ أَلْهَمَ مَعِي لَبَاعَدْتُ حَتَّى تَسْتَقِيدَ التَّوَابِعُ

قال: وحدثني الرياشي في إسناد قال:

أنشد عروة بن الزبير قوله: (بهيم كُنْتُ أَسْتَخْشِي الْعِدَا وَأَدَافِعُ) فقال عروة:
فهلا قال:

(وبالله استخشي العدا وأدافع) ولا ينكسر شعره.

قال الرياشي:

وأنشد عبد الله بن عمر قول حسان بن ثابت:
يَأْبَى لِي السَّيْفُ وَاللِّسَانُ وَقَوُ مُمْ لَمْ يُضَامُوا كَلْبِدَةُ الْأَسَدِ (٤٧)
فقال:

هَلَّا قَالَ: (يَأْبَى لِي اللَّهُ). ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤٥) اسمه عبد الرحمن بن اسماعيل أصله من الين اشتهر بالغزل والمغامرة وتهجمه على الحرمات وشعره في جميع الأغراض. قتل في إحدى مغامراته حوالي سنة ٩٠ هـ. (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ: ١ - ٥٢٣ - ٥٣٥)

(٤٦) هو معن بن أوس بن نصير ولد في الجاهلية ثم أسلم ووفد على عمر بن الخطاب واستقر في المدينة. كان ذامال وشجر وكان يتكسب بالشعر توفي سنة ٦٤ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ: ١ - ٤١٨).

(٤٧) ديوان حسان بن ثابت: ٦٧

وقال محمد بن حرب الهلالي :
أَبَى حَيَّانُ بْنُ سَلَمَى العامري قَبِرَ عامر بن الطَّفِيل ولم يكن شهده فقال :
أَلْعَمَ صَبَاحًا أَبَا عَلِيٍّ ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ سَرِيعًا إِلَى الْمُؤَلَّى بِوَعْدِكَ ، بِطَيْفًا عَنْهُ
بِإِعَادِكَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَهْدَى مِنَ النِّجَمِ ، وَأَجْرًا مِنَ السَّيْلِ . ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ :
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُصَيِّرُوا قَبْرَ أَبِي عَلِيٍّ مَيْلًا فِي مِيلٍ .

وقال محمد بن علي المنسوب الى أمه الحنفية^(٤٨) :
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَعْرَاضٌ تَنْتَضِلُ^(٤٩) فَيَكُمُ الْمَنَازِلُ ، لَنْ يَسْتَقْبِلَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ يَوْمًا جَدِيدًا مِنْ عَمَرِهِ إِلَّا بِآخِرٍ مِنْ أَجَلِهِ ، فَأَيُّهُ أَكْثَلُ لَيْسَ مَعَهَا غَصَصٌ ،
أَوْ آيَةُ شُرْبَةٍ لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ ؟ فَاسْتَصْلِحُوا مَا تَقْدِمُونَ عَلَيْهِ بِمَا تَنْظَعُونَ عَنْهُ ، فَإِنَّ
الْيَوْمَ غَنِيمَةٌ وَغَدًا لَا يَدْرِي لِمَنْ هُوَ . أَهْلُ الدُّنْيَا أَهْلُ سَفَرٍ / يَحُلُّونَ عَقْدَ رَحَالِهِمْ
فِي غَيْرِهَا ، قَدْ حُلَّتْ مِنْ قَبْلُنَا أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ الْفَرْعِ بَعْدَ أَصْلِهِ ؟ أَيْنَ
الَّذِينَ كَانُوا أَطْوَلَ مِنَّا أَعْمَارًا وَأَبْعَدَ مِنَّا آمَالًا ؟ أَتَأْكُلُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا لَا تَرْدُّهُ ، وَذَهَبَ
عَنْكَ مَا لَا يَعُودُ إِلَيْكَ . فَلَا تَعُدَّنْ عَيْشًا مُنْصَرَفًا عَيْشًا مَالِكٌ مِنْهُ إِلَّا لَذَّةٌ تَزْدَلِفُ بِكَ
إِلَى حِمَامِكَ ، وَتَقْرُبُكَ مِنْ أَجْلِكَ ، فَكَأَنَّكَ قَدْ صَرْتَ الْحَيِيبَ الْمَفْقُودَ وَالسَّوَادَ
الْمُخْتَرَمَ . فَعَلَيْكَ بِلَذَاتِ نَفْسِكَ ، وَدَغْ مَا سِوَاهَا ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ يُعْنِكَ .

وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ الدَّالِّ عَلَى صِحَّةِ عَقْلِهِ ، وَتَمَكُّنِ الْحُزَنِ
مِنْ قَلْبِهِ ، وَقَلَّةِ نَسْيَانِهِ أَخَاهُ ، أَنَّهُ لَا يَمُرُّ بِقَبْرِ وَلَا يُذَكِّرُ الْمَوْتَ بِحَضْرَتِهِ إِلَّا قَالَ :
(يَا مَالِكُ) ثُمَّ فَاضَتْ عَيْرَتُهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :
[الطويل]

(٤٨) أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ . أُمُّهُ الْحَنْفِيَّةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ
قَيْسٍ وَلَدَ سَنَةَ ٢١ هـ : أَخُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ لِأُمِّيهِمَا . كَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ ، شَدِيدَ الْقُوَّةِ ،
خَطِيئًا تَوَفَّى سَنَةَ ٨١ هـ (انظر وفيات الأعيان : ٣ - ١٦٩ - ١٧٤) .

(٤٩) الْإِنْتِضَالُ : التَّسَابُقُ وَمِنْهُ تَنْتَضِلُ : تَتَسَابَقُ أَوْ تَخْتَارُ مِنْ قَوْلِهِمْ : انْتَضَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا : أَيِ
اخْتَارَهُ . الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ : ٢ - ٩٢٧ .

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ تَوَى بَيْنَ اللَّوَى وَالذَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَمْسَى يَبْعَثُ أَبَاكَ ذُرُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ^(٥٠)

ومن هذه المختصرات قول هشام بن عتبة^(٥١) ، أخى ذى الرمة ، وكان له إخوة
جماعة فمات أكبرهم ، وكان يقال له :
أوفى .

ثم مات ذو الرمة ، وكان يقال له : «غيلان» .

فقال هشام :

تَسْلِيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغِيلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مَشْرَعُ
وَلَمْ تُسْنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نَلَّكَ الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ^(٥٢)

فاختصر هذا اختصاراً يوفر على كل واحد منهما نصيبه من الحزن .

(٥٠) ديوان الحماسة : ١ - ٣٣١ . وثالث الأبيات وهو أولها .

لقد لامنى عند القبور على البكا رفيقى لتذراف الدموع السوافك
(٥١) هشام بن عتبة العدوى واحد من ثلاثة اخوة لذى الرمة أوفى وهشام ومسعود توفى نحو
١٢٠ هـ . (أنظر هامش الحماسة : ١ - ٣٢٨)

(٥٢) ديوان الحماسة : ١ - ٣٢٩ .

هذان البيتان مختاران من خمسة أبيات . ورد تعريت بدل تسليت . وملاق بدل بالماء ومعنى النكء :
قشرة القرحة قبل أن تبرأ . القرح : الجرح . أوجع : أشد وجعا .

[أخبار الخنساء الشاعرة]

ويروى من غير وجه أن حسّان بن ثابت دخل على الثابتة الذبياني فلقته الخنساء خارجة من عنده فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

[الكامل]

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُبْعَثُونَ حَتَّى مَالِهِمْ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)

فقال :

إنك لشاعر وإن أخت بنى سليم لبكاءة

قال أبو العباس :

فما قدمناه من شعرها واستحسنه من تخلصها قولها :

[المقارب]

أَعْيَسَى جُودًا وَلَا تَجْمُودًا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرٍ تَلْدَى ؟
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرَىءَ الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا ؟

فجعلته ساذ حدثًا ووكّدت ذلك وزادت فيه وأوضحته بأن قالت :

طَوِيلَ الْعِمَادِ عَظِيمَ الرَّمَا دِسَادَ غَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا^(٢)
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
قَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ نَمَا مُصْعِدَا
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْفَرُهُمْ مَوْلِدَا
تَرَى الْمَجْدَ يَهْوِي إِلَى يَتِيهِ يَرَى أَفْضَلَ الزَّادِ أَنْ يُخَمِّدَا^(٣)

فقرنت له المجد بالحمد .

ويقال :

(١) ديوان حسّان : ١٧٩ . دار الصادر بيروت .

(٢) العماد : يقال رجل معمد أى طويل . ومنه قوله : إرم فى قوله (إرم ذات العماد) أى ذات

القدود الطوال ذات البناء الرفيع . الديوان . عظيم الرماد : كناية عن الكرم .

(٣) الديوان : ١٥ ، ١٦ .

بل صح أنه كان من دعاء سعد بن عباد - وهو سيد الخزرج^(٤) :
(اللهم أرزقني مجداً وحمداً فإنه لا مجد إلا بمال ولا حمد إلا بفعل)

وكان سبب ميتة صخر أخيها أنه شهد حرباً فأبلى فيها وتقدم ، فحمل عليه رجل من القوم فطعنه في خاصرته ، فتحامل بالجراحة فَجَوَى منها ، ولم يُفصد^(٥) فخرج منها كمثل اليد ، وأضتته حَوْلًا أو حولين لا يتبعثُ ، فسمع من يسأل امرأته عن علته ، وأين بلغت منه ، فقالت امرأته قولاً يدل على البرم به ، والمَلَل لصحبته : (لا حى فِرَجى ولا ميت فيَحْتَسِبُ) ، والتفت إلى أمه فإذا دموعها تجري ، فقال : [الطويل]
أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعَهَا وَمَلَّتْ سُلَيْمَى فَضَجَمَى وَمَكَانِى
وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَكُونَ جَنَازَةً عَلَيْكَ وَمَنْ يَلْعَنُ بِالْحَدَثَانِ
فَأَتَى امْرِئٍ سَاوَى بِأَمِّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِى شَقَا وَهَوَانِ
لَعَمْرِى لَقَدْ نَبْهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَاسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَذْنَانِ
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْغَيْرِ وَالشَّرَوَانِ^(٦)

فلما رأى ذلك برم بتلك الخراجة من جنبه ، فأشاروا بقطعها ففعل ، فلما قطعها

يَس من نفسه ففى ذلك يقول :

[الطويل]
أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَنُونُ قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ كُلِّ الْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ
كَأَنَّى وَقَدْ أَذْنُوا إِلَى شِفَارِهِمْ مِنْ الْبُزْلِ أَخَوَى الصَّفَحَتَيْنِ نَكِيبُ
أَجَارَتْنَا لَا تُسْأَلِينِى فَأُنْصَى مُقِيمٌ لَعَمْرِى مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(٧)

قال أبو عبيدة :

(وعسيب) : جبل معروف ، فقبيره هناك معروف المكان . وقوله : (من البزل) :

(٤) أبو ثابت سعد بن عباد صحابى جليل ، من أشرف الخزرج أهل المدينة نال صحبة الرسول عندما دخل المدينة . توفى سنة ١٤ هـ .

(٥) جوى : نتن . يفصد : يشق الجرح .

(٦) الخبر والأبيات فى للكامل : ١٢٢٥ . وانظر الديوان : ٢٠ .

(٧) الكامل : ١٢٢٥ . والديوان : ٢١ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

يعنى : كَأَنى بَعَر قَرَمَ من الإبل قد كَوَى لَهَاءَ به ، فيقول : أَحَلَّتْ ذَلِكَ الْخَلَّ لَقَطَعَ
ذلك اللحم وَكَيَّه ، وَجَطَّه أَحْوَى الصَّفْحَيْنِ ، وهما الصَّفْيانِ لِتَابِعِ الْهَاءِ عَلَيْهِ ضَنًا به
و(التَّكْيَب) و(التَّكْب) واحِدٌ ، وهو الحامل ، وذلك مما يوصف به الفحل أَنه يعمل
نَشَاطًا وَتَكْبَرًا .

وكانت الخنساء تقول الأبيات اليسرة ، حتى أصيبت بأخيها صخر فجذت
وأجادت ، وَجَمَعَتْ نَفْسَهَا وَشَهْرَتْ . فما يستحسن من شعرها قولها فى قصيدة
أولها :

يَا غَيْنُ جُودَى بِدَمْعٍ مِنْكَ تُضَارِ وَأَنْهَى لِصَغَرٍ بِدَمْعٍ مِنْكَ بِلَرَارٍ
وقولها :

إِنِّى أَرَقْتُ فَبِثُّ اللَّيْلِ سَاهِرَةً كَأَنَّمَا كُنْصَلْتُ غَيْنَى بِعُؤَارٍ^(٨)
وَالْعُؤَارُ والعائر سَوَاءٌ ، وهو المُسْتَأْجِدُ ، أَشَدُّ الرَّمْدِ وَأَغْلَبُهُ ،
قال القائل :

يَا غَيْنِ لَمْ يُعْبِهَا عَائِرُ الرَّمْدِ

وكما قال الراعى^(٩) :

[يَرْمِي الثُّيُوبَ بِغَيْتِهِ وَمَقْرُفُهُ]
أَزْعَى النُّجُومَ وَمَا كَلَّفَتْ رَغْبَتَهَا
إِنِّى سَمِعْتُ فَلَمْ أَبْهَجْ بِهِ غَبْرًا
قَالُوا : ابْنُ أُمِّكَ أَمْسَى فى الضَّرِيجِ وَقَدْ
أَذْعَبَ فَلَا يَبْعُدُكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ
قَدْ كُنْتَ تُحْمِلُ قَلْبًا غَيْرَ مُؤْتَشِبٍ
الْعُؤَارُ = الضعيف

(٨) فى البيت الثانى : العوار والعائر : القذى . ومنه يقال : رجل عوار إذا كان ضعيفا .

(٩) أبو جندب عبيد بن الحصين ولقب بالراعى لكثرة وصفه للإبل عاصر جريرا والفرزدق وكان
شاعرا فحلا . توفى سنة ٩٠ هـ . (أنظر تاريخ الأدب لفرخ : ٢ - ٥٢٥) .

قال : حدثني رجل من بني هاشم عن سعيد بن سلم الباهلي^(١) قال : كنت مع أمير المؤمنين هارون الرشيد في سفر ، فسأل عما حمل معه من الثلج ، فاستقل ما ذكر له فاغتاض واحتد ، فتركته حتى سكن غرْبُه ثم قلت :

يا أمير المؤمنين ، إني أقول كلاماً والله ما أريد به ملقا ولا تنبيها على نفسي ، لأنني فطنت إلى ما لم يَفْطَنَ إليه مَنْ سِوَايَ ، وما أقول إلا بالنصيحة المَخْصَّة .
فقال :

هات فقلت :

يا أمير المؤمنين ، إنك قسمت الدهر شَطْرَيْن ، شَطْرًا للحج وشَطْرًا للغزو ، والمسافر يَرِدُّ على ضروب من المياه ، وسَفْرُكَ أَكْثَرُ من حَضْرِكَ ، فلو أن أمير المؤمنين عَوَّدَ نفسه الخشونة شيئا فمتى احتاج إليها لم تُنْكِرْها النفس لتلك العادة .
قال :

فأطرق ثم قال :

ياسعيد ، بِنُصْحٍ قَلْتُ ، ولكنا نلبسُ العافية ما لبِستنا ، فإن اضْطَرُّرنا رجعنا إلى أصل غير خَوَّار .

رجع الشعر :

مِثْلُ السَّيَّانِ كَهَيَّوَةِ الْبَدْرِ صَوْرَتُهُ	جَلَدُ الْعَرَبِيَّةِ حُرٌّ وَابْنُ أَخْرَارِ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوُوفَةٌ	وَمَا أَضَاءَتْ لُجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِ
وَلَنْ أَسْأَلِمَ قَوْمًا كُنْتُ خَرَبَهُمْ	حَتَّى تَعُودَ بَيَاضًا حُلُكُهُ الْقَارِ
أَبْلُغَ خُفَافًا وَعَوْفًا غَيْرَ تَقْصِيرِ	عَمِيدَ قَوْمٍ نِدَاءٌ غَيْرَ أَسْرَارِ
وَالْحَرْبُ قَدْ سَعَرَتْ حَزْبًا مُذَكَّرَةً	شَهَاءٌ تَفْرَى بِأَكْيَابِ وَأَظْفَارِ
شَدُّوا الْمَازِرَ حَتَّى تَسْتَقِيدَ لَكُمْ	وَشَمَّرُوا إِلَيْهَا أَيَّامَ تَشْمَارِ
وَابْكُوا قَتَى الْحَيِّ لَا قَتَى مَيِّتِهِ	وَكُلُّ نَفْسٍ إِلَى وَقْتٍ وَمِقْدَارِ
كَأَلَّهُمْ يَوْمَ رَأْمِهِ بِجَمْعِهِمْ	رَأْمُوا الشَّكِيمَةَ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ ضَارِ

(١٠) سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي من بيت رئاسة وجاه عاش إلى زمن المأمون . (انظر تاريخ

والشكيمة : شدة النفس وصحة العزيمة . والشكيمة : الحديدة المترضة في اللجام .
 حَتَّى تَقْرَبَتِ الْآلَافَ عَنْ رَجُلٍ مُجَدَّلٍ حَرُّ كَرْمَا غَيْرَ مُخْتَارٍ
 تَجِيئُ مِنْهُ لَوْنِي الْكُدَى مُزْبَدَةٌ بِعَانِدٍ مِنْ تَجِيعِ الْجَوَفِ نَوَارٍ^(١١)
 لَوْ مِنْكُمْ كَانَ لَنَا لَمْ يَنْتَلِ أَبَدًا حَتَّى تَلَاقُوا أُمُورًا ذَاتَ آثَارٍ
 أَغْنَى الدِّهْنَ إِلَيْهِمْ كَانَ مَنَزَلُهُ قُلْ تَعْرِفُونَ دِقَامَ الضَّيْفِ وَالْجَارِ ؟
 تُغَابِبُ خُفَافٍ مِنْ نُذْبَةٍ وَعَوَافًا لِأَنْهَمَا هَرَبَا عَنْهُ وَهَمَّا مِنَ الْفُرْسَانِ الْمُعْتَوِدِينَ وَكَانَ
 خُفَافٌ مِنْ غُرَبَانِ الْعَرَبِ ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 لَا صُلْحَ حَتَّى تُكْرُوا الْخَيْلَ غَابِئَةً تَغْدُوا وَتَرْمِي بِمُهْرَاتٍ وَأَنْهَارٍ
 فَتَمْلِكُوا عَنْكُمْ عَارًا تَجَلَّكُمْ غَسَلَ الْجَوَارِي عَيْضًا عِنْدَ أَطْهَارٍ^(١٢)
 قال : هذا مثَل .

وقالت أيضا ترى صخرًا :
 [المقارب]
 أَلَا مَا لِي بِكَ أَمْ مَالَهَا لَقَدْ أَحْضَلْتُ الدَّمَعَ سِرْبَالَهَا
 فَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى مَالِكٍ وَأَسْأَلُ تَائِيَةً مَالَهَا
 أَبْقَدُ ابْنِي عَمْرُو وَبَنَ آلَ الشَّرِبِ مَدَّ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
 معنى حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا : من الحِلْيَةِ : أَى زَيَّنَتْ بِهِ أَثْقَالَهَا ، تعنى الموتى .
 من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(١٣) قالوا : يعنى الموتى .
 لَعَنَرُ أَيُّهُ لَيْسَمَ الْقَتْلَى لَعْنُ بِهِ الْحَرْبُ أَجْدَالَهَا
 أى توقد به الحرب أجْدالها . والجذل : أصل الشجرة فضربه مثلا لشدة الانتقاد ،
 وأنه صاحب ذاك .

(١١) المزبدة : الطعنة التى يرى على الأرض زبدها من شدة فورها ، ودم عائد : يسيل جانبا .
 (١٢) الديوان : ٢٣ - ٣٥ وورد فى الكتاب معظم أبيات القصيدة مع اختلاف فى بعض الألفاظ
 (١٣) الزلزلة : ٢ .

حَدِيدُ السَّانِ ذَلِيقُ اللِّسَانِ يُجَارِي الْمَقَارِيفَ أَمْثَالُهَا
وَحِيلُ تَكْدُسُ مَشَى الْوُغُو لَ تَنَازَلَتْ بِالسَّيْفِ أَبْطَالُهَا
بِمَغْتَرِكِ يَتَنَهَمُ ضَيْقِي مَجَرُّ الْمَيْتَةِ أَذْيَالُهَا
تُقَابِلُهَا فَإِذَا أَذْبَرَتْ بَلَكَ مِنَ الطُّغْيَانِ أَكْفَالُهَا

الأكفال : واحدهما كِفْلٌ ، وهو الرِّدف من الرجل والمرأة .

لِهَيْنُ التُّفُوسِ وَهَوْنُ التُّفُوسِ غَدَاةُ الْكَرْبَةِ أَوْقَى لَهَا

ويروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (رب ميتة سببها طلب الحياة ،
وحياة سببها التعرض للموت .

وَرَجْرَاحَةٍ قَوْفُهَا بَيْضُهَا عَلَيْهَا الْمُضَاعَفُ زَقَا لَهَا
معنى قولها : (زَقَاها) أى جفنا نَمَشَى إليها هَوْنًا ، أو على دوابنا .

كَكَرْفَةِ الْغَيْثِ ذَاتِ الصَّبْرِ تَرْمِي السَّحَابَ وَيَرْمَى لَهَا
الكرفة : واحدة الكرافء وهو تكاثف الغيم واسوداده .

قال : وحدثنا المازني بإسنادٍ آخِرُهُ رُؤْبَةُ بن العجاج قال : خرجت مع أبى نريد
الوليد بن عبد الملك ، فأهدى لنا جَنْبَ من لحم عليه كَرافء الشَّحْمِ وَوَطَبَ من لبن ،
فطبخنا هذا بهذا ، فما زالت ذِقْرَايَ تتحانِ منه حتى رَجَعْنَا . وإنما شَبَّهه لكثرة
الشَّحْمِ ، وركوب بعضه بعضا بكِرفة الغيم .

وَذَاهِيَةِ جَرَّهَا جَارِمٌ ثِيْلُ الْخَوَاصِرِ أَخْبَالُهَا
كَفَيْتَ ابْنَ غَمْرٍو وَلَمْ تُسَمِّنْ وَلَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَذْنَى لَهَا
وَعَيْرَانِيَةً كَأَنَّ الثَّمِيْـمَ لَ غَادَرَتْ بِالْعُلِّ أَوْصَالُهَا

قولها : (وعَيْرَانِيَةً) تعنى : ناقة مُشَبَّهَةٌ بِالْحِمَارِ الوحشى و(أَتَان الثميل) صخرة تكون
في الحوض معروفة . و(التميل) بقية الماء . فتقول : هى صلبة كصلابة هذه الصخرة .
و(الْعُلِّ) : الطريق في الرمل . فتقول : غادرتها هناك لشدة السير :

إِلَى مَلِكٍ لَا إِلَى سَوْقَةٍ وَذَلِكَ مَا كَانَ إِكْلَالُهَا
وَمُخَصَّنَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ لِكِ قَعَقَعَتِ بِالرَّحْمِ خُلْخَالُهَا

وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السَّنَا
تَطَفَّتْ ابْنُ عَمَرٍ فَسَهَّلَهَا
فَإِنْ تَكُ مُرَّةً أَوْ دُثْ بِهِ
فَزَالَ الْكَوَاكِبُ مِنْ فَقْدِهِ
هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلِّ الْهُمُومِ
لَاخِمْ لِنَفْسِي عَلَى آلِيَةٍ

ومما يؤثر ويفتني من قولها: [البيسط]

أَقْدَى بِعَيْنِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ غَوَّارُ
أَمْ أَوْحَشْتُ أَنْ حَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ^(١٥)

ويتشده بعضهم :

قذى عينك ، وهو أقوم للبيت ، وزيادة الألف في قولها : أقذى ؟ أبلغ . ولا ضرورة فيه ولكنه مخروم [واخزوم : زيادة أول البيت لا يعتد بها في التقطيع] .

تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَمْرَى وَقَدْ تَكَلَّثَ
لَا بَدْءَ مِنْ مَيَّةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرَ
وَدُوْنُهُ مِنْ جَدِيدِ الشَّرْبِ اسْتَارَ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلَ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَرَهُ
أَهْلُ الْمِيَاهِ وَمَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

وهذا بيت يُسأل عنه كيف تناذره أهل الماء ولا عار فيه . فالعنى أنها تعنى الموت .
مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضِلَةٍ
لَهُ نِيْلَاحَانٍ : أَلْيَابٌ وَأَطْقَارُ

يقال لكل جرىء الصدر : سَبْتَى وسَبْتَى بالناء والذال ، والأغلب عليه التمر .

عَبَلُ الدَّرَاعَيْنِ قَدْ تُخْشَى بُوَادِرُهُ
فَمَا عَجُولُ عَلَى بَوِّ تُطِيفُ بِهِ
لَهَا حِينَانٍ : إِغْلَانٌ وَإِسْرَارُ
فَإِنَّمَا هِيَ إِبْقَالٌ ، وَإِذْبَارُ
صَخْرٌ وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارُ
وَأَنْ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدُنَا
وَأَنْ صَخْرًا لَنَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ

العلم هاهنا : الجبل ، وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١٦) . ومنه قول جرير [الرجز]

(١٤) الديوان : ٧٢ - ٧٧ أبيات مختارة مع تصرف في بعض الكلمات .

(١٥) في الديوان : قذى عينك ، والشرط الثاني روى : أم أفقرت ، وأم ذرفت

(١٦) سورة الرحمن : ٢٤ .

[إِذَا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عِلْمُ فَهُنَّ بَعَثَا لِمَضَلَاتِ الْخِلْمِ] (١٧)
 طَلَّقَ الْيَدَيْنِ بِفَعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَعْرِ ضَعُمُ الدَّسِيعَةِ فِي الْأَوَاءِ صَبَارُ
 مِثْلُ الرُّدْنِيِّ لَمْ تَنْفَذْ شَيْئُهُ كَأَنَّهُ نَحَتْ طَيَّ الْبُرْدِ اسْتَوَارُ
 لِيُنَكِّهِ مُقْتَرِ أَقْبَى خُلُوتِكُهُ دَفَرُ وَخَالَفَهُ بُؤْسُ وَاقْتَارُ
 وَرَفَقَةُ حَارَ هَادِيهِمْ بِمَهْلِكَةِ كَأَنَّ ظَلَمَتَهَا فِي الطُّغْيَةِ الْقَارُ
 لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحِهَا لِرِيَةِ حِينَ يُغْلِي يَتَهُ الْجَارُ

فقولها :

(كأنه علم في رأسه نار) أحد ما قدمت به

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أما رضييت أن تجعليه علماً حتى / جعلت في رأسه ناراً : ذاك رسول الله ﷺ يريد :
 البيان والدلالة .

وقال عمر في قول الخطيئة [الطويل]

مَتَى ثَأْتِيهِ تَغْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ نَحْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مَوْقِدِ
 كَذِبِ الْخَطِيئَةِ تِلْكَ نَارُ مَوْسَى ﷺ . وهذا من نوادر الشعر (١٨) .

وقالت أيضا :

كَأَنَّ الْفَيْنَ خَالَطَهَا قَدَاهَا بِمُؤَارٍ فَمَا تَقْضَى كَرَاهَا
 عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ قَسَى كَصَخْرٍ إِذَا مَا الثَّابُ لَمْ تَرَامِ طَلَاهَا

فقولها :

(إذا ما الناب لم ترأم طلاها) : الطلا : الصغير من أولاد الوحش والنعم ، يقال ذلك
 في الآدميين ، وإنما تريد زمن الصر والبرد .

حَلَفْتُ بِرَبِّ صَهْبٍ مُغَمَّلَاتٍ إِلَى الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ مَتَاهَا
 لَمِنْ جَزَعَتْ بَنُو عَمْرِو عَلَيْهِ لَقَدْ رَزَزْتُ بَنُو عَمْرِو قَاهَا
 قَسَى الْفَثِيَانِ مَا يُغْلَى مَدَاهُ وَلَا يُكْدَى إِذَا بَلَعَتْ كُدَاهَا

(١٧) تقدم البيت والتخريج

(١٨) القصيدة كاملة وهنا أبيات ممتازة منها ص : ٢٤ - ٢٨

(١٩) الخير بتمامه في الأغاني : ٢ - ١٠٠

يقال :

أكدى : إذا أقل ، وأصل ذلك في البئر تحفر ، فإذا بلغ منها إلى حَجَرٍ أو كُدُنْ^(٢٠) استصعب على الحافر . وقيل : قد بلغت كُدَيْتِهَا وجمعها : كُدَى فلا يخرج من التراب إلا اليسير ، فذلك قيل للذى يُعْطَى قليلاً أَكْدَى ، قال الله تعالى : ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾^(٢١) فقالت :

إذا بلغ الجهد من الناس لم يكن عطاؤه قليلاً ولا نزرًا .
لَهُ كَفٌّ يَشِيدُ بِهَا وَكَفٌّ تَحْلُبُ مَا يَجِفُّ ثَرَى نَدَاهَا
فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبْتُ شَمَالَ مُرْغَزَةٍ يَجَاوِبُهَا صَبَاهَا
وَالْجَا يَزْدُهَا الْأَشْوَالُ جُلْدَا إِلَى الْحُجَرَاتِ بَارِزَةً كَلَاهَا^(٢٢)
يقول : لاشحم عليها .

هُنَالِكَ لَوْ نَزَلْتُ بِآلِ صَخْرِ قَرَى الْأَضْيَافِ شَخْمًا مِنْ ذَرَاهَا
هذا على مخاطبتين .
قالت :

(هُنَالِكَ لَوْ نَزَلْتُ) للذي تخاطبه ، ثم خبرته فقالت :
(قَرَى الْأَضْيَافِ) فتأويل هذا على ضربين :
أحدهما على حذف المفعول كأنها قالت :
لو نزلت به لرأيت يقرى الأضياف ، ويكون على أنها جعلته وغيره على مخاطبتين تحول
من إحداها إلى الأخرى كقوله عز وجل :

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرْنَا بِهِنَّ بَرْجًا طَيِّبَةً﴾^(٢٣)

وكقول عنترة :

شَطْتُ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحْتُ عَسْرًا عَلَى طَلَابِكِ ابْنَةِ مَحْرَمٍ^(٢٤)
ومثل هذا كثير جدا .
أَمْطِعْكُمْ وَحَامِلَكُمْ تَرَكْتُمْ لَدَى غَبْرَاءَ مَنَهْدِمٍ رَجَاهَا

(٢٠) الكُدُن : الأرض الغليظة أو الصلبة لا تعمل فيها الفأس : المعجم الوسيط : ٧٨٦ .

(٢١) سورة النجم : ٤٣

(٢٢) الديوان : ٨٦ ، ٨٧ آيات من قصيدة طويلة

(٢٣) سور يونس : ٢١

(٢٤) ديوان عنترة : حرف الميم

رَى الشَّمْطَ الْجَحَاجِجَ مِنْ سَلِيمٍ تَبْلُ ذَرَى مَدَامِهَا لَحَامَا
لَيْبِكَ الْغَيْرَ صَحْرًا مِنْ مَعْدٍ ذُورُ أَخْلَامِهَا وَذُورُ لَهَاهَا
وَحِيلَ قَدْ لَفَقْتُ بِجَمْعِ خَيْلٍ قَدَارُثُ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَامَا^(٢٥)
مُحَافَظَةً وَمَخِيمَةً إِذَا مَا تَبَا بِالْقَوْمِ مِنْ جَزَعٍ لَطَافَا^(٢٦)

وقالت أيضا :
أَلَا يَا عَيْنُ فَالْهَيْلَى بِغَزْرِ وَفِيضِي غَبْرَةً مِنْ غَيْرِ نَزْرِ
وَلَا تُغْزِي عَزَاءً بَعْدَ صَخْرِ فَقَدْ غَلَبَ الْعَزَاءُ وَعَمِلَ صَبْرِي
لِمَرْزِيَةٍ كَأَنَّ الْجَوْفَ مِنْهَا بُعِثَ الثَّوْمُ يُسَعَّرُ حَرٌّ جَفْرِ
عَلَى صَخْرِ وَأَيُّ قَتَى كَصَخْرِ لِعَانٍ عَائِلٍ عَلَيَّ بَوْرِ
وَلِلْأَضْيَافِ إِنْ طَرَقُوا هُدُوءًا وَلِلْكَوْلِ الْمُسْرِ وَكُلِّ سَفْرِ
إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ سَنَةٌ جَمَادٍ أَيْ بِالذَّرِّ لَمْ يُكْنَعْ بِقَبْرِ

كان من شأنهم إذا أجدبت السنة أو خافوا الجذب أن تنضح الصُّرُوع بالماء البارد ليبقى اللين فيها ادَّخَارًا واسعدادًا وبخلاً من بعضهم .

فلذلك يقول الحارث بن حِزْلَةَ :
لَا تَكْنَعِ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ الْقَاتِلُ^(٢٧)

الغُبْرُ : بقية اللين ، وغابر كل شيء . باقيه ، فيقول : لا تبخل فتحبس لبنك ، فإنك لا تدري لمن يكون ذلك اللين : ألك أم لوارثك أم لمغير عليك .

وَاصْتُبُّ لَأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهُمَا فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ
وَكُلُّ مَرْدُودٍ مَكْسُوعٍ .

هَئَالِكَ كَانَ غَيْثٌ حَيًّا وَعِزًّا لِمَنْ أَرَسَى إِلَيْهِ غَيْرَ وَغَرٍ^(٢٨)
وَأَخِيًّا مِنْ مُخْبَأَةٍ كِعَابٍ وَأَشْجَعَ مِنْ أَبِي شَيْلٍ هَزْبِرٍ^(٢٩)

(٢٥) الديوان : وخيل قد دلفت لها بخيل .

(٢٦) الديوان : ٨٦ ، ٨٧ .

(٢٧) البيت في نهاية الأرب : ٣ - ٦٦ .

(٢٨) الديوان : هناك كان غيثا تلقحين

(٢٩) الديوان : وأحيان من مخبأة حياء

نداه وفي جناب غير وعمر

وأجراً من أبي ليث هزبر

هَرَبْتُ الشَّدْقِي رَبَّالِ إِذَا مَا
تَدِينُ الْخَادِرَاتُ لَهُ إِذَا مَا
غِيَاثُ إِنْ تَأَوَّبَهُ غَرِيبُ
إِذَا مَا الْوَفْدُ حَلَّ إِلَى ذَرَاهُ
تَفَرَّجُ بِالتَّدَى الْأَبْوَابُ عَنْهُ
دَهَشِي الْحَادِثَاتُ بِهِ فَأَضْحَتْ
غَدَا لَمْ تَنْتَ غَدَوْتُهُ بِرَجَرِ
سَمِعَنْ زَيْبَرَهُ فِي كُلِّ فَجَرِ
لِغُسْرِ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ لِيُسْرِ
تَلْقَاهُمْ بِوَجْهِهِ غَيْرِ بَسْرِ
وَلَا يَكُنْ ذُوهُمْ بِسَرِ
عَلَى هُمُومُهُ تَعْدُو وَتُسْرِ^(٣٠)

[البسيط]

إِذْ رَابَ دَهْرٌ وَكَانَ الدَّهْرُ رِيَابًا
وَأَبْكِي أَحْكَامَكَ إِذَا جَاوَزْتَ أَجْنَابًا
فَعُدْنَ لَمَّا تَوَى سَيِّبًا وَإِنْهَايَا
مُجَلَّبَتٍ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَابًا
فَيَسْلُبُوا ذُونَ صَفِّ الْمَوْتِ أَسْلَابًا
مَاوَى الْقَرِيبِ إِذَا مَاجَاءَ مَتَابًا^(٣١)
نَهْدَ الثَّلِيلِ لِرُزْقِ السُّمْرِ رَكَابًا
وَالصَّدْقِ حَوَزَتُهُ إِنْ قَرْنُهُ هَابًا
إِنْ خَافَ مُغْضِلَةَ سَنَى لَهَا بَابًا^(٣٢)
حَمَالُ الْوَيْبَةِ لِلْوَسْرِ طَلَابًا
كَانَ الْوَعَى لَمْ يَكُنْ لِلْمَوْتِ هَيَابًا^(٣٣)

وقالت أيضا :

يَا عَيْنُ مَالِكٍ لَا تُذَرِينَ نَسْكَابًا
فَأَبْكِي أَحْكَامَكَ لِأَيَّامٍ وَأَزْمَلَةٍ
وَأَبْكِي أَحْكَامَكَ لِخَيْلٍ كَالْقَطَا قُطُفٍ
يَعْدُو بِهِ سَابِغٌ نَهْدَ مَرَائِلِهِ
حَتَّى يُصْبِحَ قَوْمًا فِي دِيَارِهِمْ
هُوَ الْفَتَى الْكَامِلُ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ
يَهْدِي الرِّعِيلَ إِذَا جَارَ السَّيْلُ بِهِمْ
الْمَجْدُ حَلَّتُهُ وَالْجُودُ عَلَّتُهُ
رَكَابُ مُفِطْمَةٍ حَمَالُ مُغْضِلَةٍ
شَهَادُ الْوَيْبَةِ هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ
سُمِّ الْعُدَاةِ وَفَكَارُ الْعَنَاءِ إِذَا

قال أبو العباس :

(والجود علته) أى أن الناس إذا سئلوا اعتلوا في الجود بالعلل ، فَجَعَلَتْهُ هُوَ عِلَّتُهُ الْجُودُ ،
كما قال الله جل وعز : (النار وعدها الله الذين كفروا)^(٣٤) معناه : الوعد النار

(٣٠) الديوان : ٢٣ - ٢٤ .

(٣١) الديوان : وأبكبه للفارس الحامي حقيقته وللضربك إذا ما جاء متتابا

(٣٢) الديوان : خطاب مفصلة فراج مظلمة إن هاب مفظمة أتى لها بابا

(٣٣) من سم العدة إلى الوعد النار ناقص من : م والباية في الديوان : ١ ، ٢

(٣٤) سورة الحج : ٧٢ - معناه : الوعد النار : آخر الناقص من : م

وقالت أيضا ترى أباها معاوية بن عمرو :
 هَرَيْقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي
 وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ نَيْسَى سَلِيمٍ
 أَلَا هَلْ تَرْجِعُنْ لَنَا اللَّيَالِي
 وَإِذْ فِينَا مُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
 قَبْكِيهَ فَقَدْ وَلَّى حَمِيدًا
 فَلَا وَاللَّهِ لَا تُسْلَاكَ نَفْسِي
 وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبَرَ خَيْرًا
 وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَةِ إِذَا بِالْعَوَا فِي الْجَزَعِ
 حلق النساء رؤوسهن ، ولطنن خدودهن
 بالنعال .

وقال عبد مناف بن ربيع الهذلي يذكر أخته :
 إِذَا تَأَوَّبَ نُوحٌ قَامَتَا مَعَهُ
 ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدُ^(٣٧)
 أَلَا يَأْلَهْفُ نَفْسِي بَعْدَ عَيْشٍ
 تَوَلَّى بَعْدَهُ عَيْشٌ أُنِيقُ
 وَإِذْ يَتَحَاكَمُ الْحُكَّامُ فِينَا
 إِلَى أَيْمَانِنَا وَذَوْرِ الْحُقُوقِ
 وَإِذْ فِينَا قَوَارِسُ كُلِّ مَنَاجِجٍ
 إِذَا فَرَّغُوا وَقَيَّانُ الْخُرُوقِ
 الخروق : جمع خرق ، وهو التسع من الأرض ، من ذلك قول رؤبة بن العجاج :

[الرجز]
 وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ حَاوِي الْمُخْتَرَفِ [مُشْتَبِهِ الْأَعْلَامِ لَمَاعِ الْخَفِ]
 أي المتسع .

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾^(٣٨) قال :
 تبلغ قطريها . والقول الفاشي إنما هو تنقبها بأجمعها إلى حيث بلغت .

(٣٥) الديوان : فلا والله ما سليت نفسي بفاحشة علمت ولا عقوق
 (٣٦) الديوان : ٦١ .

(٣٧) شاعر جاهلي من هذيل . (انظر ديوان الهذليين : ٣٩/٢) والبيت في الديوان وفي الكامل :

إِذَا مَا الْخَرْبُ صَلَّصَلْ نَاجِدْنَهَا وَلَاجَأَهَا الْكُمَاةُ لَدَى الْمَضِيقِ (٣٩)

وكان من خبر مقتل معاوية بن عمرو وكان أخوا خنساء لأبيها وأمها ، وكان صخرًا أخواها لأبيها ، وكانت بصخر أُمسُ لفضيلته على معاوية ولم يكن معاوية متخلفًا بل كان لاحقًا في السؤدد بأخيه ، أو دُوِيته شيئًا .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى :

حدثني أبو بلال ، وربما قال : أبو بلال سهم بن أبي بن العباس بن مرداس قال : غزا معاوية بن عمرو بن الشريد أخو خنساء ، مرةً وفزارة ، ومعه خفاف بن ندبة فاعتوره هاشم وذرير المريان ، ابنا حرملة ، فاستطرد له أحدهما ثم وقف ، وشد عليه الآخر فقتله . فلما تنادوا : قُتل معاوية !

قال خفاف :

قتلني الله إن رمى حتى أثار به فشد على مالك بن حمار سيد بني شمع بن فزارة فقتله وقال :

فَإِنْ تِلْكَ خَلِي قَدْ أَصِيبَتْ صَمِيمُهَا فَعَمَدًا عَلَى غِنَى تَيْمَنَتْ مَالِكَا
وَقَفْتُ لَهُ عَلَوَى وَقَدْ حَامَ صُخْرِي لَأَبْنَى مَجْدًا أَوْ لَأَثَارَ هَالِكَا
عَلَوَى : اسم فرسه

أَقُولُ لَهُ وَالزَّمْعُ يَاطِرُ مَتْنُهُ تَأْمُلْ خَفَافًا إِبْنِي أَنَا ذَالِكَا (٤٠)

فلما بلغ صخرًا قُتل أخيه ، أتى مرةً في الشهر الحرام فوقف على ابني حرملة ، فإذا أحدهما به طعنه في عضده ، فقال :

أيكما قتل معاوية ؟

فسكتا ، فقال الصحيح للجريح :

مالك لا تحييه ؟

فقال :

وقفت له فطعنتي هذه الطعنة ، وشد عليه أخي فقتله ، فأينا قتلت فقد أدركت بئارك ، أما إنا لم نسلب أخاك

قال :

فما فعلت فرسه السماء ؟

قال :

هامى تيك .

رُدّها عليه .

فردوها .

فلما أتى صخر قومه قالوا :

اهجهم .

قال :

ما بيننا أجل من القَدْع^(٤١) ، لو لم اكفف عن هجائهم إلا رغبة بنفسى عن الحنا لكففت وقال :

وَعَاذِلِي هَبْتُ بَلِيلَ ثُلُومِنِي أَلَا لَا ثُلُومِنِي كَفَى اللَّوْمَ مَايَا
تَقُولُ : أَلَا تَهْجُو قَوَارِسَ هَاشِمٍ وَمَالِي إِذْ أَهْجُوهُمْ ثُمَّ مَايَا
أَبِي الشَّتَمِ أَلَيْ قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْحَنَّا مِنْ شَمَالِيَا
إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رَفَرَتْ غَبْرَةٌ وَحَيْثُ رَمَسَا عِنْدَ لَيْةَ ثَاوِيَا
إِذَا مَا أَمَرُوا أَهْدَى لِمَيْتِ نَحِيَّةٍ فَحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُعَاوِيَا
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَلَيْ لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْهِ بِمَايَا

ثم زاد عليها بيتا بعدما أوقع بهم فقال :

وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتُ أَرْحَامَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَحَالِيَا^(٤٢)

(ثم غزاها^(٤٣) في العام المقبل ، فلما دنا وعلا السماء قال :

إني أخاف إذا طلعت أن يعرفوا طلعة السماء ، فحمم غرّتها ، فلما أشرف على أداني

القوم ، قالت امرأة لايناها :

هذه - والله - السماء .

فنظر إليها فقال :

السماء غراء ، وهذه بهم .

(٤١) القدع : الشتم بكلام قبيح المعجم الوسيط : ٢ - ٧٢٨ .

(٤٢) الكامل : ١٢٢

(٤٣) من ثم غزاها .. إلى : من لا ذنب له ليس موجودا في م ، وهو ما بين القوسين .

فلم يشعروا إلا والخيول دوائس ، وقتل صخر دريدا ، وأصابوا في مرة فقال :

[الكامل]

وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ ثَوَاءً وَمَوْحِداً وَتَرَكْتُمْ مَرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُدِيرِ
وَلَقَدْ دَفَعْتُ إِلَى ذُرَيْدٍ طَعْنَةً نَجْلَاءَ تَرْغُلٍ مِثْلَ غَطِّ الْبِنْخَرِ^(٤٤)

قوله :

(ترغل) أى تفيض بسجال الدم . قال ابن أحرر يعنى القطة إذا مجت الماء في حوصلة

[السريع]

فرخها :

فَأَرْغَلْتُ فِي جِده زُغْلَةً لَمْ تُحْطِىءِ الْجِدَ وَلَمْ تُشْفِتِرْ^(٤٥)
والإبزاع مثل الإزغال^(٤٦) .

وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج غازياً ، فلما كان في بلاد جُشَمَ بن بكر بن هوازن
نزل فأخذ صفته - ويقال : صفته وخلا لحاجته بين الشجر ، ورأى غفلته قيس بن
الأصور الجشمى فقبه وقال :

هذا قاتل معاوية لا وَالَّتِ إِنْ وَآلَ^(٤٧) . فلما قعد لحاجته تسر له بين الشجر حتى
إذا كان خلفه أرسل عليه مِغْبَلَةً^(٤٨) فَفَلَقَ فُحْقَحَهُ ، وهو العُصْعُصُ الذى عليه
عَجَبُ^(٤٩) الذنب فقالت الخنساء :

فَدَى لِلْفَارِسِ الْجُشْمَى نَفْسِي وَأَفْلِدِيهِ بِمَنْ لِي مِنْ حَمِيمِ
فِدَاكَ الْحَيَّ حَتَّى يَنْبَى سُلَيْمِ بِطَاعِنِهِمْ وَبِالْأَتَسِ الْمُسْتَمِ
كَمَا مِنْ هَاشِمٍ أَقْرَزَتْ غِنَى وَكَأَنَّ لَا ثَنَامَ وَلَا تُنِيمِ^(٥٠)

(٤٤) الأغاني : ١٥ - ١٠٠ .

(٤٥) البيت في الأغاني : ١٥ - ١٠٠ وقائله : أبو الخطاب عمرو بن أحرر الباهلى شاعر مخضرم
أسلم وحسن إسلامه . (أنظر الأعلام : ٥ - ٢٣٧ ، والبيت في الأغاني

(٤٦) الإبزاع والإزغال : هو إخراج البول أو الدم دفعة واحدة (الرسالة) والصفنة ما يتوضأ فيه

(٤٧) وأل : نجا وخلص . معناها : لا بحوت إن نجا .

(٤٨) المِغْبَلَةُ : النصل الطويل العريض .

(٤٩) أصل الذنب عند رأس المصعصع .

(٥٠) الديوان : ٨٠ البيت الأول والثاني .

وكان هاشم من أشد العرب ، وله يقال :
أخيا أباه هاشم بن خزمنة يوم الملوك حوله مغزلة
يقتل ذا الذئب ومن لا ذئب له^(٥١)

وقالت الخنساء تراثه بما كتب بعضه .

وقالت تراثي صخرا ومعاوية
بكت غنى وعادت السهودا
لذكرى مفسر ولوا وخلوا
فكم من فارس لك أم عمرو
الحريد : البعيد

وإذا كانت وجوه القوم سودا
جدير يوم هيجا أن يصيدا
إذا لم نصبت الأم الوليدا
مع الهلاك قد لحقوا ثمودا^(٥٢)

وقالت أيضا تراثي صخرا
ألهمي على صخر لكل عظيمة
إذا الخيل شككت في السريح وطأقت
يقال : شك الفرس والبعير وغير ذلك من الظهر إذا ظلت ظلعا خفيا^(٥٣) كما قال ذو
الرمة :^(٥٤)

[الطويل]
إذا الخيل من طول القياد افسحرت^(٥٥)
طباق كلاب في الهراش وصرت^(٥٦)
[البيسط]
كأنه مستبان الشك أوجنب^(٥٧)

(٥١) الأغاني : ١٥ : ١٠٢ ، وإلى هنا نهاية النقص الذي في م .

(٥٢) الديوان : ١٦ . مع اختلاف يسير

(٥٣) ل : ألا لهفي . وفي الديوان : لهفي : ص ٨

(٥٤) ل : طباق الكلاب .

(٥٥) ل : خفيا

(٥٦) غيلان بن عقبة المضرى ويلقب بذي الرمة شاعر أكثر شعره في التشبيب ، عشق مية المنقرية واشتهر بها يقيم في الصحراء ، يحضر إلى البصرة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧ هـ وله من العمر ٤٠ سنة . معجم المؤلفين : ٨ - ٤٤ . (٥٧) البيت في اللسان مادة : جنب .

وإنما هذا من الخيلاء في هذا الموضع . و(طابقت) أى وقعت أرجلها مكان أيديها وصرت أذنانها .

وَحَيْلُ تَنَادَى لَا هَوَادَةَ يَنْتَهَا مَرَزَتْ بِهَا دُونَ السَّوَامِ وَمَرَّتْ
كَأَنَّ مُدِلًّا مِنْ أَسْوَدِ ثَبَالَةٍ يَكُونُ لَهَا حَيْثُ اسْتِدَارَتْ وَكَرَّتْ
شَدَذَتْ عِصَابَ الْخَرْبِ إِذْ هِيَ مَانِعٌ فَالْقَتَّ بِرِجْلَيْهَا مَرِيًّا وَذَرَّتْ
وَكَاثَتْ إِذَا مَحَالِبٌ يَسْتَدِرُّهَا تَفْسُهُ بِإِيْزَاغٍ دَمًا وَاقْمَطَرَتْ (٥٨)
فَكَانَ أَبُو حَسَّانٍ صَخْرٌ يَصُدُّهَا وَيُرْغِئُهَا بِالرُّمَحِ حَتَّى أَقْرَّتْ

اقمطرت : معناه اشتدت .

وقالت أيضا ترثيه :

أَمِنْ حَدَثِ الْأَيَّامِ عَيْتُكَ تَهْمِلُ تُبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَفِي الدَّهْرِ مَذْهَلُ
أَلَّا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا إِذَا قِيلَ تَفْنَى تُسْتَهْلُ فَتُخْفَلُ
عَلَى مَا جِدَّ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ سَيِّدٍ لَهُ سُورَةٌ فِي قَوْمِهِ مَا تُحَوَّلُ (٥٩)

قال : السُّورَةُ هَا هُنَا : الدرجة من الملك والقدرة العالية ، ومن ذلك قول النابغة

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَغْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ (٦٠)

ويقول الرجل :

سَرْتُ ، فَمَعْنَاهُ : ارتفعت وعلوت . قال العجاج :

يَارَبُّ ذِي سُورِدِي مَخْجُورٍ سَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَعَالِي السُّورِ (٦١)

وقال الأخطل يصف خمرا خرجت حين فُتِحَ مَبْرُؤُهَا (٦٢)

لَمَّا أَتَوْهَا بِمِصْبَاحٍ وَمِزْلِهِمْ سَادَتْ إِلَيْهِ سُورُورُ الْأَجْبَلِ الضَّارِي (٦٣)

(٥٨) الديوان : ٧ مع تقديم وتأخير في الأبيات .

(٥٩) الديوان : ٦٥ .

(٦٠) ديوان النابغة : ١٨ .

(٦١) ل : بل رُب . ل : في أعلى . والسرداق : واحد السرداقات وهو ما أحاط بالبيت أو المضرب

المعجم الوسيط : ١ - ٤٢٨ .

(٦٢) الميزل من أى : شق يقال : يزل الشراب : نقب إناءه ليسيل ، المعجم الوسيط : ١ - ٥٤

(٦٣) ديوان الأخطل : ص ١٤٣ .

[رجع إلى شعر الخنساء]

فَمَا بَلَغْتَ كَفَّ أَمْرِي مُتَّائِلٍ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً
وَمَا الْغَيْثُ فِي جَعْدِ الثَّرَى دَمِثَ الرَّبِيِّ
بِأَجْزَلِ سَيِّئًا مِنْ نَدَاكَ وَنِعْمَةً
وَجَارَكَ مَحْفُوظٌ مَنِيعٌ بِنَجْوَةٍ
مِنَ الْقَوْمِ مَفْشَى الرُّوَاقِ كَأَنَّهُ
شَرَنْبُ أَطْرَافِ الْبَنَانِ ضِبَارِمٍ
هَزَبَرِ هَرِيثِ الشَّدَقِ رَبَّالِ غَابَةِ
أُخُو الْجُودِ مَعْرُوفٌ لَهُ الْجُودُ وَالنَّدَى

مِنَ الْمَعْجِدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلَ^(٦٤)
وَأَنْ كَثُرُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ^(٦٥)
تَبَعْتُ فِيهِ الْوَابِلَ الْمُتَهَلِّلُ
تَعْمُ بِهَا بَلَّ سَيْبُ كَفِّكَ أَجْزَلُ^(٦٦)
مِنَ الدَّلِّ لَا يُؤْذَى وَلَا يَتَذَلَّلُ
إِذَا خَافَ صَبْعًا حَادِرٌ مُتَبَسِّلُ^(٦٧)
لَهُ فِي عَرِينِ الْقَابِ عِزٌّ وَأَشْبَلُ^(٦٨)
مَخُوفُ اللَّقَاءِ كَالْيَاءِ الْعَيْنِ أُنْجَلُ^(٦٩)
خَلِيفَانِ مَا قَامَتْ تِعَارٌ وَيَذْبُلُ^(٧٠)

(٦٤) م : متأل ، والتصحيح من ل والديوان : ٦٥ . (٦٥) ل : وإن كثرت . الديوان : ولا صدق

(٦٦) ل : كفك . الديوان بدأ البيت بأوسع بدل : بأجزل ص ٦٦ .

(٦٧) الرواق : مقدم البيت - الحادر : الأسد الذي اتخذ الأجمة خذرا .

(٦٨) شرنبث ليست موجودة في ل ، ومعناها : الغليظ ، وهو صفة للأسد والعرس : اللبوة . والأشبل : أولاد الأسد . وضبارم : ضخم الرقبة .

(٦٩) هريت الشدق : واسعه . الرئبال : الأسد الجريء الشديد ، وفي ل : ربال غابة والأنجل واسع شق العين

(٧٠) الديوان : مادامت بدل : لما والأبيات من قصيدة ص ٦٥ ، ٦٦ من الديوان .

[وصايا لأهل الدين والآداب]

قال أبو العباس :

ونذكر وصايا يؤثر بعضُهما عن أهل الدين وبعضها عن أهل الآداب والطبائع الحمودة .
وقد تجرَّ إلى أنفسها غير ذلك من سائر الوصايا .

ثم نعود إن شاء الله تعالى إلى التعازي بالمشور والمنظوم . وبالله الحول والقوة ، ونشؤبه
بشيء من الاعتبار :

وصية أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال فطر بن خليفة^(١) عن عبد الرحمن بن سابط قال :

أوصى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين استخلفه فقال :
(إني مُستخلفك ، وأوصيك بتقوى الله يا عمر ، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالتهار ،
وعملاً بالتهار لا يقبله بالليل . وأعلم أنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . وأنه
إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق . ويحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا . وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الباطل في الدنيا . ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا .
إن الله جلَّ ذكره ذكَّر أهل الجنة بحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا
ذكرتهم قلل إلى لأعاف ألا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار بسوء أعمالهم ،
فإذا ذكرهم قلل إلى لأرجو ألا أكون من هؤلاء .

وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبًا راجبًا لا يمتنى على الله غير
الحق ولا يلقى يده إلى التهلكة ، فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك
من الموت ولست بمُعجزه) رضى الله عنهما^(٢) .

(١) فطر بن خليفة الخزومي مولاهم ، أبو بكر الخطاط صدوق رمى بالتشيع من الخامسة مات بعد
سنة ١٥٠ هـ . تقريب التهذيب : ٢ - ١١٤ .

(٢) الوصية في البيان والتبيين : ٢ - ٤٥ وفي م : ونشؤبه بشيء من الاعتبار .

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال فطر بن خليفة وغيره :

دعا عمر بن الخطاب عند موته عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال : (أى بُنَى !
إذا قام الخليفة بعدى فأنته قلل إنَّ عمر يقرأ عليك السلام ، ويوصيك بقوى الله
لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً : أن تعرف لهم ما يحبهم ويوصيك
بالأنصار خيراً : أن تقبل من محبتهم وتجاوز عن مستهم . ويوصيك بأهل الأمصار
خيراً ، فإنهم يهبط العدو ونجاة القىء ، لا تحمل كُتُهم إلا عن فضل منهم . ويوصيك
بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموالهم
تُرَدُّ على فقرائهم . ويوصيك بأهل النِّمة خيراً : أن تقابل من ورائهم ولا يكلفوا
فوق طاقتهم^(١) .



وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال لوط بن يحيى^(١) :

حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال :

دخلت على علي بن أبي طالب أسأل عنه حين ضربه ابن ملجم^(٢) فقممت ، ولم أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي مسترة ، فدعا الحسن والحسين فقال (إلى أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زوى عنكما .

قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضائع ، واصنما للآخرة ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له :

(فهمت ما أوصيت به أخويك) ؟

قال :

نعم .

قال :

(أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزوين أمرهما . ولا تقطع أمراً دونهما)

ثم قال :

(وأوصيكما به فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباه كان يحبهما فأحباهما .

(١) لوط بن يحيى الأزدي من الكوفة راوية عالم بالسير والأخبار له تصانيف كثيرة توفي سنة ١٥٧هـ . الأعلام : ٦ - ١١٠ والوصية في الكامل : ٩٨٢ .

(٢) عبد الرحمن بن ملجم أسلم وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد صفين ثم خرج عليه ، واتفق مع الخوارج على القتل . توفي سنة ٤٠هـ الأعلام : ٤ - ١١٤

وصية معاوية بن أبى سفيان

رضى الله عنه

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن داب: (١)

لما ثقل معاوية ، بعث إلى يزيد وهو في ضياعه ، فأتاه غلام له يقال له عجلان ، فأخبره
بثقل أبيه ، فأقبل وقد قال في ذلك شعرا :

جَاءَ الْبَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَحُبُّ بِهِ فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعًا
قُلْنَا : لَكَ الْوَيْلُ مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ قَالَ : الْخَلِيفَةُ أَمْسَ مَبْنًى وَجَعًا
فَمَادَتْ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا كَأَنَّ أَغْبَرَ مِنْ أَرْكَانِهَا الصَّدْعَا
ثُمَّتْ مِلْنَا إِلَى عَيْسٍ مُزْمَمَةٍ نَعَشَى الْفِجَاجَ بِهَا لَا تَأْتِلِي سَرْعَا
لَسْنَا ثَبَالِي إِذَا بَلَّغْنِ أَرْحَلْنَا مَنْ مَاتَ مِنْهُنَّ بِالْيَدَاءِ أَوْ ظَلَعَا
حَتَّى دَفَعْنَا لِرَأْسِ النَّاسِ كُلِّهِمْ هَذَا وَخَيْرُهُمْ فِعْلًا وَمُضْطَنَعَا
مَنْ لَمْ تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفِي عَلَى شَرَفٍ ثَوْبِكَ مَقَادِيرُ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تَقَعَا
لَمَّا اتَّهَيْتَا وَيَابَ الدَّارِ مُتَصَفِّقٌ لِصَوْتِ رَمَلَةٍ (٢) رِيحَ الْقَلْبِ فَالْقَلْعَا

قال :

فلما دخل على معاوية خلا به ، وأخرج عنه أهل بيته وقال : (يا بني قد جاء أمر
الله ، وهذا أوان هلاكى ، ما أنت صانع بهذه الأمة من بعدى ؟ ، فمن أجلك أترث
الدنيا على الآخرة ، وحملت الوزر على ظهري ليعلموا بنى أهلك

قال يزيد :

أَتُخَذُهُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ وَبِسِتَّةِ نَبِيٍّ ، وَأَقْتُلُهُمْ عَلَيْهِ .

قال :

أولا تسير بسيرة أبى بكر الذى قاتل أهل الردة ، ومضى والأمة عنه راضون ؟

قال :

(١) أبو الوليد كان خطيبا وشاعرا وعالما بالأنساب من أهل المدينة توفى عام ١٧١هـ . الأعلام :

(٢) رملة أخت يزيد . الوصية والشعر فى الكامل لابن الأثير : خلافة معاوية : ٣ : ٢٦٠ .

لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ، آخذهم به وأقتلهم عليه .

قال :

أولا تسير بسيرة عمر الذي مَصَّرَ الأمصار وجنَّد الجنود ، وفَرَضَ الأعْطِيَّة ، وجَبَى الفِئءَ وقاتل العَدُو ، ومضى والأمة عنه راضون !

قال :

لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه آخذهم به وأقتلهم عليه .

قال :

أولا تسير بسيرة عَمَّكَ عثمان بن عفَّان الذي أَكَلَ في حياته ، وورَّث في مماته ، واحتمل الوزرَ على ظهره ؟

قال :

لا إلا بكتاب الله وسنة نبيه آخذهم به وأقتلهم عليه .

قال :

يا يزيد انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعا فتقتل بخيار قومك ، وتغزو حرَمَ ربك بأشابات الناس فتُطْعِمُهُمْ لحومهم بغير حق ، فتُدْرِكُكَ مِيتَةٌ فجاءةٌ ، فلا دنيا أصبت ، ولا آخرة أدركت .

يا يزيد أمّا إذا لم تُصِيبِ الرُّشْدَ فَإِنِّي قَدْ وَطَّأْتُ^(٣) لك الأمور ، وذَلَّلْتُ لك أهل العِزِّ ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وَكَفَيْتُكَ الرِّحْلَةَ والتَّرْحَالَ وجمعت لك ما لم يجمعه واحدٌ ، وإنى لست أخاف أن ينازعك هذا الأمر إلا ثلاثة نفر : الحُسَيْن بن على وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزُّبير . فأما ابن عمر فرجلٌ قد وَقَدَّتْهُ^(٤) العبادة ، وتَغَلَّى من الدنيا وشغلته نفسه بالقرآن ، ولا أظنه يُقَاتِلُ عليها إلا أن تَأْتِيَهُ عَفْوًا .

وأما الذى يَجْنِمُ جُثُومَ الأسد ويُرْوِغُ رَوْعَانَ الثعلب فإن أُمَكَّتْهُ الفرصة وثب فابن الزبير ، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إِرْبًا إِرْبًا إلا أن يلتمس منك صُلْحًا ، فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تُقْبِلُ قلوبهم إليك .

(٣) وَطَّأْتُ : سهلت . (٤) وَقَدَّتْهُ العبادة : غلبته المعجم الوسيط : ١٠٦١٢ .

وأما الحسين بن علي فإن له رِجْماً وَحَقّاً وولادة من رسول الله^(٥)، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك ، فإن قَدَرْتَ عليه فاصفح عنه ، فإنني لو كنت صاحبه عفوت عنه . قُمْ عَنِّي) وصلى عليه عمرو بن العاص^(٦) .



(٥) م : دماء قومك . (٦) وصلى عليه عمرو بن العاص من : ل

وصية أبي عبيدة بن الجراح^(١)

تحدث لوط بن يحيى أبو مخنف قال :
لما طعن^(٢) أبو عبيدة بن الجراح بالأزدن - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين فقال :

إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا وحجوا واعتصموا وتواصلوا ، وانصحووا لأمرائكم ولا تغشوه ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرءًا لو غمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعى هذا الذي ترون .

إن الله كتب الموت على بنى آدم ، فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم لربه ، وأعملهم ليوم مياده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
يا معاذ بن جبل^(٣) ، صل بالناس .

ومات رغبة الله فقام معاذ إلى الناس فقال :
يا أيها الناس ، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا ، فإن عبدًا لا يلقي الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له . من كان عليه دين فليقضه ، فإن العبد مثرتهن بدينه ، ومن أصبح منكم مهاجرًا أخاه فليلقه فليصالحه ، ولا ينبغي أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث والذنب في ذلك عظيم .

إنكم أيها المسلمون قد فجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبدًا أبر صدرًا ، ولا أبعاد من الغائلة ، وأشد حبًا للعافية ، ولا أنصح للعامة منه ، فترحوا عليه رحمه الله ، ثم احضروا للصلاة عليه .

(١) هذه الوصية ساقطة في : ل . وأبو عبيدة بن الجراح علم من أعلام الصحابة يكفي أن النبي ﷺ شهد له بالجنة ، فهو من السابقين الأولين ، وعزم أبو بكر على أن يوليه الخلافة بعد موت النبي ﷺ . ولأه عمر قيادة الجيوش بعد خالد بن الوليد توفي سنة ١٨ هـ ودفن في عمواس وقد أصيب بالطاعون .

(٢) طعن : أصيب بالطاعون .

نقصت لصفحات من ص ١٤٣ الى

ص ١٤٦ ربه بوجد كتاب عليه تصور لصفحة

النافذة . عليه يتصور كتاب خزانة للفائدة

حتى رجود كتاب آخر تصور لصفحة

بن زهير عن شهر

١٤٤٧

أتى آت معاذ بن جبل عند موته فقال :

يامعاذ أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني ، فلعلى أحاج إلى سؤال الناس بعدك ، فلا
أجد فيهم مثلك .

قال معاذ :

بلى صلحاء الناس بحمد الله كثير ولن يضيع الله أهل هذا الدين . خذ عني ما أمرك
به .

كن من الصائمين بالنهار ، والمستغفرين بالأسحار ، والذاكرين الله على كل حال ،
ولا تشرب الخمر ، ولا تعق والدك ، ولا تأكل مال اليتيم ، ولا تفر من الزحف ،
ولا تأكل الربا ، ولا تدع الصلاة المكتوبة ، وصلى رحمتك لله ، وكن بالمؤمنين رؤوفا
رحيما . وأنا لك بالجنة زعيم . ثم مات رحمه الله . فصلي عليه عمرو بن العاص .

(١) معاذ بن جبل أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي صحابي جليل أحد رواة الحديث والمجاهدين
وأحد الستة الذين جمعوا القرآن . توفي سنة ١٨هـ وله من العمر ٤٨ سنة .

قال :

ثمانون ألف دينار

قال :

وفيم استدنتها ؟

قال :

في كريم سددتُ خَلله ، أولئيم اشتريت عِرْضِي منه ، ثم قال سعيد : هذه خصلةٌ وبقيت خَصْلَتان .

قال :

ما هما ياأبة ؟

قال :

يَأْتِي لا تُزَوِّجُنْ بَنَاتِي إِلَّا مِنَ الْأَكْفَاءِ وَلَوْ بِفَلَقِ خُبْزِ الشَّعِيرِ

قال :

أَفْعُلْ .

قال :

يا بني ذهبت خصلتان وبقيت خصلة

قال :

وما هي يا أبة ؟

قال :

يا بُنَيَّ إِنْ فَقَدَ إِخْوَانِي وَجْهِي فَلَا يَفْقِدُنْ مَعْرُوفِي

قال :

أَفْعُلْ يا أبة

قال :

يا بُنَيَّ مَازَلْتُ أَعْرِفُ الْكَرَمَ فِي حَمَالِقِ عَيْنِكَ ، وَأَنْتَ يُحَرِّكُ بِكَ فِي مَهْدِكَ حَتَّى بَلَغْتَ مَا أَرَى وَقَالَ : يَا بُنَيَّ مَا شَأْنُكَ رَجُلًا مِنْذُ كُنْتَ رَجُلًا وَلَا زَاوَحْتَ رَكْبَتَايَ رَكْبَتَيْهِ ، وَلَا كَلَّفْتُكَ مَنْ يَرْتَجِيْنِي أَنْ يَسْأَلَنِي فَيَنْزِلَ وَجْهَهُ وَيَرْشَحَ جَبِينَهُ رَشْحَ السَّقَاءِ ، إِذَنْ - وَاللَّهِ - فَمَا وَصَلْتَهُ .

يا بنى أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه مُحَاطَرًا لا يدرى أتعطيه أو تمنعه ، فوالله لو خرجت له من جميع ما تملك ما كافأته ، ولا الذى بات يتحمل على فراشه يُعَقَّبُ بين شفتيه أيجدن موصعا لحاجته أم لا ، هو اعظم على منتهى علىه ، إذا قضيتها له .

وفى هذا الحديث بغير هذا الإسناد ، ولكن عن الزبير بن أبى بكر قال : كانت علة التى مات فيها فى ضيعة له بقرب المدينة ، فلما اشتدت علة قال لابنه عمرو : يا بُنى قد ترى ما نزل بى^(١٥)

فقال له عمرو :

يا أبه لو حُملت إلى المدينة

فقال :

يا بُنى إن الحركة تُتعبنى ، وإن أهلى لا يخلون على بحمل على رقابهم ساعة يا بُنى إن ضيعتى هذه مُتَرَيِّفٌ ، وليست بمال غلة ، فإذا أنا مت ففرغت من دفتى ، فوجه مطيتك نحو معاوية فأنعنى له ، فإنه سيسألك عن دينى ويتضمنه ، فأعلمه أنى قد علمت ذلك وَجَزُهُ خَيْرًا . ثم قل له :

يا أمير المؤمنين إن له ضيعة أمر ببيعها بقضاء دينه ، فإنه سيشتريها منك ، فاسأله أن يكتب لك بما لها إلى المدينة فاقم بها دينى وَعِدَاتى^(١٦) .

فلما دفن كانت مطايا عمرو موقوفة فعزى عنه ، وركب إلى معاوية من ساعته حتى ورد عليه فتعاه له فتفجع وقال :

وما تخلف من الدين فهو على

فقال :

يا أمير المؤمنين قد علم ذلك فوصلتك رَحِمٌ ، ولكنه أمرنى بيع ضيعة له وهى الفلانية .

قال :

قد اشتريتها بدينه ، وكتب له بالمال إلى المدينة .

(١٥) ما نزل بى . من : ل

(١٦) العداة : العطايا التى وعد بها مفردا : عِدَّة .

فجاءه صعلوك من صعاليك قريش بصكك على أبيه بعشرين ألف درهم ، فيه شهادة
مولى له ، فقال له :

يا هذا ! إني أعرف هذا الخط ، إني أنكر أن يكون لمثلك مثل هذا المال عليه .
فدعا مَوْلَاهُ فقال :

أتعرف هذا ؟

فشهد به فقال له :

ما سببه ؟

فقال :

إن أباك في وقت عزله - وكان معاوية يُولِيه المدينة سنَّةً ويُولى مروان بن الحكم
سنَّةً - رآه وحَدَّه وقد رَكِبَ لبعض حاجاته ، فسار معه حتى بلغها ورجع ، فلما انتهى
قال له :

يا فتى ألك حاجة ؟

فقال :

لا ، ولكنى رأيتك منفرداً فأحببت أن أصل جناحك ، فالتمس مالا يهبه له فلم يحضره .
فقال لى :

عَجِّلْ عَنِّي بِصَحِيفَةٍ وَكُتِبَ لَه بِهَذَا دَيْنًا عَلَيْهِ حَالًا .

فقال عمرو :

إذن والله لا تأخذها إلا مُعَجَّلَةً مُتَقَدَّةً .

قال ابن دأب :

لما حضر عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له :

يا أمير المؤمنين ! اكتب لى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمة خيراً

قال :

وبم أوصيه ؟ إنى لأعلم أنه من بنى مروان . ثم أمر بالكتاب إليه :

أما بعد . فاتق الله ، واتق الصرعة ، بعد الغفلة ، فلا تُقال العثرة ، ولا تُقدِرْ على

الرجعة . تترك ما تترك لمن لا يَحْمَدُكَ ، وتقدم على من لا يَعْدِرُكَ والسلام

ويروى أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى حَشَمِهِ وَلُحْمَتِهِ يكون ، ففتح عينيه فاطلع في وجوههم ثم قال :

جاد عليكم هشام بالدنيا ، وَجُدْتُمْ عليه بالبكاء ، وترك لكم ما خَلَفَ وتركتم عليه ما اكتسب ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له !

ولما احتضر معاوية أقبل على ابنة قَرْظَةَ [أحدى زوجاته] فقال :

بكنيني فقالت :

أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا كُـلُّ الْفَتَى فِيهِ
قال لابنتيه :

قلْباني فجعلتا تُقَلِّبانِه لجنب بعد جنب فقال :

إنكما لتُقَلِّبانِه حَوْلًا قُلْبًا إِنَّ وَقَى كَبَّةِ النَّارِ^(١٧) ثم انشد [الكامل]

لَا يَنْعَدُنْ رِبْعَةُ بْنُ مُكْدَمٍ وَسَقَى الْعَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبِ^(١٨)
ثم قال ليزيد :

إذا أنا قضيت فأحسِنْ غسلي ، واجعل في آخره مسكًا وكافورًا ، وأحسن الصلاة عليّ ثم ادفني في لحدى ، ودغني وربّي . فلما بلغ ابن عباس موته قال : [الكامل]
جَبَلٌ تَصْدَعُ ثُمَّ مَالٌ بِجُمُعِهِ فِي الْبَحْرِ لَارْتَقَتْ عَلَيْهِ الْأَبْحُرُ
وصية الربيع بن خثيم^(١٩)

روى إسرائيل عن يونس بن أبي اسحاق السبيعي عن سعيد بن مسروق الثوري عن مُنْذِرِ بْنِ يَعْلَى الثوري قال :

أَوْصَى الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ : (هذا ما أوصى الربيع بن خثيم : يشهد أن لا إله إلا الله وكفى بالله شهيدًا ، وجازيًا لعباده الصالحين ومثيًا . إني رضىتُ بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا وبالقرآن إمامًا . وإني أوصى نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العبادين ، وَيُحَمِّدَهُ في الخامدين ، وَيُنْصَحَ لجماعة المسلمين) .

(١٧) كبة النار : معظمها - والحول : ذو الحيلة ، والقلب : الذى يقلب الأمور ظهرًا البطن .

(١٨) ربيعة بن مُكْدَمٍ : من أبطال الجاهلية ، واحد من فرسان مضر المعدادين .

(١٩) الربيع بن خثيم بن عائذ عبد الله أبو يزيد الكوفي ثقة عابد قال له عبد الله بن مسعود :

لو رآك رسول الله لأحبك مات سنة ٦٣ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ٢٤٤ .

وصية جندب بن عبد الله البجلي

روى شعبة بن الحجاج عن يونس بن جبير قال :

شيعنا جندب بن عبد الله فقلنا : أوصنا .

فقال :

أوصيكم بتقوى الله وبالقرآن ، فإنه نور الليل المظلم ، وهُدًى النهار ، فاعلموا
واعملوا به على ما كان من جهد وفاقه ، فإن عظم بلاء فقدم مالك دون نفسك ،
فإن جاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك^(١) .

واعلم أن المخروب من حرب دينه ، والمسلوب من سلب دينه ، واعلم أنه لا
غنى بعد النار ، ولا فقر بعد الجنة ، وأن النار لا يُفك أسيرها ، ولا يستغنى فقيرها .

ولما حضرت الوفاة عمر بن هبيرة^(٢) جزع وجعل يقول :

لله در البغلات المُسرجات الواقفات بأبواب السلطان . والله لو ددْتُ أني كنت راعِي
إبل مائة لرجل سبيء الملكة^(٣) .

ولما احتضر إبراهيم بن يزيد النخعي^(٤) جزع جزعاً شديداً وجعل يقول :

نفسى أعزُّ الأنفس على .

فقيل له :

يا أبا عمران ! أتجزع هذا الجزع من الموت ؟

فقال :

(١) م : فإن عرض بلاء فقدم مالك دون دينك وما أثبتناه من ل

(٢) هو أبو المثنى عمر بن هبيرة الفزارى أمير داهية شجاع ساعد بنى أمية على تثبيت ملكهم توفى
سنة ١١٠ هـ .

(٣) سبيء الملكة أى الذى لا يحسن صحبته الممالك . اللسان : ملك

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيرا
من الخامسة مات سنة ست وتسعين ، وهو ابن خمسين أو نحوها . تقريب التهذيب : ١ - ٤٦ .

وَأَيُّ غَرٍِّ أَعْظَمُ مِمَّا أَنَا فِيهِ^(٥) ، إِنَّمَا أَتَوَقَّعُ رَسُولًا مِنْ رَبِّي إِمَّا بِجَنَّةٍ وَإِمَّا بِنَارٍ .

ويروى أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَعْرَابِ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ يَبْكِيَانِ حَوْلَهُ بِكَاءٍ ذَرِيعًا فَقَالَ :

مَا يَبْكِيَكُمَا ؟

فَقَالَا :

إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةُ ، وَلَكِنْ لِرِزْهِوَ كَانَ فِيكَ .

فَقَالَ : يَا اللَّهَ ! مَا يَبْكِيَكُمَا إِلَّا ذَاكَ !

فَحَلَفَا عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ :

فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا يَسِّرَنِي أَنْ إِلَيْكُمَا مِنْ أَمْرِي مَا إِلَى رَبِّي

ويروى أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ فَارَسٍ احْتَضَرَ فَجَزَعَ فَقِيلَ لَهُ :

مَا بَكَ ؟

فَقَالَ :

مَا ظَنَنْتُمْ بِمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلَا زَادٍ ، وَيَقْدُمُ عَلَى حَكَمٍ عَادِلٍ بِلَا حُجَّةٍ ، وَيَسْكُنُ

قَبْرًا مَوْحَشًا بِلَا مُؤْنَسٍ ؟

وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدى^(١)

ولما خُصِرَ المهلب بن أبي صفرة الوفاة^(٢) أوصى بنيه فقال :
أوصيكم بتقوى الله وصلّة الرّحم ، فإنّ تقوى الله تُعقبُ الجنّة ، وإن صلة الرّحم
تُسيء في الأجل^(٣) ، وتُثري المال ، وتجمع الشّمل^(٤) ، وتكثر العدد ، وتعمّر الديار ،
وتُغزّ الجانِب .

وأنهاكم عن معصية الله ، فإنها تُعقب النار ، وإن قطيعة الرّحم تورث القلّة والذلّة ،
وتُفَرِّق الجمع^(٥) ، وتُنزّر الديار بِلأَقِع^(٦) ، وتُذهِبُ المال . وتُطمع العدو ، وتُبدى
العورة .

يا بنى قومكم قومكم^(٧) ! إنه ليس لكم فضلٌ عليهم^(٨) بل هم أفضل منكم إذ
فضلوكم وسودوكم ووطّؤوا أعقابكم . وبلغوا حاجتكم^(٩) فيما أردتم ، وأعانوكم ، فلهم
بذلك حقّ عليكم ، وبلاء عندكم ولا تؤثّون شكره^(١٠) ، (ولا تقومون بحقه ، فإن
طلبوا فاطلبوهم ، وإن سألوا)^(١١) فأعطوهم ، وإن لم يسألوا فابتدئوهم ، وإن شتموا
فاحملوهم ، وإن غشّوا أبوابكم فلتفتّح لهم ولا تُغلّق دونهم .

يا بنى ! إني أحبُّ للرجل منكم أن يكون لفعله الفضلُ على لسانه ، وأكره للرجل
منكم أن يكون للسانه الفضل^(١٢) على فعله .

(١) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ، واسمه ظالم بن سراق الأزدى ولد قبل وفاة النّبي ﷺ بستين
كان من أشجع الناس ، حمى البصرة من الخوارج . وله معهم وقائع كثيرة مشهورة . ولاة عبد
الملك بن خراسان سنة ٦٩ هـ . وبقي عليها حتى توفى سنة ٧٣ هـ . ونهايات الأعيان : ٣٥٠-٣٥٩ هـ .

(٢) لما احتضر المهلب بن أبي صفرة في : ل

(٣) تنسيء الأجل : تبعده وتؤخره .

(٤) الشّمل : زيادة من ل .

(٥) ل : الجميع . (٦) ل : بلقما (٧) قومكم الثانية : ليست موجودة في ل .

(٨) ل : عليهم فضل . (٩) حاجاتكم لما في : ل (١٠) ل : لا يؤدون

(١١) ما بين القوسين ليس موجودا في ل . والمعنى : فإن طلبوا فاطلبوهم أى إن طلبوا شيئا

فأعطوهم . (١٢) ل : فضل

يَابُنَيَّ ، اتَّقُوا الْجَوَابَ ، وَزَلَّةَ اللِّسَانِ ، فَإِنِ وَجَدْتُ الرَّجُلَ تَعَثَّرَ قَدَمَهُ فَيَقُومُ مِنْ زَلَّتِهِ وَيَتَمَشَّحُ مِنْهَا ، وَيَزِيلُ لِسَانَهُ فَيُوبِقُهُ ، وَتَكُونُ فِيهِ هَلَكَةٌ .

يَابُنَيَّ ! إِذَا غَدَا عَلَيْكُمْ رَجُلٌ ^(١٣) أَوْرَاحَ فَكْفَى بِذَلِكَ مَسْأَلَةً وَتَذَكُّرَةً بِنَفْسِهِ .

يَابُنَيَّ ! ثِيَابُكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ أَجْمَلٌ ^(١٤) مِنْهَا عَلَيْكُمْ ، (وَدَوَابُّكُمْ تَحْتَ غَيْرِكُمْ أَحْسَنُ مِنْهَا تَحْتَكُمْ) ^(١٥) .

يَابُنَيَّ ! أَحْبَبُوا الْمَعْرُوفَ ، وَاكْرَهُوا الْمُنْكَرَ وَاجْتَنِبُوهُ ، وَآثَرُوا الْجُودَ عَلَى الْبُخْلِ ، وَاصْطَنَعُوا الْقُرْبَ وَأَكْرَمُوهُمْ ، فَإِنَّ الْعَرِيَّ تَعْلُهُ ^(١٦) الْعِلَّةُ فَيَمُوتُ دُونَكَ وَيَشْكُرُ لَكَ ، فَكَيْفَ بِالصَّنِيعَةِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ فِي احْتِمَالِهَا ، وَشَكَرَهُ وَالْوَفَاءَ لِمُصَاحِبِهِ ^(١٧) .

يَابُنَيَّ ! سَوِّدُوا أَكْبَارَكُمْ ^(١٨) وَاعْرِفُوا فَضْلَ قُوَى أَسْنَانِكُمْ تَعْظُمُوا بِذَلِكَ ^(١٩) ، وَارْحَمُوا (صَغِيرَكُمْ وَقُرْبَاهُ وَالْطُّفُولَ وَاجْبُرُوا ^(٢٠)) يَتِيمَكُمْ وَعُودُوا عَلَيْهِ بِمَا قَدَرْتُمْ ، (وَحُذِنُوا عَلَى يَدَيْ سَفَهَائِكُمْ ، وَتَعَاهَدُوا قُرَاءَكُمْ وَجِهَانَكُمْ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ) ^(٢١) وَاصْبِرُوا لِلْحَقِّقِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ .

وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْأَنَاءَةِ ، وَالتَّوَدُّةِ فِي اللَّقَاءِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِثْمَاسِ الْحَدِيدَةِ فِي الْحَرْبِ لَعَلَّكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّرَقُّ وَالْعَجَلَةَ ، فَإِنَّ الْمَكِيدَةَ وَالْأَنَاءَةَ وَالْحَدِيدَةَ فِي الْحَرْبِ ^(٢٢) أَنْفَعُ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْقِتَالَ وَالْمَكِيدَةَ ^(٢٣) مَعَ الصَّبْرِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّقَاءُ تَرَكَ الْقَضَاءَ ، فَإِنَّ ظَفَرَ امْرَأَةٍ وَقَدْ ^(٢٤) أَخَذَ بِالْحَزْمِ قَالَ الْقَاتِلُ :
قَدْ أَقَى الْأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَظْفَرِ قَالَ :

مَا ضَيَّعَ وَلَا قَرَطَ ، وَلَكِنَّ الْقَضَاءَ غَالِبٌ . وَالزُّمُوا الْحَزْمَ عَلَى أَىِ الْحَالَتَيْنِ وَقَعَ الْأَمْرُ

(١٣) رَجُلٌ : زِيَادَةٌ مِنْ ل . (١٤) ل : أَحْسَنُ . (١٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ ل .

(١٦) تَعْلُهُ فَعْلُهُ وَعَدَ . يُقَالُ : وَعَدَهُ الْأَمْرُ ، وَبِهِ وَعَدَهُ وَعَدَهُ . (١٧) ل : لِمُصَاحِبِهِ . (١٨) فِي ل : كِبَارَكُمْ . (١٩) ل : بِهِ .

(٢٠) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ مَوْجُودًا فِي ل . (٢١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مَأْخُوذٌ مِنْ ل .

(٢٢) فِي الْحَرْبِ . لَيْسَتْ فِي ل .

(٢٣) ل أَنَّ الْقِتَالَ وَالْمَكِيدَةَ . (٢٤) م : قَدْ

والزموا الطاعة والجماعة ، وإياكم والخلاف تواصلوا وتآزرُوا^(٢٥) وتعاطفوا فإن ذلكم^(٢٦) يثبت المودة . وخذوا فيما أوصيتكم به بالجد والقوة والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها . وبآخرتكم إذا صيرتم إليها ، ولا قوة إلا بالله .

وليكن أول ما تبدؤون به أنفسكم إذا أصبحتم تعليم القرآن والسُنن والفرائض ، وتأدبوا بآداب الصالحين مِنْ قبلكم مِنْ سلفكم ، ولاثقاعدوا أهل الدُّعارة والرِّيبة ، ولا يَطْمع في ذلك منكم طامع .

وإياكم والخفَّة في مجالسكم وكثرة الكلام ، فإنه لا يسلم منه صاحبه ، وأثُوا حق الله عليكم ، فإنِّي قد أبلغت إليكم وصيَّتِي ، واتخذت لله الحجة عليكم .

وتوفى بَمَرَوِ الرَّوْد^(٢٧) ، وتولى خراسان أربع سنين . فقال نهار بن توسعة^(٢٨) .

[الطويل]

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ التَّدَى وَالْحَزْمُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ
أَقَامَا بِمَرَوِ الرَّوْدِ رَهْنِ ثَرَابِهِ وَقَدْ غِيَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ^(٢٩)

قال :

ثُمَّ وُلِّيَ مِنْ بَعْدِ الْمُهْلَبِ قَتِيبة بن مسلم^(٣٠) ، فدخل عليه نهار بن توسعة وهو يعطى النَّاسَ ، فلما رآه عرفه ، وقال : آأنت القاتل في المهلب ما قلت ؟

قال :

(٢٥) تآزرُوا : ليست موجودة في ل . (٢٦) ل : ذلك . وأيضا : تثبت بدل : يثبت .

(٢٧) مرو الروذ : مدينة من مرو الشاهجان . معجم البلدان : حرف م .

(٢٨) نهار بن توسعة بن أبي العنان شاعر بكر في خراسان اشتهر بالمدح والهجاء . توفى سنة ٨٣ هـ وانظر الأعلام : ٩ - ٢٤

(٢٩) رهني ... وعينا في ل .

(٣٠) أبو حفص قتيبة بن مسلم الباهلي ، ولي الرى في عهد عبد الملك وخراسان في عهد الوليد وكرمه سليمان بن عبد الملك فخرج عليه قتيبة ، فسير إليه سليمان جيشا فهزمه وقتله سنة ٩٦ هـ (انظر الأعلام ٦ - ٢٨) .

بل أنا الذى أقول :

[الطويل]

وَمَا كَانَ مُذَكُّنَا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِينَا كَائِنٌ كَائِنٌ مُسْلِمٌ
أَعْمٌ لِأَهْلِ الشَّرِكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَقْسَمَ فِينَا مَغْنَمًا بَعْدَ مَغْنَمِ
قال :

إن شئت فأقتل ، وإن شئت فأكثر ، لا تصيب منى خيراً ، يا غلام ، خلّق على
اسمه فلزم منزله حتى ولى يزيد بن المهلب خراسان ، فأتاه فدخل عليه وهو يقول :

[الطويل]

فَإِنْ يَكْ ذَلْبِي يَا قُتَيْبَةَ أَنْبَى بَكَيْتُ امْرَأَةً قَدْ كَانَ فِي الْجُودِ أَوْحَدًا
أَبَا كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَنْ لَا أَبَالَهُ وَغَيْثَ مُعِيشَاتٍ أَطْلَنَ التَّلَدُّدَا
فَسَأَلْتُكَ إِنَّ اللَّهَ إِنْ سُوْتُ مُحْسَنٌ إِلَى فَقَدْ أَبْقَى يَزِيدَ وَمَخْلَدًا^(٣١)
فقال له :

احتكم

فقال :

مائة ألف ..

ويقال :

إنَّ مَخْلَدَ بْنَ يَزِيدٍ هُوَ الَّذِى أَعْطَاهُ ، لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ قَدَّمَهُ خَلِيفَةً عَلَى خِرَاسَانَ . فَكَانَ
يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ مَخْلَدٍ «رَحِمَ اللَّهُ مَخْلَدًا مَا تَرَكَ لِي بَعْدَهُ مِنْ قَوْلٍ» .
وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ أَوْصَى مَخْلَدًا ابْنَهُ : لَمَّا سَارَ مِنْ خِرَاسَانَ إِلَى جُرْجَانَ^(٣٢) ،
فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى خِرَاسَانَ ، أَنْ قَالَ لَهُ :

يَا بُنَى ! أَنْظِرْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْيَمَنِ فَكُنْ لَهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادَى : [الطويل]
إِذَا كُنْتُ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لَتَفْعِهِمْ فَرُشٌ وَاصْطَبَحَ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ ثَرْمِي^(٣٣)

وَكُنْ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

[السريع]

يَا زَاكِبَا قُولَا لِإِخْوَانِنَا مَنْ كَانَ مِنْ كِنْدَةَ أَوْ وَائِلٍ

(٣١) أمالي القالى : ١٩٩ . (٣٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان .

(٣٣) البيت فى بلوغ الأرب ص ١١٤ وهو شاعر جاهلى شهد له الخطيئة بالسبق .

إِنَّا وَ إِيَّاكُمْ وَمَا يَنْتَ كَمْوَضِعِ الزُّورِ مِنَ الْكَاهِلِ^(٣٤)
قال :

وَمَيَّ إِلَى عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ قَالَ :

كُتِبَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى وَلَدِ الْمَسُورِ^(٣٥) يَعْزِيهِمْ عَنْ أَبِيهِمْ :

قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي كَانَ مِنْ نَازِلِ قَضَاءِ اللَّهِ فِي الْمَسُورِ بْنِ عَمْرٍو ، وَمَا اخْتَارَ
اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَعِنْدَ اللَّهِ يَحْتَسِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَصَابِهِ ، وَنَعَمَ الْمُتَوَفَّى تَوَفَاهُ اللَّهُ
بَيْنَكُمْ وَفِي جُودِ اللَّهِ الْخَلْفِ الْكَافِي . وَقَدْ أَعَاضَكُمْ اللَّهُ مِنْ رَزِيَّتِكُمْ رَأْيَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
جَمِيلًا ، فِيهِ حَسَنُ الْخُلْفِ عَلَيْكُمْ . فَلْتَحْسُنْ ظَنُونَكُمْ بِرَبِّكُمْ وَخَلِيفَتِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَقْبِضْ وَلِيًّا لَهُ إِلَّا أَحْسَنَ خَلَافَتِهِ فِي وَلَدِهِ وَأَهْلٍ لِحُفَّتِهِ^(٣٦) .

وَتَحَدَّثَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ :

عَزَى السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ^(٣٧) عَنْ ابْنِ لَهُ ، فَقَالَ السَّائِبُ : (هَكَذَا الدُّنْيَا تَصْبِحُ لَكَ

[الطَّوِيلُ]

سَارَةً وَتَمْسِي عَلَيْكَ مَتَكْرَةً) ثُمَّ تَمَثَّلَ :

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ لَا لِحُلُودَ وَأَنْتَ سَيِّئُ فِي ذَارِي غُرَابٍ وَيَخْجَلُ
وَيَقْسِمُ مِيرَالِي رِجَالُ أَعِزَّةٍ وَتَذْهَلُ عَنِّي الْوَالِدَاتُ وَتُشْفَلُ^(٣٨)

وَحَدَّثَ النَّضْرُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ :

مَاتَتْ امْرَأَةُ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ^(٣٩) فَاشْتَدَّ حَزَنُهُ عَلَيْهَا ، فَنَهَاهُ الْحَسَنُ فَقَالَ :

(يَا أَبَا سَعِيدٍ ! إِنَّهَا كَانَتْ مَوَاتِيَّةً ، وَكَانَتْ .. وَكَانَتْ ..)

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :

(٣٤) دِيوَانَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : ٢٥٨ .

(٣٥) الْمَسُورِينَ عَمْرٍو بْنِ تَيْمٍ كَانَ مِنْ سَادَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ . التَّعَازَى : ٣٢ .

(٣٦) الْخَبَرُ فِي التَّعَازَى . (٣٧) السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ مِنْ بَنِي ثَقِيفَ وَلِي أَصْبَهَانَ ، وَمَاتَ بِهَا وَكَانَ
عَمْرٌ قَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدَائِنِ

(٣٨) الْخَبَرُ فِي التَّعَازَى : ٣٢ ، ٣٣ . (٣٩) بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ ثَقَّةٌ ثَبَتَ

جَلِيلٌ مَاتَ سَنَةَ ١٠٦ هـ تَقْرِيبَ التَّهْذِيبِ ١ - ١٠٦

(لا تيأس فعند الله خيرٌ منها)
فتزوج أختها بعدها ، فمرَّ به الحسن بعد ذلك فقال :
(هذه خير من أختها)^(٤٠) .

قال أبو الحسن المدائني عن الحسن الجُفري قال :
لما مات سعيد أخو الحسن حزن عليه الحسن وقال :
(إنه لأعزُّ أهلي عليَّ ولأنَّ يكون لي أحبَّ إليَّ من أن أكون له) . فعاتبه بعض إخوانه
فقال الحسن :
يا عبد الله ! قد حزن يعقوب على ابنه يوسف فلم يُعَفِّه الله بذلك^(٤١) .

وقال عن كُليب بن خلف :
قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله بن الأَهم :
كيف كان جَزَعُكَ على أهل بيتك ؟
فقال : ما ترك هم^(٤٢) الغداء والعشاء في قلبي حزنا على أحد .^(٤٣)

وقال يزيد بن عياض بن جُعْدبة :
كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة قال :
قد قتل أُنَى وإمامي عثمان بن عفان^(٤٤) فصبرت .

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني :
أخبرني إسماعيل بن يسار قال :

(٤٠) التعازي : ٣٣

(٤١) التعازي : ٣٣ . (٤٢) ل : حُبْ : بدل / هم (٤٣) التعازي : ٣٤

(٤٤) الخبر في التعازي : ٣٤

مات ابن لأرطاة بن سُهَيْبَةَ المُرِّي من غطفان فأقام على قبره حَوْلًا يأتيه كل غداة فيقول :

يا عمرو ! إن أقمْتُ حتى أمسى هل أنت رائح معي ؟ ويأتيه في المساء فيقول مثل ذلك ثم ينصرف .

فلما كان رأس الحول تمثل :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَك حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ
ثم انصرف عن قبره وانشأ يقول : [الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ وَقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكِي وَمَجْزَعِ
هَلْ أَنْتَ ابْنُ لَيْلَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحَ مَعَ الْقَوْمِ أَوْغَادِ غَدَاةِ غَدٍ مَعِي ؟
فَلَوْ كَانَ : لَبِى شَاهِدًا مَا أَصَابَنِى شَيْءٌ عَلَى قَبْرِ بِأَخْجَارٍ أَجْرَعِ
فَمَا كُنْتُ إِلَّا وَالِهَا بَعْدَ زَفَرَةٍ عَلَى شَجْوَاهَا بَعْدَ الْحَيْنِ الْمَرْجِعِ
مَتَى لَا تَجِدُهُ تَنْصَرِفُ لِطَيَاتِهَا مِنْ الْأَرْضِ أَوْ تُرْجِعُ لِإِنْفِ قَرْنِعِ
عَلَى الدَّهْرِ فَأَغِيبَ إِنَّهُ غَيْرُ مُغِيبِ وَلَى غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتْ الْأَرْضُ فَاطْمَعِ^(٤٥)

وقال أبو محمد الكعبي :

قالى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين استشهد أخوه زيد بن الخطاب باليمامة ، وحضره رجل من بنى عدى بن كعب ، فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه ثم قال :

أُخْلِفْتُ زَيْدًا ثَاوِيًا وَأَلَيْتِي^(٤٦)

وقال المثنى بن عبد الله بن عوف :

كان عمر بن الخطاب إذا أصابته مصيبة قال :

قد فقدت زيدا فصبرت .

وكان يقول :

ما هبت الصَّبَا إِلَّا وَجَدْتُ نَسِيمَ زَيْدٍ^(٤٧)

وقال أبو الحسن :

أخبرني من أثق به عن حكيم من الحكماء :

قال :

مات أخ له فجزع عليه ، فقال له قاتل من أصحابه :

اصنع بنفسك ما يصنعه بك الدهر

وأخبر عن أبي إبراهيم قال :

قال عباد بن مُحَاشِن :

استشهد لي اثنان فجزعت عليهما .

فقال له رجل :

ثم ماذا ؟

قال :

كان جرحاً فبراً^(٤٨) .

وتحدث قال :

لما مات معاوية دخل على يزيد أشراف أهل الشام فلم يجتمع لأحد منهم تعزية مع

تهنئة إلاّ عطاء بن أبي سفيان فإنه قال :

يا أمير المؤمنين ! أصبحت قد رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله . قضى معاوية

نحبه ، فغفر الله ذنبه ، وأعطيت بعده الرئاسة ، ومنحت السياسة ، فاحتسب عند الله

عظيم الرزية واشكره على حسن العطية^(٤٩) .

وقال الأصمعي :

لما ماتت البانوقة بنت المهدي اشتد جزعه عليها وحجب الناس ، فتلطف شبيب بن

شبية فدخل عليه فقال :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ لَهْ خَيْرٌ لَهَا مِنْكَ ، وَلِثَوَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهَا . وَإِنْ أَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُقَدَّرْ عَلَى دَفْعِهِ .
فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَسَلَّى بِهِ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ ^(٥٠) .

وَقَالَ جُوَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ :
اشْتَكَى ابْنُ لَعْبَدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ فَجَزَعَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَظْهَرُ فِي مَرَضِهِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ :
كَانَ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ لَهُ وَرَقَّةً ، فَلَمَّا وَقَعَ الْقَضَاءُ رَضِيتُ وَسَلِمْتُ ^(٥١) .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ :
أَصْبَحَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ وَقَدْ مَرَّتْ لَهُ عِدَّةُ أَبَاعِرٍ وَشَاءَ ، فَقَالَ :
لَنْ كَانَتْ الْمَنِيَّةُ بَاتَتْ تُطْلِفُ بِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ ، وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي إِلَى شَاقٍ وَبَعِيرٍ ، ثُمَّ جَرَعْتُ إِيَّيْهِ لَجْزُوعٍ . ثُمَّ قَالَ :
[مَجْزُوءُ الْكَامِلِ]
الْمَرْءُ يَنْقَسِي مَادِرًا حَتَّى يُقَالَ لَهُ : تَعَالَهُ ^(٥٢)

وَتَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ أَوْ غَيْرُهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبِ النَّحْوِيِّ قَالَ :
شَهِدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَعْرَابِ وَبَيْنَ يَدَيْهَا ابْنُهَا رَجُلٌ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَعِنْدَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهَا . فَلَمَّا قَضَى وَتَبَتْ إِلَيْهِ فَعَمَّضَتْهُ وَعَصَبَتْهُ وَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَنَحَّتْ إِلَى مَجْلِسِهَا فَقَالَتْ : يَا أَبَانَ ! مِنْ حَقِّكَ مِنَ الْبَيْسِ النِّعْمَةُ وَأُطِيلَتْ بِهِ النَّظَرَةُ إِلَّا يَجْزَعُ عَنِ التَّوَقُّعِ لِنَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ حُلِّ عُقَدَتِهِ ، وَالْحُلُولِ بِعَقَوْتِهِ وَالْحَيَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ .
قَالَ :

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِمَّنْ حَضَرَهَا :
إِنَّمَا لَمْ تَزَلْ نَسْمَعُ أَنَّ الْجَزَعَ لِلنِّسَاءِ ، فَوَإِيكَ لَقَدْ كَرُمَ صَبْرُكَ ، وَمَا اشْتَبَهَتْ النِّسَاءُ !
فَقَالَتْ :
مَا مِيزَ إِنْسَانٌ بَيْنَ صَبْرٍ وَجَزَعٍ إِلَّا وَجَدَ بَيْنَهُمَا مَنَهِجِينَ يَبْعِدُنِي التَّفَاوُتُ فِي حَالَتِهِمَا .

(٥٠) التَّعَاذِي : ٤١ ، ٤٢ (٥١) التَّعَاذِي : ٤٢

(٥٢) السَّادِرُ : هُوَ الَّذِي لَا يَهْمُ بِشَيْءٍ وَالْخَيْرُ فِي التَّعَاذِي : ٤٢

أَمَّا الصَّبْرُ فَحَسَنُ الْعَلَانِيَةِ ، محمود العاقبة . وأما الجزع فغيرُ معْوضٍ عَوْضًا مع مَائِمِهِ ، ولو كانا رَجُلَيْنِ في صورة كان الصَّبْرُ أَوْلَاهُمَا بِالْغَلْبَةِ عَلَى الْحَسَنِ فِي الْخَلِيقَةِ وَالْكَرَمِ فِي الطَّبِيعَةِ^(٥٣) .

* * *

وقال أبان :

حدثنا ابن السَّمَاك^(٥٤) قال :

جلسنا ننتظر جنازة لتخرج إذ مرَّ بنا أعرابيٌّ فوقف علينا فسَلَّمَ ثم قال :
إِنَّ أَعْظَمَ الْمَصِيبَةِ مُصَابِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ ، وَرَحِمَ مِيتَكُمْ .
قال ابنُ السَّمَاك :

فَمَا يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنِّي سَمِعْتُ كَلِمَاتٍ أَوْجَزَ مِنْهِنَّ : إِنَّهُ صَدَّرَ كَلَامَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَعَزَّانَا ، وَتَرَحَّمَ عَلَى مَيِّتِنَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وقال أبان :

سمعت بعض الأعراب يتلهف على حميم له ، ثم تنفس الصعداء وقال :
أَيَّاهُ^(٥٥) عَتَبَ النَّاسُ عَلَى الدَّهْرِ ، فَلَمْ يُعْتَبَ مُسْتَعْتَبًا ، وَلَمْ يَرِثْ لِمُتْلَهْفٍ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
قال :

كل امرئ مئًا يجري في السوابق مِنْ حَتَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

* * *

وتحدث الجَرِّمَازِيُّ قال :

كان مروان بن عبد الملك ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، من أحب ولد عبد الملك
إليه ، فتوفى في حياة عبد الملك ، فكان أهل العلم بعبد الملك بن مروان يَرَوْنَ أَنَّهُ لَوْ
بَقِيَ لَثَلَّثَ بِهِ فِي الْعَهْدِ . فكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْضَ عَمُومَتِهِ مِنْ بَنِي الْحَكَمِ وَهُوَ غَائِبٌ
يَعْزِيهِ عَنْهُ وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ كَانَ صَبْرُهُ .

(٥٣) التعاذلي : ٦٦ . (٥٤) هو أبو العباس محمد بن صالح المعروف بابن السَّمَاك سمع من جماعة
منهم سفيان الثوري ، وروى عنه أحمد بن حنبل ، وهو كوفي قديم بغداد زمن الرشيد فكان يكيه
من قوة وعظمة ، مات بالكوفة سنة ١٨٣ هـ . التعاذلي : ٦٩ .
(٥٥) أَيَّاهُ بمعنى هبَّاهُ أي بعد .

فكتب إليه عبد الملك :
 كَتَبْتُ نَسْأَلَ عَنْ صَبْرِي لَتَعْلَمَهُ عَلَى الرَّزِيَّةِ فِي الْمَأْمُولِ مَرْوَانَ
 فَقَدْ صَبَرْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مُخْتَسِبًا لِمَوْعِدِ اللَّهِ مِنْ فَوْزٍ وَرِضْوَانٍ
 وَلَوْ حَزَنْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ لِفِرْقَانِهِ مَا كَانَ فِي فَقْدِهِ مَنَهَاةٌ أَخْرَانِي
 قال الحرمازي :

وكان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلامٌ فمَجَّلَ
 عليه سليمان ، فقال له :
 يا ابن مُلْحِنٍ^(٥٦) أمه ، ففتح فاه ليحييه وإلى جانبه عمرُ بنُ عبد العزيز فأمسك على
 فيه ورَدَ كلمته وقال :
 يا أبا عبد الملك أخوك وإمامك وله السنُّ عليك
 فقال :

يا أبا حفص ! قتلتنى
 قال :

وما صنعتُ بك ؟
 قال :

رَدَدْتُ فِي جَوْفِي أَحْرًا مِنَ الْجَمْرِ . وَمَالَ لَجَنِبِهِ فَمَاتَ .
 وفيه يقول جرير يخاطب أخاه لأمه يزيد بن عبد الملك :
 [الطويل]
 أبا خَالِدٍ فَارَقْتُ مَرْوَانَ عَنْ رِضَى وَكَانَ يَزِينُ الْأَرْضَ أَنْ تَنْزِلَا مَعَا
 فَسَيُرُوا فَلَا مَرْوَانَ لِلْحَيِّ إِنْ شَتَا وَلَا الرُّكْبَ إِنْ أَمْسَوْا مُخْفَيْنَ جُوعًا^(٥٧)
 قال الحسن ما روى :

وبلغنى أن عبد الملك أمر غاسله إذا فرغ من جهازه أن يُؤذنه ، ففعل ، فكشف
 عن وجهه ، ثم قال :
 الحمد لله الذى يقتل أولادنا ويُجِبُّهُ .

* * *

(٥٦) لحن : تنن ، ويقال فى السب : يا ابن اللخناء . المعجم الوسيط : ٢ - ٨٢٧ واللخن : تنن
 المغابن : وهى مطاوى الجسد
 (٥٧) البيتان لايوجدان فى ديوان جرير .

قال أبو الحسن :

لما حضرت أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة - وكان ولّي عهد أبيه - دخل عليه وهو يجود بنفسه ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حيوة^(٥٨) قال : فجعل ينظر في وجهه وهو يفوق^(٥٩) بنفسه فَحَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ فَرَدَّهَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَقَالَ :

إنه - والله - ما يملك العبد أن يسبق الوجد إلى قلبه عند المصيبة والناس عند ذلك أخفاف^(٦٠) ، فمنهم من يغلب صبره جزعه ، فذلك الجلد الحازم المحتسب ، ومنهم من يغلب جزعه صبره فذلك المغلوب الضعيف العقدة ، وليس منكم حشمة ، وإنّي أجد في قلبي لوعة إن لم أبردها بعبيرة خفت أن تنصدع كبدي كمدا وأسفا .
فقال له عمر بن عبد العزيز :

يا أمير المؤمنين ! الصبر أولى بك فلا تُخبطن أجرك .

قال سعيد بن عقبة :

فنظر إلّي وإلى رجاء بن حيوة نظر مُستغيث يرجو أن نساعده على ما أراد من البكاء .
أما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه ، وأما رجاء فقال :

يا أمير المؤمنين ! افعلْ فإنّي لا أرى بأسا ما لم تأت الأمر المُفْرِط وقد بلغني أن رسول الله ﷺ لما هلك إبراهيم اشتد وجده عليه فدمعت عيناه فقال :

«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ ، وإنيّ أبك يا إبراهيم مخزونون .
قال : فأرسل عينيه فبكى حتى ظننا أن نياط قلبه^(٦١) قد انصدع

فقال عمر :

يارجاء ! هذا ما صنعت بأمر المؤمنين !

فقال :

دعه يا أبا حفص يَفْضُ من بكائه وطّرا ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى لَخِفَّتْ أن يأتى عليه ، ثم رَقَأَتْ عَبْرَتُهُ^(٦٢) ، فدعا بماء فغسل وجهه فأقبل علينا وقد قضى

(٥٨) رجاء بن حيوة الكندي من العلماء والوعاظ ، كان ملازما لعمر بن عبد العزيز في عهده الإمامة والخلافة توفي سنة ١١٢هـ .

(٥٩) يفوق : يموت من قولهم : فاق بنفسه عند الموت : مات ، المعجم الوسيط : ٢ - ٧١٣ .

(٦٠) أخفاف : مختلفون : المعجم الوسيط : ١ - ٢٦٥ .

(٦١) نياط القلب : العرق الذي في القلب متعلق به

(٦٢) رقا : سكن وجف : المعجم الوسيط : ١ - ٣٦٤ .

الفتى فأمر بجهازه ، وخرج يمشى أمام جنازته ، فلما دفن وحُثِيَ^(٦٣) التراب عليه وقف قليلاً ينظر إلى قبره ثم قال :

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ^(٦٤)
ثم قال :

[السريع]

السلام عليك يا أيوب
كُنْتُ لَنَا أَلَسًا فَأَوْحَشَتْنَا فَالْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرُّ الْمَذَاقِ

ثم قال :

أَذِنَ يَا غَلَامُ دَابَّتِي فَرَكَبْتُ ثُمَّ عَطَفْتُ بِرَأْسِ دَابَّتِهِ إِلَى الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ : [البسيط]
فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَلْفِظْكَ مِنْ شَيْعٍ وَإِنْ جَزَعْتُ فَعَلَقْتُ مُنْفِسَ ذَهَبَا

فقال عمر :

يا أمير المؤمنين! بل الصبر فإنه أقرب إلى الله وسيلة ، وليس الجزع يحیی مَنْ مَاتَ ، وبالله العصمة والتوفيق^(٦٥) .

* * *

وقال الحسن بن عمار^(٦٦) عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة قالت :

لما مات عبد الله بن أبي بكر وجد عليه أبو بكر وجدًا شديدًا ، ثم دخل على فقال : يا عائشة ! والله لكأنما أخذ بأذن شاقٍ من دارنا فأخرجت ، فقلت : الحمد لله الذي عَزَمَ لك على رُشدك ، وربط على قلبك قالت :

ثم جاء بعد ذلك فقال :

أَيُّ بُنْيَةٍ ! أَتَخَافِينَ أَنْ تَكُونُوا دَفَنْتُمْ عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ حَيٌّ ؟

فقلت :

أَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ يَا أَبُهِ .

فقال :

(٦٣) حثا عليه التراب : هاله عليه . (٦٤) الكامل : ١٢١٨ . (٦٥) الخير مُجْمَلًا في الكامل .

١٢١٨ .

(٦٦) الحسن بن عمار فقيه محدث ، ولاء المنصور قضاء بغداد ثقة فاضل توفي سنة ١٥٣ هـ .

تقريب التهذيب : ١ - ١٦٩ .

استعِذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، أئى بنية ، إنه ليس أحد إلا وله من الشيطان لَمَّةٌ (٦٧) .

فرثته عاتكة امرأته ، وهى ابنة زيد بن عمرو بن نفيل (٦٨) فقالت : [الطويل]
قَالَيْتُ لَا تُنْفَكُ عَنِّي سَخِينَةٌ عَلَيْكَ وَجِلْدِي آخِرُ الدُّهْرِ أَغْبَرَا

* * *

وهذا يتصل بحديث ليس من هذا الباب

ولما مات عبد الرحمن بن أبى بكر ولم تحضره عائشة ، فأنت قبره فقالت :

يا أخى لو كنتُ شهدتُ وفاتك لم أزر قبرك ثم تمثلت :
وَكُنَّا كَنُذَمَائِي جُدَيْمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدُّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنَنْتَصِدَعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةٌ مَعَا (٦٩)

* * *

وحدثنا ابن عائشة وغيره وحديثه أتم أن عائشة حضرت أبا بكر وهو يقضى فقالت :

[الطويل]

أَمَاوِيُّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّدْرُ (٧٠)
فقال :

أى بنية لا تقولى هكذا وقولى :

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ (٧١) وهكذا كان يقرؤها أبو بكر رضى الله عنه

* * *

قال الهلالي :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان عثمان رحمه الله (٧٢) إذا قيل له :

مات فلان

قال : لا إله إلا الله .

(٦٧) اللمة : وسواس الشيطان يلهم بالإنسان .

(٦٨) قرشية عدوية من المهاجرات إلى المدينة صحابية شاعرة توفيت

(٦٩) البيتان لثمام بن نويرة وقد مر . (٧٠) البيت لحاتم الطائي

(٧١) سورة ق : ١٩ وقراءة أبى بكر : (وجاءت سكرة الحق بالموت)

(٧٢) وكان عثمان ... زيادة من ل .

قال الهلالى :

قيل لمعاوية : مات زياد !

فقال :

وَأَرْجُلَاهُ ! ثم قال :

[الطويل]

أَفَرِثْتُ سَهْمًا فِي الْكِتَابَةِ وَاحِدًا سَيَّرَمَى بِهِ أَوْ يَكْسِرُ السَّهْمَ كَاسِرُ

وقال :

لما هلك ابنُ معاذَ جَبَلٍ كتب إليه رسول الله ﷺ :

من محمد رسول الله إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ .

«سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد

فإن أنفسنا وأهلينا وأموالنا من ودائع الله جل ذكره وعواريه المستردة يُمتع بها من شاء إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم ، فأمرنا بالشكر إذا أعطانا ، وبالصبر إذا ابتلانا ، وكان ابنك من مواهب الله الهنية ، ومن عواريه المستودعة يمتع بها من شاء إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم . وقد متعتك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كبير ، فالصلاة والرحمة والهدى - يامعاذ - إن صبرك واحسبت . فلا يُذهَبَنَّ جزعُك أجرك فتندم على ما فاتك . فإنك لو قدمت على ثواب مصيبتك قد أرضيت ربك ، وتَنَجَّزَتْ مَوْعِدُهُ علمت أن المصيبة قد قَصُرَتْ عنك . واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حُزْنا . فأخسِنِ العزاء ، وتَنَجَّزِ الموعد ، وليذهب أسفُك ما هو نازل بك فكان قَدْ .

ولما مات منعم جردين جاء شيب بن شية حتى أخذ بالباب الذى فيه ولده وأهله وبنوعمه فقال :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم قال :

[الكامل]

بَكُوا حَذِيقَةً لَنْ تَرْتُوا مِثْلَهُ حَتَّى يَسِدَّ قَبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ

وقال الأصمعي :

مر رجل على بعض مقابر الأعراب فإذا هو بشيخ قاعد على شفير قبر ، وبين يديه فتية كأنهم الرماح يدفنون رجلا ، والشيخ يقول :
اخشوا عَلَى الدَّيْسِمِ (٧٣) مِنْ بَرْدِ الثَّرَى قَدَمَا أَبَى رَبُّكَ إِلَّا مَا ثَرَى (٧٤)
قال :

فسألت الشيخ :

من الميت ؟

فقال :

ابنى .

فقلت :

فمن هؤلاء ؟

قال :

بنوه

* * *

وقال أبو جعفر الدمشقي :

حدثنا أبو بكر السلمي عن الْمُعَاذِ بْنِ عِمْرَانَ (٧٥) عن شهاب بن خراش عن عبد الرحمن بن عثمان قال :

دخلنا على مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه ، فما ملكنا أنفسنا أَنْ ذَرَقْتُ عِيُونَنَا ، وانتحب بعضنا ، فزجره مُعَاذٌ وَقَالَ : مَهْ! فَوَاللَّهِ لَعَلَّمُ اللَّهَ بِرِضَايَ هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ غَزْوَةٍ غَزَوْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ وَكَانَ عَلَيْهِ عَزِيرًا أَوْ بِهِ ضُنِينَا ، فَصَبَرَ عَلَى مَصِيبَتِهِ وَاحْتَسَبَهُ أَبَدَلَ اللَّهُ الْمَيِّتَ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَقَرَّارًا خَيْرًا مِنْ قَرَّارِهِ ، وَأَبَدَلَ الْمَصَابِ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّضْوَانَ .

فما برحنا حتى قضى الغلام حين أخذ المنادى في النداء لصلاة الظهر ، فرحنا نريد

(٧٣) الديسم : اسم الميت . (٧٤) الخير في التعازي : ٢٣

(٧٥) الْمُعَاذِ بْنِ عِمْرَانَ الْأَزْدِيُّ الْفَهْمِيُّ أَبُو مَسْعُودِ الْمُوصِلِيِّ ثِقَّةٌ عَابِدٌ فَقِيهٌ مِنْ كِبَارِ حُفَاظِ الْحَدِيثِ

مات سنة ١٨٥هـ وقيل : ١٨٦هـ . تقريب التهذيب : ٢٥٨ رقم ١٢١٥ .

الصلاة فما جئنا إلا وقد غسله وحنطه وكفنه ودخل [رجل] بسريره غير منتظر لشهادة الإخوان ولا لجمع الجيران .

قال :

فلما بلغنا ذلك تلاحقناه فقلنا : يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن ، هَلَا انتظرتنا حتى تفرغ من صلاتنا ، ونشهد ابن أخينا .

فقال :

أَمَرْنَا أَلَا نَنْتَظِرَ بِمَوْتَانَا^(٧٦) ساعة ، ماتوا من ليل أو نهار . والإِذْنُ فيهم من نَعَى الجاهلية .

قال :

فتزل في القبر ونزل معه آخرُ

فقلت :

الثالث يا أبا عبد الرحمن

فقال :

إنما يقول الثالث الذين لا يعلمون^(٧٧) .

فلما سَوَّى عليه التراب أراد الخروج فناولته يدي لأنشطه^(٧٨) من القبر فأنى وقال : ما أدع ذلك لفضل قوة ، ولكنى أكره أن يرى الجاهل أن ذلك منى جزع أو استرخاء عند المصيبة .

ثم أتى مجلسه فدعا بدهن فادهن وبكحل فاكحل ، وببردة فلبسها ، وأكثر في يومه ذلك من التيسم ، ينوى به ما ينوى ، ثم قال :

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . في الله خلف من كل هالك . وعزاء عن كل مصيبة ، ودرك من كل ما فات .

فقال :

سمعت أبا القاسم عليه السلام وهو يقول :

«مَنْ أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَدَعَا عَلَيْهَا وَيَلَا غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَمَنْ لَطَمَ عَلَيْهَا وَجْهَهَا احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ حَرَّقَ عَلَيْهَا ثَوْبًا حَرَّقَ دِينَهُ وَمَزَقَهُ وَتَدَدَهُ»^(٧٩) .

(٧٦) في م : موتانا .

(٧٧) هامش م كتب : إنما يقول الثالث في أنزال الميت في قبره من لا يعلم

(٧٨) نشطة وأنشطة : جذبه .

(٧٩) الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث : ٢٦/٢ الرسالة .

قال :

فلما كان طاعون عمواس طُعنَ معاذ في يده ، فدخلنا عليه فرأيناهُ مغمى عليه ،
باسطا يده كأنه يصافح قوماً ويرحّب بهم . فلما أفاق قلنا له :
يا أبا عبد الرحمن ! رأيناك وأنت مغمى عليك باسطا يدك كأنك تصافح قوماً^(٨٠)
وترحب بهم .

فقال :

أجل شكر لي ربي بصبري^(٨١) على ابني فأرسل لي ملائكة من الكرويين^(٨٢)
يشيعوني إلى قبرى .



(٨٠) ل : يا أبا عبد الرحمن دخلنا عليك وكأنك تصافح قوما .

(٨١) ل : شكرني ربي بصبري .

(٨٢) الكرويين لعلها مأخوذة من الكرب ، ولعلهم ملائكة جعلهم الله يمينون الكرب عن المؤمنين . والله أعلم .

باب

[مراثي أشعار المحدثين]

قال أبو العباس :

وقصدنا في وقتنا هذا لذكر مراثي أشعار المحدثين^(١) لننزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولدين لمشاكله الدهر وملاحة القول لثمضتي من ذلك شيئا ، ثم نعود إلى أمرنا الأول إن شاء الله تعالى من أشعار قديمة ومواعظ حكيمة . وبالله الحول والقوة :

قال مسلم بن الوليد^(٢) يرثي الفضل بن سهل ذا الرئاستين^(٣) : [الطويل]
وَهَلْتُ فَلَمْ أَمْنَعْ عَلَيْكَ بِعَبْرَةً^(٤) وَأَكْبَرْتُ أَنْ أَلْقَى يَوْمَكَ نَاعِيَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّه لَأَعَجُ الْأَسَى وَأَنْ لَيْسَ إِلَّا الدَّمْعُ لِلْحُزْنِ شَافِيَا
بَعَثْتُ لَكَ الْأَنْوَاخَ فَارْتَجَّ يَتْنَهَا نَوَادِبُ يَنْدُبْنَ الْعُلَى وَالْمَسَاعِيَا
الْبَاسُ أَمْ لِلْجُودِ أَمْ لِلْمَقَاوِمِ مِنْ الْمُلْكِ يَرْحَمَنَّ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
فَلَمْ أَرَ إِلَّا قَبْلَ يَوْمِكَ ضَاحِكًا وَلَمْ أَرَ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِكَ بَاكِيًا^(٥)

* * *

وقال ابراهيم بن المهدي^(٦) يرثي ابنا له أصيب به بالبصرة وهو واليه . وكان فيما يؤثر عنه يَسْتَحِقُّ (أَنْ يَرْتَى وَأَنْ يوصف ، وشعره هذا يستحق)^(٧) أَنْ يَبْكِي الْقُلُوبَ ،

(١) ل : مراثي من أشعار المحدثين .

(٢) مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني شاعر من أهل الكوفة نزل بغداد ومدح هارون الرشيد والبرامكة . اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان إلى أن توفي سنة ٢٠٨ هـ له ديوان شعر .

معجم المؤلفين : ١٢ - ٢٣٤

(٣) أبو العباس ذو الرئاستين (الوزارة والسيف) وزير للمأمون وكان حازما فصيحا ، قتل في الحمام بسرخص مفاجأة فحزن عليه المأمون كثيرا سنة ٢٠٣ هـ (أنظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١)

(٤) في الديوان : دَهَلْتُ فَلَمْ أَمْنَعْ غَلِيلا بِعَبْرَةٍ .

(٥) شرح ديوان صريع الغواني : ٢٠٦ .

(٦) إبراهيم بن المهدي بن المنصور ، أخو هارون الرشيد ، عالم ، أديب ، شاعر ، له ترسل وشعر ، له مؤلفات منها : أدب إبراهيم ، والغناء ، والطب توفي عام ٢٢٤ هـ عن عمر بلغ ٨٢ سنة . معجم

المؤلفين : ١ - ١٦٦ .

(٧) ما بين القوسين من ل .

ويستنزل الدموع بحسن لفظه ، وصحة معناه وشرف قائله ، وأنه إذا سُمع علم أنه عن نية صادقة . فقال :

[الطويل]

فَلْلَغَيْنِ سَخَ دَائِمَ وَغُرُوبُ
فَقَلْبِكَ^(٨) مَسْلُوبُ وَأَنْتَ كَهَيْبُ
وَأَحْمَدُ فِي الْغِيَابِ لَيْسَ يَوْوبُ
سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تُثَوِّبُ
عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ
كَبَاقِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ حِينَ تُغِيبُ
بِقَلْبِي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ قَشِيبُ
بِأَصْدَافِهِ لَمَّا تَشْنُهُ تُقُوبُ
سَقَاةُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ
سَاءَ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ غَصِيبُ^(٩)
وَمُؤْنَسَ قَصْرِي كَانَ حِينَ أُغِيبُ^(١٠)
بِهَا مِنْهُ حَتَّى أَغْلَقْتُهُ شُعُوبُ
إِلَى أَنْ أَطَاحْتُهُ قَطَاحَ جُوبُ
مَسَاءَ وَقَدْ وَلَّتْ وَحَانَ غُرُوبُ^(١١)
نَفَى لَذَّةَ الْأَخْلَامِ عَنْهُ هُوبُ^(١٢)
وَلَوْ كَانَ مَا مِنْهُ الْوَلِيدُ يَشِيبُ
وَلَوْ نِلْتُ مَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هُوبُ
فَاضْحَى وَمَا لِلْعَيْنِ مِنْهُ نَصِيبُ
فَإِنْ قَالَ قَوْلًا قَالَ وَهُوَ مُصِيبُ^(١٣)
وَيَفْحَمُ مِنْهُ الْكَهْلُ وَهُوَ أَرِيبُ^(١٤)

نَأَى آخِرَ الْأَيَّامِ عَنْكَ حَبِيبُ
دَعْنَهُ نَوَى لَا يَرْجِي أَوْبَةً لَهَا
يَوْوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبِ
تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةٍ
أَقَامَ بِهَا مُسْتَوْتًا غَيْرَ أَنَّهُ
تَوَلَّى وَابْقَى بَيْنَنَا طَيْبَ ذِكْرِهِ
خَلَا أَنْ ذَا يَفْنَى وَيَلَيَّ وَذِكْرُهُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالَّذِ يَلْمَعُ نُورُهُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالْفُصْنِ فِي مِيعَةِ الضُّحَى
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ زَيْنَ الْفَنَاءِ وَمَعْقِلَ النَّسْ
وَزِينَانَ قَلْبِي كَانَ حِينَ أَشْمُهُ
قَلِيلًا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ أَزُ^(١٥) نَاطِرِي
كَظُلِّ سَحَابٍ لَمْ يَقُمْ غَيْرَ سَاعَةٍ
أَوْ الشَّمْسِ لَمَّا عَنْ غَمَامٍ تَحَسَّرَتْ
كَأَنِّي بِهِ إِذْ كُنْتُ فِي التَّوَمِ خَالِمُ
فَلَسْتُ لِحُطُوبِ الدَّهْرِ أَخْفِلُ بَعْدَهُ
وَلَأَلِي شَيْءٌ عَنْهُ مَا عِشْتُ لَذَّةً
وَكَانَ نَصِيبُ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ
وَكَانَ وَقَدْ آزَى الرُّجَالَ بِعَقْلِهِ
بِمَا تَهَادَاهُ الرُّكَّابُ لِحُسْنِهِ

(٨) م : فَلْبِكَ . (٩) هذا البيت ليس موجودا في ل .

(١٠) الكامل وريحان صدرى . والبيت في ل قدم فيه : حين على كان في الشطرين .

(١١) ل : لم يَرَوْ .

(١٢) م : من سحاب . (١٣) هوب : تَبَقَّظَ من هاشم م

(١٤) آزى الرجال : حازاهم وداناهم .

(١٥) ليس (بما تهاداه) في ل .

وَكَاثَ يَدَى مَلَأَى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحَتْ
وَكُنْتُ بِهِ فِي الْقَائِمَاتِ إِذَا عَرُثَ
بِحَالِ الْإِدَى يَنْجَاحُهُ السَّيْلُ بَخَّةُ
جَمَعْتُ أَطِبَاءَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يُصِيبْ
وَلَمْ يَمْلِكِ الْأَسُونُ دَفْعًا، لِمُهْجَةٍ
سَائِبِكِ مَا أَبَقْتُ دُمُوعِي وَالْبَكَا
وَمَا لَآخَ نَجْمٍ أَوْ ثَغْتِ حَمَامَةٍ
وَأَضْمِرُ إِنِ الْفُلْدُ دِمَعِي لَوَعَةٍ
حَيَاتِي مَا كَاثَ حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَتَالِكَ ذُرَّةُ
وَمَا زَالَ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ عَشِيَّةُ
وَمَا زَالَ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ عَشِيَّةُ
فَمَا لِي إِلَّا الْمَوْتُ بَعْدَكَ رَاخَةً
فَصَنَعْتُ جَنَاحِي بَعْدَمَا هَذَا مَنَكِبِي
فَأَصْبَحْتُ فِي الْهَلَاكِ إِلَّا خُشَاةُ
تَوَلَّيْتُمَا فِي حَبَّةٍ فَرَكْنَمَا
وَلَا رُؤَى إِلَّا دُونَ رُؤْيِكَ رُؤُوءُ
وَلَيْسِي وَإِنْ قُلِمْتُ قَلْبِي لَعَالِمٍ
وَأَنْ صَبَاحًا نَلْقَى فِي مَسَائِرِ

بَعْدَلِ إِلَهِي وَهَى مِنْهُ سَلِيبُ
وَوَهَرَى مُنْقَدُ الْقَتَاةِ صَلِيبُ
فَيَفْعَلُ الْأَذْنَيْنِ وَهُوَ حَرِيبُ^(١٦)
دَوَاكَ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ طَبِيبُ
عَلَيْهَا بِأَشْرَاكِ الْمُنُونِ رَقِيبُ^(١٧)
بَغِيضِي مَاءٍ بِمَا بَتَّى يُجِيبُ
أَوْ الْحَضَرُ فِي قَرَعِ الْأَرَاكِ قُصِيبُ
عَلَيْكَ لَهَا تَحْتَ الْعُتُلُوعِ وَجِيبُ
تَوَيْتُ وَفِي قَلْبِي عَلَيْكَ لُذُوبُ^(١٨)
بِمَسْكَ مِنْهَا فِي الْمَمَرِ دَبِيبُ^(١٩)
حَوَاكِ بِهَا بَعْدَ التَّجِيمِ قَلِيبُ
وَسَادُكَ فِيهَا جَنْدَلُ وَجَبُوبُ^(٢٠)
وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَمْرِ بَعْدَكَ طِيبُ^(٢١)
الْحَوْلُ وَرَأْسِي قَدْ عَلَاةُ مَشِيبُ
لَذَابُ بَنَارِ الشَّقَى فَهِيَ لُذُوبُ
صَدَى يَتَوَلَّى نَارَهُ وَتَلُوبُ
وَلَوْ كُنْتُ حُزْنَا عَلَيْكَ قُلُوبُ^(٢٢)
بَاكِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ قَرِيبُ
صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةُ حَبِيبُ^(٢٣)

* * *

(١٦) وهو حريب : أى مسلوب .

(١٧) ل : لاشارك .

(١٨) اللُذُوب : الجراحات . (١٩) (تتالك) : تقرأ بالوجهين : التاء أو كالياء . (بنالك)

(٢٠) الجيوب : التراب . (٢١) هَذَا : من ل وفي م : مَذَّ

(٢٢) رزئك : ناقصة في ل .

(٢٣) القصيدة في الكامل : ١١٩٢ .

وقال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية^(٢٤) يرى أخاً له يقال له علي بن ثابت ، وكان
علي ناسكاً فاضلاً أديباً شاعراً :
[الوافر]
أَلَا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ أُنِي أُحِبُّ وَمَنْ لِي أَنْ أَبْنِكَ مَالِدِيَا
طَوْتُكَ مُحْطُوبٌ دَهْرَكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَلِكَ مُحْطُوبُهُ نَشْرًا وَطِيَا
وَلَوْ نَشَرْتُ قَوْلَكَ لِي الْمَنَايَا شَكَوْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلَيَا
بَكَيْتُكَ أُنِي أُحْيِي بِدَرْ غَيْبِي فَلَمْ يُعْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئَا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَاتًا^(٢٥)

قال :

أخذ هذا المعنى مما يؤثر عن بعض ملوك العجم أنه احتضر فحضره من يحضر الملوك
من الحكماء حتى قضى .

فقال ذلك الحكيم :

كان الملك أُمسِر أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أُمسِر^(٢٦) .

وقال أبو العتاهية أيضا :
[الخفيف]
يَا عَلِيُّ بْنَ ثَابِتٍ أَتَيْنَا أَنْتَ يَنْ الْقُبُورِ حَيْثُ دُقْنَا
يَا عَلِيُّ بْنَ ثَابِتٍ بَانَ مِنِّي صَاحِبٌ جَلَّ فَقْدُهُ يَوْمَ بَقَا
قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَكْتَنِي لَهَا وَسَكَنَا^(٢٧)

أخذ هذا من قول بعض حكماء العجم ، وحضر ميتا منهم ارتفع البكاء عليه حين
قضى ، فقال الحكيم :
(حركنا بسكونه)^(٢٨) .

(٢٤) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم ولد سنة ١٣٠ هـ وسكن الكوفة ثم بغداد وبها توفي سنة ٢١١
قال في الغزل والمدح والهجاء ثم تنسك وأكثر شعره في الوعظ والحكم والأمثال . معجم المؤلفين

ج ٢ ص ٥

(٢٥) الديوان : ٤٩١ - ٤٩٢ . والشرط الأول في البيت الرابع في الديوان هو (بكيتك يا علي

بدمع عيني)

(٢٦) في هامش م : (رأيت هذا مأثورا عن بعض من حضر الإسكندر ميتا مسجى على سرير
من حكمائه حين شرع كل حكيم يقول بقدر موهبته .

(٢٧) الديوان : ١٠٥ .

(٢٨) أخذ هذا المعنى من قول بعض الحكماء وحضر ميتا فارتفع البكاء عليه ...

وقال فيه أيضا :
 صَاحِبٌ كَانَ لِي هَلْكَ وَالسَّيْلُ الَّذِي سَلَكَ^(٢٩)
 يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ
 كُلُّ حَيٍّ مُمْلِكٌ سَوْفَ يَفْنَى وَمَا مَلَكٌ^(٣٠)

* * *

قال أبو العباس :
 وانشدني أبو محمد التُّوزِّي لرجل من قيس^(٣١) يرثي ابنا له :
 أَجَارَتْنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْبِي [الطويل]
 بُنِيَ عَلَى غِنَى وَقَلْبِي مَكَالُهُ ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَبَطْنِ جُبُوبِ
 عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمُنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مَلَيْتُهُ بِعَجِيبِ
 وَمَا هَذَا زُكِّيَ أَنْ سَلَيْتُ جَمَالَهُ عَلَى أَلْتِي أَرْتِي لِكُلِّ سَلِيبِ
 صَبَرْتُ عَلَى خَيْرِ الْفُتُو رُزُئْتُ وَلَوْلَا ائْتَاءُ اللَّهِ طَالَ نَحْيِي
 وَمَا جَزَعِي مِنْ نَازِلٍ عَمَّ فَجَعُهُ وَمِنْ وَرْدِ آبَارِي وَلَقَصِدِ شَعْيِي
 لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ مُحَمَّدٍ^(٣٢) لَوْ أَنَّ الْمَتَايَا تَرْغَوِي لِطَبِيبِ
 وَكَانَ كَرْنَحَانَ الْعُرُوسِ بَقَاؤُهُ ذَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ الْفُضُونِ وَطِيبِ
 فَيَاخَرْنَا نُلْعَشُ قُرْبَ مُحَمَّدٍ وَأَيُّ فَتَى لُفِعَتْ يَوْمَ زُكُوبِي
 أَغْرُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ مُشِيعٌ كَسِيفِ الْمُحَامِي هَزْ غَيْرَ كَذُوبِ
 دَعَا الْمَتَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا فَاللَّهُ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبِ
 فَأَصْبَحْتُ أَبْدَى لِلْعَدُوِّ جَلَادَةً وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ هُنَاكَ كَبِيبِ
 يُذَكِّرُنِي نَوْحَ الْحَمَامِ فِرَاقَةً وَإِزْنَانَ أَبْكَارِ النِّسَاءِ وَنَسِيبِ
 وَلِي كُلِّ يَوْمٍ غَبْرَةٌ لَا أَفِيضُهَا لِأَحْطَى بِصَبْرِ أَوْ بِحَطِّ ذُنُوبِ
 أَظَلُّ لِأَخْدَاطِ الْمُتُونِ مُفْرَعًا كَانَ فُرَادِي فِي جَنَاحِ طُلُوبِ

(٢٩) ورد : (مونس كان) وأيضا : (والسبيل التي) . (٣٠) الديوان : ٣٢٢ .

(٣١) هو بشار بن برد العميلي بالولاء للضريير أبو مُعَاذ شاعر مشهور ، ولد أعمى ، أكثر الشعر ، وأجاد القول من البصرة ، قدم بغداد وخدم الملوك ، وحضر مجالس الخلفاء ، واهتم بالزندقة فقتل عليها سنة ١٦٧ هـ وقد جاوز التسعين . ترك ديوان شعر كبير معجم المؤلفين : ٣ - ٤٤ .

والقصيدة في ديوان بشار : ١ - ٢٧٨ ، ٢٧٩ . الشعيب : مزادة الماء .

(٣٢) اسم ابن الشاعر .

إِذَا شِئْتُ رَاعَتْنِي مُقِيمًا وَطَاعَتًا مَصَارِعُ شُبَّانٍ لَدَيَّ وَشِيبِ
غَدًا سَلَفَ مِنَّا وَهَجَرَ رَائِحَ عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ قَوْدَ جَنِيْبِ^(٣٣)
وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَالْخَلِيطِ الَّذِي مَضَى فَرَائِسَ ذَهَبٍ مُخْطِئٍ وَمُصِيبِ
نُؤْمَلُ عَيْشًا فِي حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ أَضْرْتُ بِأَبْدَانِ لَنَا وَقُلُوبِ^(٣٤)
وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لَا يَزَالُ مُفْرَعًا بِفَوْتِ نَعِيمٍ أَوْ بِمَوْتِ حَبِيبِ

* * *

قال أبو العباس :

حدثني المغيرة بن محمد المهلبى عن الزبير بن بكار الزبيرى عن سليمان بن العباس
السعدى قال :

جاء عبد الله بن عمر العبلى^(٣٥) إلى (سويقة) وهو طريد بنى العباس ، وكان ذلك
بزمان خروج مُلْكِ بنى أمية وانتقاله إلى بنى العباس ، قاصداً لعبد الله وحسن ابنتى
حسن ، فاستنشداه عبد الله شعره ، فأنشداه فقالوا :
نريد من شعرك ما رثيت به قومك ، وما كان من أمركم وأمر القوم فأنشداهم قوله :

[المقارب]

تَقُولُ أَمَامَةَ لَمَّا رَأَتْ نُشَوِزِي عَنِ الْمَنْزِلِ الْمُنْفِسِ
وَقَلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي لَدَى هَجْعَةِ الْأَغْنِ الثُّعَسِ
أَبَى مَا عَرَكَ؟ فَقُلْتُ : الْهُمُ مِ عَرَيْنَ أَبَاكَ فَلَا ثُبَلِي
عَرَيْنَ أَبَاكَ فَحَبَسْنَاهُ مِنَ الطَّرْدِ فِي شَرِّ مَا مَخْبِسِ
لِفَقْدِ الْعَشِيرَةِ إِذْ نَالَهَا سِهَامٌ مِنَ الْحَدَثِ الْمُوَسِّ
رَمَتْهَا الْمُنُونُ بِلَا نُصْلٍ وَلَا طَائِشَاتٍ وَلَا لُكْسِ
بِأَسْهُمِهَا الْخَالِسَاتِ الثُّقُوسَ مَتَى مَا تُصِيبُ مُهْجَةً تُخْلِسِ

(٣٣) معنى قود جنيب : يقادون متقاربين كما يقاد الفرس الذى يسير بجانب فرس آخر ويكون
متأخرا قليلا .

(٣٤) حصل فى نسخة (ل) تقديم صفحة على صفحة وما عليه نسخة (م) هو الصواب الذى سرنا
عليه .

(٣٥) عبد الله هذا شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية كان يميل إلى العلويين ، ثم
قصد السفاح فأكرمه وأخرج من كان مسجوناً من أهله ، ثم رحل إلى العلويين وباع محمد بن
عبد الله الذى خرج على المنصور وجاءه أن رجال المنصور قتلوا محمد بن عبد الله ففر إلى اليمن
سنة ١٤٥ هـ . السويقة : موضع قرب المدينة .

فَصَرَاعُهُمْ فِي تَوَاجِي الْبِلَا
ثَقِيَّ أُصِيبَ وَأَثْوَابُهُ
وَأَحْرُ قَدْ رُسٌ فِي حُفْرَةٍ
فَكَمْ مِنْ كَوَابٍ بَوَاكِي الْعُورِ
إِذَا مَا ذَكَّرْنَهُمْ لَمْ تَنْمِ
يُرْجَفْنَ مِثْلَ بُكَاءِ الْحَمَا
فَذَاكَ الَّذِي غَالِي فَاضْمَتِي
وَفِي ذَاكَ أَشْيَاءٌ قَدْ ضَفِنْتِي
أَفَاضَ الْمَدَامِغَ قَتَلِي كَدِّي
وَبِالزَّائِبِينَ نَفُوسٌ ثَوْتُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَذَاعَتْ بِهِمْ
فَذَلَّتْ قَتَاتِي لِمَنْ رَامَهَا

دِ مُلْقَى بِأَرْضٍ وَلَمْ يُزْسِرِ
مِنْ الْعَارِ وَالْعَيْبِ لَمْ تُلْدَسِ
وَأَحْرُ طَارَ فَلَمْ يُخْسِرِ
نِ حُزْنَا وَمِنْ صِيَةِ بُؤْسِ
صِيَاخُ الْوُجُوهِ وَلَمْ تُجْلِسِ
مِ فِي مَائِمٍ قَلْبِي الْمَجْلِسِ
فَلَا كَسَائِلِي وَتَسْتَحْسِي^(٣٦)
وَلَسْتُ لَهُنَّ بِمُسْتَحْسِي^(٣٧)
وَقَتَلِي بِكُلُوبَةٍ لَمْ تُزْسِرِ
وَقَتَلِي بِنَهْرِ أَبِي فَطْرُسِ^(٣٨)
خَوَادِثُ مِنْ زَمَنِ مُتَعِسِ
وَأَنزَلْتَ الرُّغْمَ بِالْمَغْطَسِ

قال :

فلما أتى عليها استبكى محمد بن عبد الله بن حسن ، فنظر عبد الله إلى أخيه حسن

فقال :

مالك تنظر إلّئى ! أما والله ، لو كان ابنك على غير ما ترى لكان خيراً لنا ولك .
فأقبل محمد على عمه بإظهار الشفقة على بنى العباس ويقول :
إنهم ليسوا بكنى أمية لقرب بنى العباس من رسول الله ﷺ ، وقام الحسن إلى
منزله فبعث إلى العبلى بخمسين ديناراً ، وأمر له عبد الله ومحمد وإبراهيم ابناه ، كل واحد
بخمسين ديناراً وكانت هند بنت أوى عبيدة بن عبد الله بن زمعه مقتفية بالعبلى وهند
المذكورة هى امرأة عبد الله بن حسن ، ومحمد وإبراهيم ولداها . فقال العبلى : [الوافر]
أَقَامَ نَوَى بِنْتِ أَبِي عَيْدٍ بِغَيْرِ مَنَازِلِ الْجِرَانِ جَارَا
أَتَاهُمْ خَائِفَا وَجَلَا طَرِيدَا فَصَادَفَ خَيْرَ دُورِ النَّاسِ دَارَا
إِذَا دَمَ الْجَوَارُ تَزِيلُ قَوْمٍ شَكَرْتُهُمْ وَلَمْ أَذْبُنْ جَوَارَا

(٣٦) استنحس : يقال استنحس الأخبار يطلبها ويتبعها . المعجم الوسيط : ١١٤/٢

(٣٧) ضِفِنْتِي : يقال ضافه : نزل عنده . المعجم الوسيط : ١ - ٥٤٩ . وحلس : يقال حلس

فلان : ثبت إمام قرنه . المعجم : ١ - ١٩١ .

(٣٨) كَدَّى : موضع بمكة . وكثوة : موضع .

(٣٩) الزايبان وأبو فطرس : اسم لنهر قرب الرملة بأرض فلسطين . الرسالة :

فقلت هند لعبد الله وابنيها محمد وإبراهيم :
والله ما مدحك بأفضل مما مدحني به فلتعظمتني عنى مثل ما أعطاه أحدكم . فأعطوه
عنها خمسين ديناراً .

قال الزبير :

إنما يُنسب غيلاً من كان من ولد أميه الأصغر ، وليس عبد الله هذا من ولده ،
إنما أمية عمه .

يقال : فلان يقتفى بفلان إذا كان يؤثره . والقَفِيَّة : الطعام يُؤثر به الرجل واحداً
يقفِيهِ^(٤٠) . ويقال للرجل يُختار ، ويُقصد بالبر : القِيْتُ قَفِيَّتِي عليك .

* * *

قال أحد الأعراب الفصحاء :
لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي
فَتَى قَبْلَ لَمْ تُعْنَسِ السَّنُ وَجْهَهُ أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَبَجَاءَهَا
وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيَّه
وَقَالَ أَيْضاً يَرْتِيهِ :

[الطويل]

نَعْيُ حَيٍّ أَنْ سَيِّدَكُمْ هَوَى
إِذَا قَالَ قَوْلًا أَبْطَأَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
سَوَى شُهْبٍ فِي الرَّأْسِ كَالْفَجْرِ فِي الدَّجَى
يَقْفَعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
فَأَذَى وَأَسَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى^(٤١)

[الوافر]

وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى حَيٍّ
مَتَالِفَ يَنْ مَجْدٍ وَالسُّلَى
جَرِيرَةَ رُمْحِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ^(٤٢)
أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
لَعَمْرُكَ مَا حَشِيشٌ عَلَى حَيٍّ
وَلَكِنِّي حَشِيشٌ عَلَى حَيٍّ

* * *

(٤٠) ل : يقدمه بدل يقفيه . (٤١) الأبيات بدون نسبه في الكامل : ١٢٠١ . والأبيات في ديوان
الحماسة لأبي تمام منسوبة لسديد بن المرائد الجارلي وفي الحماسة شرح لبعض مفرداتها والحماسة
ج ١ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ مكتبة صبيح وفي الحماسة : نَعْيُ سَوِيدٍ يُقَالُ : انْبَطَأَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى إِذَا
أَخْرَجَهُ . وَفَتَى قَبْلَ : فِي مَقْتَبِلِ الْعَمْرِ . وَتُعْنَسِ وَجْهَهُ : تَغْيِرُ . وَاعْنَسَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ : خَالَطَهُ
وَالْحَرْبُ الْعَوَانُ : الَّتِي تَقْتُلُ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . وَالْقَعْقَعَةُ : الصَّوْتُ لِلسَّلَاحِ وَغَيْرِهِ . وَالْأَقْرَابُ جَمْعُ
قَرَبٍ وَهُوَ غَمْدُ السِّيفِ . وَآدَاءُ : أَعَانَةُ

(٤٢) مر تخريج هذه وهي بدون نسبة . في الكامل . ونسبها أبو تمام في ديوان الحماسة لكعب
ابن زهير يرفي رجلا اسمه أبي شرح النيريزي ج ١ - ٤٢٠ - ٤٢١ وفي الحماسة (بَيْنَ قَوْوٍ وَالسُّلَى)

[الطويل]

فَمَاتُوا وَاطْرَافُ الْقَنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا
وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
بِحَيْثَانٍ مِنَ السَّبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمًا^(٤٣)

[الوافر]

بِدَاوُدَ وَإِخْوَتِهِ الْجُدُوغُ
تُحُومُ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ وَقُوعُ
فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ زُكُوعُ
وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ^(٤٤)

[البيسط]

أَسْلَمْتُمُوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمْ امْتَنَعَا
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا صَرَّ أَوْ نَفَعَا
إِلَّا مِنْ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ صَنَعَا^(٤٥)

وقالت امرأة من كندة ترى لإخوتها :

أَبُوءَا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَنَافِي تُحَوِّرُهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةَ
هَوْتِ أُمَّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صَرَّعُوا

وقال رجل من الجوارج^(٤٦) يرى عددًا منهم :

أَلَا فِي اللَّهِ لَا فِي النَّاسِ سَأَلْتُ
مَضِيًّا قَلًّا وَتَشْرِيدًا وَصَلَبًا
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا

وقالت الكندية :

لَا تُخْبِرُوا النَّاسَ إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمْ
أَغْنَى قَتَى لَمْ تَهْبُ الرِّيحُ رَائِحَةَ
الْوَاهِبِ الْأَلْفِ لَا يَنْغِي لَهَا ثَمًا

* * *

[البيسط]

وَأَهْلُ وَدَى جَمِيعَ غَيْرِ أَشْتَاتِ
تَوَى بِكَيْتٍ عَلَى أَهْلِ الْمَوَدَاتِ
مَقْسُومَةً يَنْ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ

وقال أبو عبد الرحمن العنبي^(٤٧) :

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي عَلَى مَنْ فَاتَ مِنْ سَلَفِي
وَالآنَ إِذْ فَرَّقْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
وَمَا بَقَاءُ أَمْرِيءَ كَانَتْ مَدَامِعُهُ

وكان أبو عبد الرحمن وسيطا في قريش من ولد عتبة بن أبي سفيان وكان مَعْدِنًا

من معادن العلم بالأخبار - جاهليتها وإسلامها - وكان بالإسلام أخير .

وتوالى له بنون موثا ، وراثهم مرأى كثيرة نذكر بعضها مع ما في غيرهم من المراثى

إن شاء الله .

(٤٣) مضى نسبه الأبيات وتخريجها . (ترى لإخوتها) .

(٤٤) هو عيسى بن فاتك الحَبِطِيُّ ، أحد بني وداعة بن مالك . انظر الكامل : ٩٩٥ .

(٤٥) الكامل : ٩٩٨ .

(٤٦) الكندية هي أم صريح الكندية وورد في ديوان الحماسة : ٤٠٤ البيت الأول والثاني .

(٤٧) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة المعروف بالعنبي الشاعر البصري كان أدبيا فاضلا شاعرا مجيدا ، له علم ورواية بأخبار العرب توفي حدود سنة ٢٣٠ هـ وفيات الأعيان : ٤ - ٣٩٨ .

فمن ذلك قوله :

[الكامل]

أَضَعْتُ بِخَدَيَّ لِلدُّمُوعِ رُسُومَ
وَالصَّبْرِ يُحَمِّدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا
يَا وَاحِدًا مِنْ بَيْتَةِ أَسْكَنْتَهُمْ
لَوْلَا مَعَالِمُ رُوسِهِمْ لَمَا اهْتَدَى

وَقَالَ أَيْضًا :

[المسرح]

وَذُقْتُ تَكْلًا مَادَّا قَدْ أَحَدُ
ذَابَ عَلَيْهَا الْقَوَادُ وَالْكَبِدُ
قُ فَنِيرَانُ حَرِّهَا تَقِلُّ
أَحْشَاءُ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدُ
إِلَّا لِيَالٍ لَيْسَتْ لَهَا عِدَّةُ
جَنْمٍ وَأَذْنَى أَرْجَالِهَا الْكَمَدُ
فَرَّ وَخُرْنِي يُجِلُّهُ الْأَبَدُ

كُلَّ لِسَانِي عَنْ وَصْفِ مَا أَجِدُ
وَأَوْطَيْتُ حُرْقَةً حَشَائِ قَلْدُ
إِنْ أَرَمَعْتُ بِالْعَرَاءِ لَجَّ بِهَا الشُّو
مَا عَالَجَ الْحُزْنَ وَالْعَوَارَةَ فِي الْـ
فَجِئْتُ بِأَهْتِنَ لَيْسَ يَنْهَمَا
فَالْقَسُ نَطَوَى عَلَى آخَرٍ مِنْ الْـ
وَكُلَّ حُزْنٍ يَتَلَى عَلَى قَدَمِ اللَّهِ

ويروى عن الحسن البصري أنه قال :

قدم علينا بشر بن مروان وهو أشرف الناس ، وأجمل الناس ، وأشب الناس ابنُ خليفة وأخو خليفة فلبث خمسة وأربعين يومًا ثم طعن في ثِيْبِهِ فمات . فخرج به إلى قبره والناس معه .

وجاء سودان ثلاثة يحملون أسود ، فدفن هذا وهذا . وخرجت إلى الصحراء ، ثم رجعت ، وقد انصرف عنهما ، فلم أعرف قبر هذا من قبر هذا .

قال أبو العباس :

وحدثني هارون بن محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات^(٤٨) - وحدثني بهذا الحديث الذي أذكره غيره أيضًا

أن محمد بن عبد الملك كانت له جارية ، وكان بها ضنيًا ، وكان له منها ابنٌ يقال له عمر وهو باق الآن ، فماتت وابنها هذا صغير .

(٤٨) محمد بن عبد الملك بن الزيات شاعر مجيد وفاضل نبيل ، وزر لثلاثة خلفاء من بني العباس المعصم والواثق والمتوكل ، كان عالما بالنحو واللغة والأدب وقال الشعر في جميع الأغراض وبخاصة الرثاء ، قتله المتوكل سنة ٢٣٣هـ عن ستين سنة (انظر وفيات الأعيان : ٥ - ١٠١) ومعجم الأدباء : ٥ - ٢٥٤ .

وسمعتُ أبا أيوب سليمان بن وهب يتحدث بقطعة من خبر محمد بن عبد الملك في ضئته بآبته هذا . فرثاها بيبتين هما جاريان على أنس الناس مشهوران : [الطويل]
يَقُولُ لِي الْخِلَانُ لَوَزَزْتُ قَبْرَهَا فَقُلْتُ : وَهَلْ غَيَّرَ الْفَوَادِ لَهَا قَبْرُ ؟
عَلَى حِينٍ لَمْ أَحْدِثْ فَأَجْهَلَ عَهْدَهَا وَلَمْ أَبْلُغِ السَّنَ الَّتِي مَعَهَا الصَّبْرُ
ورثاها فقال شعراً يَقْرُبُ من القلب ، وَيُضْطَرُّ إِلَى تصديقه ، وَيُرْتاحُ لعهد قائلة ،
وَيُرْحَمُ لشكوى بثه وهو :

أَلَا مَنْ رَأَى الْعَقْلَ الْمَفَارِقَ أُمَّهُ
رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَابْنَهَا غَيْرَ أُمِّهِ
يُرْنُ بِصَوْتٍ فَضَّ قَلْبِي نَشِيجُهُ
وَيَاكُ وَحِيدًا فِي الْفِرَاشِ تَحْلُهُ
أَلَا إِنَّ سَجَلًا وَاحِدًا إِنْ هَرَقْتُهُ
فَلَا تُلْعِيَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا
وَأَنَّ مَكَانًا فِي الثَّرَى خُطَّ لَحْدُهُ
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَى
فَهَنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي
ضَعِيفُ الْقَوَى لَا يَطْلُبُ الْأَجْرَ حِسْبَةً
أَلَا مَنْ أُمِّيهِ الْمُنَى وَأَعْلَدُهُ
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جُنْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي
فَلَمْ أَرِ كَالْأَيَّامِ كَيْفَ تُصَيِّنِي
وَلَا مِثْلَ أَيَّامٍ فُجِعْتُ بِفَقْدِهَا
أَعْنَيْتِي إِلَّا تُسْعِدَا الْيَوْمَ غَبْرَتِي
أَعْنَيْتِي إِنْ أَلْعَ السُّرُورَ وَأَهْلَهُ
أَعْنَيْتِي إِنْ أَبْكُ الْبِشَاةَ وَالصَّبَا
أَلَا إِنْ يَتَا لَمْ أَرْزُهُ لَشُدَّ مَا
أَلَا إِنْ يَتَا لَمْ أَرْزُهُ لَعَزَمَا

بُعَيْدَ الْكَرَى عَيْتَاهُ تَسْكِبَانُ ؟
يَبِيْتَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ يَتَجَبَّانِ
وَسَخَّ دُمُوعِ ثَرَّةِ الْهَمَلَانِ
بَلَابِلَ قَلْبٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ
مِنَ الدَّمْعِ أَوْ سَجَلِينَ قَدْ شَفِيَانِي
أَدَارِي بِهَذَا الدَّمْعِ مَاتَرِيَانِ
لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
فَهَلْ أَتَمَّا إِنْ عُجْتُ مُنْتَظَرَانِ ؟
جَلِيدُ فَمَنْ بِالصَّبْرِ لِابْنِ ثَمَانِ ؟
وَلَا يَأْتِسِي بِالنَّاسِ فِي الْحَدَثَانِ
لِعُكْرَةِ أَيَّامٍ وَضَرْفِ زَمَانِ ؟
وَأَنْ غَبْتُ عَنْهُ حَاطِنِي وَكَفَّانِي ؟
وَلَا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ دَهَانِي
فَبِئْسَ إِذْنٌ مَا فِي غَدٍ تَعْدَانِي
وَعَهْدُ الصَّبَا عِنْدِي فَقَدْ نَعِيَانِي
فَقَدْ آذَنَّا مَنِي وَقَدْ بَكِيَانِي
تَلَبَّسَ مِنْ قَلْبِي بِهِ وَعَنَانِي
تَضَمَّنَ مِنْهُ فِي الثَّرَى الْكَفَّانِ (٤٩)

وقال رجل من الأنصار يذكر امرأة كانت به بره ، وكانت له حافظة إذا غاب ،
وسارة إذا حضر ، فأصيب بها :

[الطويل]

أَلَا مَا لِهَذَا النِّيبِ لَيْسَ بِذِي أَهْلٍ تَكَثَّرَتْ مَا قَدْ كُنْتَ تَأْلَفُ مِنْ قَبْلِي
أَيَا جَارَاتِنَا لَا تَبْعِدِي خَيْرَ جَارَةٍ لِبَغْلِي وَأَخَوَاهُ عَلَى وَلَدٍ طِفْلٍ
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْغَلِيلَ لَا يَقْطُتْ بَيْنَهَا وَمَا نَامَتْ وَلَا فَعَلْتُ فِعْلِي

وقال رجل من بني شيبان^(٥٠) يرثي مَن بن زائدة : [الطويل]
أَجِينُ قَوِي مَعْنُ قَوِي الْجُودِ وَالتَّدَى وَأَصْبَحَ عَزِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَتَتْ آخِرُ خُطْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ حُطَّتْ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعَا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارِثُ جُودِهِ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَخْرُ مَثْرَعَا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مِيتَ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَمُتْ حَتَّى تُصَدَّعَا
قَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا عَادَ غَيْثٌ بَعْدَ جَدْوَاهُ مَرْتَعَا^(٥١)

وقال عبد الصمد بن المعدل^(٥٢) يرثي سعيد بن سلم . وشهرة أفعال سعيد وبعده
صيته في عقله وأدبه ، وجاهه وقدره وكثرة معرفته وتَمَكُّنِهِ من الخلفاء ، تُغْنِي عن
ذكر شيء من أفعاله :

[البيسط]
مَالِ السَّمَاءِ عَلَيْهِ لَيْسَ تَنْقَطِرُ وَلِلْكَوَاكِبِ لَا تَهْوِي فَتَسِيرُ ؟
وَلِلْبِلَادِ أَلَا تَسْمُو زَلَّزَلَهَا وَالرَّاسِيَاتِ أَلَا تَرْدَى فَتَقْعِرُ ؟
إِنَّ التَّدَى وَأَبَا عَمْرٍو تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ يَبْغِدَادُ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
لَهُ حَزْمٌ وَجُودٌ ضَمُّهُ جَدُّهُ وَمَكْرُمَاتٌ طَوَّاهَا التُّرْبُ وَالْمَدْرُ
يَا طَالِبَا وَرَزَا مِنْ رَبِّ حَادِثَةٍ أَوْدَى سَعِيدَ فَلَا كَهْفَ وَلَا وَرْزُ
أَبْكِي عَلَيْكَ عَيُّونَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنِ وَمِنْ رَيْبَةٍ مَا تُبْكِي لَهُ مُضَرُ
كُلُّ الْقَبَائِلِ قَدْ رَدَّتْ أَرْدِيَةَ مِنْ فَضْلِ نِعْمَاكَ لَا يَجْزِي بِهَا شُكْرُ
مَا خَصَّ رُزُوكَ لَا قَيْسًا وَلَا مُضَرَا إِنَّ الرِّزْيَةَ مَغْمُومٌ بِهَا الْبَشَرُ
لَوْ كَانَ يَكْبِي كَابُ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ لَطُولُ الْإِفِّ بِكَتْكَ الْآئِي وَالسُّورُ

(٥٠) هو الحسين بن مطهر بن مكمل مولى لبني أسد بن خزيمه ثم لبني سعد بن ملك بن ثعلبة
شاعر إسلامي أدرك بني أمية وبني العباس فصيح متقدم في الرجز والقصيد يعد من فحول المحدثين
من شعراء عصره توفي في خلافة المهدي . ديوان الحماسة : ١ - ٣٨٧ ، ٣٨٨ . وانظر تاريخ
الأدب العربي لقروخ : ٢ - ٨٢ - ٨٤ .

(٥١) الشطر الثاني من ل . وفي م : كما عاد بعد السيل مجراه مربعا .

(٥٢) عبد الصمد بن المعدل بن غيلان بن الحكيم كان شاعرا فصيحاً من شعراء الدولة العباسية
واشتهر بالهجاء ولكن حبه لسعيد بن سلم جعله يرثيه بتلك القصيدة البديعة توفي عبد الصمد في
حلولود سنة ٢٤٠ هـ . معجم المؤلفين : ٥ - ٢٣٧ ، وتاريخ الأدب العربي لقروخ : ٢ - ٢٧٦ .

أَبُو الْأَرَامِلِ وَالْأَيَّامِ لَيْسَ لَهُ
لِلْهَارِبِينَ مَصَادٌ غَيْرُ مُطْلَعٍ
مِنْ كُلِّ أَفْقٍ إِلَيْهِ الْعَيْسُ مُغْمَلَةٌ
وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى أَبْوَابِهِ زُمْرٌ

المصاد : رأس الجبل يتحصن فيه الخائفون كما قال أوس بن حجر : [الطويل]

إِذَا أَبْرَزَ الْخَوْفُ الْكِمَابَ فَأَلِثَهُمْ
مَصَادٌ لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِمْ وَمُغْمَلٌ^(٥٣)

مُشِيعٌ لَا يَفُوتُ الذُّخْلَ صَوْلَتَهُ
وَأَكْرَمُ النَّاسِ عَفْوًا حِينَ يَقْتَدِرُ^(٥٤)

لَا يَزْدَمِيهِ لِغَيْرِ الْحَقِّ مَنَظِقُهُ
وَلَا تُنَاجِيهِ إِلَّا بِالتَّقَى الْفَكْرُ

بِالْتَّائِبَاتِ لِصَغْبِ الدَّهْرِ مُقْتَسِرٌ
بِالْثَّائِبَاتِ لَصَغْبِ الدَّهْرِ مُقْتَسِرٌ

وَأَطْهَرُ النَّاسِ غَيًّا حِينَ يُخْتَبَرُ
وَفِي ثَقَى اللَّهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ

إِلَّا حَبَاهُ بِمَا يَسْمُو لَهُ الظُّفَرُ
وَلَيْسَ يُغَطِّيكِ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَذِرٌ

أَنْ الْجَسِيمَ لَدَيْهِ مِنْهُ مُحْتَقَرٌ
وَلَيْسَ إِلَّا مِنَ الْمَعْرُوفِ يَذْخِرُ

لِعِزَّةِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ مَنَصِّرٌ
لِلنَّاسِ جُودَانِ مَخَوِيٍّ وَمُنْتَظَرٌ

مِنْ الْبَرِيَّةِ خَلْقًا هَابِكِ الْقَدَرُ
لَمْ يَخُلْ مِنْ نِعْمَةٍ أَسْدَيْتَهَا قَطْرُ

مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَى أَيْتَانِكَ السَّقَرُ
مِثْلَ الرِّثَالِ حَبَاهَا الْبُؤْسُ وَالْكِبَرُ^(٥٥)

وَالْبَرُّ وَالْبَخْرُ وَالْإِغْسَارُ وَالْيُسْرُ
عُثْمَانُ جَدُّهُمْ أَوْ جَدُّهُمْ عَمَرُ

أَبْنَاءُ قَوْمٍ هُمْ آوَا وَهُمْ نَصَرُوا
وَقَدْ نَصَرْتُ وَقَدْ آوَيْتُ مُحْسِنًا

وَلَيْتَكَ الْمُرْمَلُونَ الشُّغْتُ ضَمَّهُمْ
وَذَاتُ هِلْمَيْنِ تُرْجَى دَرْدَقًا قَرْمًا

وَتَيْكَكَ الدِّينُ وَالْأَلْبَا لِرَغِيهِمَا
كَفَلْتُ عِشْرَةَ أَقْوَامٍ مُهَاجِرَةً

وَقَدْ نَصَرْتُ وَقَدْ آوَيْتُ مُحْسِنًا

(٥٣) ما بين القوسين ليس موجودا في : م . والبيت في الديوان : ٩٥ .

(٥٤) مشيع : قوى . الذحل : الثَّار .

(٥٥) الهدم : الثياب الحلقة . تُرْجَى دَرْدَقًا : تسوقه أمامها وهي راثية إلى هذا الكريم تسأله عوناً .
والدردق الصبي . والقزم : الصغير الجثة الذي لا غناء عنده والرثال : جمع رُل وهو ولد النعامة .

يَارْبُ أَرْمَلَةٍ مِنْهُمْ وَمُكْهَلٍ
لِلَّهِ شَمْلٌ جَمِيعٌ كَانَ مُلْتَمَا
أَنْسَى لِفَقْدِكَ ظَهَرَ الْأَرْضِ مُخْتَشِعًا
أَحْيَاكَ عَمَرُوا وَلَوْلَاهُ وَإِخْوَتُهُ
الْهَمَّتْهُمْ طَوْعُهُ فَالْتَقَادُ رُشْدُهُمْ
كَأَنَّهُمْ كَفَّاهُ وَهُوَ يَنْتَهُمُ
بِنُورِيَّةٍ نُورُ الْأَرْضِ نُورُهُمْ
إِذَا تَشَاكَهَتْ الْأَيَّامُ وَاشْتَبَهَتْ
إِمَّا ثَوِيَتْ فَمَا أَبْقَيْتْ مَكْرَمَةً
إِنَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ لَوُ نَطَقَتْ
كَانَ التَّدَى فِي شُهُورِ الْحَوْلِ مِقْتَسَمًا

قال :

وكان سعيدٌ عامرًا لَطُرُقَ الْخَيْرِ عَوَادًا عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَرَامِلِ ، وَعَلَى أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْعِزَاءِ ، وَكَانَ يُقَدِّمُ مِنْ بَنِيهِ عَمْرًا وَسَلَمًا ، فَأَتَاهُ مَوْتُ ابْنِ
لَهُ يُقَالُ لَهُ الْعَبَّاسُ فِي يَوْمٍ مَاتَ سَلَمٌ بِحَضْرَتِهِ ، وَكَانَتْ مَيِّتَةُ الْعَبَّاسِ بِكَرْمَانَ (٥٦) قَتَلَهُ
بِهَا الْخَوَارِجُ ، فَذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَيْهِ مَعَ رَجَاءٍ بْنِ أَبِي الضُّحَّاكِ لِيَعْرِزُوهُ
عِنْدَهَا ، فَرَأَوْا عِنْدَهُ مِنَ الْعِزَاءِ مَا لَوْ شَهِدَهُ مِنْ لَمْ يَعْرِفِ الْقِصَّةَ لَظَنَّ أَنَّهُ الْمَعْرُوفُ .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْمُوسَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ سَعِيدًا كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ عَلَى الطَّعَامِ فِي عَقَبِ
مَوْتِ سَلَمٍ ، فَحَدَّثْتُهُمْ حَدِيثًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ، وَاللَّقْمَةِ فِي يَدِهِ :

حَدَّثَنِي بِهَذَا ابْنُ سَلَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ وَضَعَ اللَّقْمَةَ فِي فِيهِ :

وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ فِيهِ :

رُبُّ طِفْلِ تَعَشَّتْهُ بَعْدَتُهُمْ
كَلَّمَا عَصَتْ الْحَوَادِثُ نَادَى
وَفَقِيرٌ أَغْنَيْتُهُ بَعْدَ عِلْمٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ

وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ يَرْتَفِعُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ : سَلَمٌ :

هَرِيقًا دَمًا إِنْ أُفْقِدَتْ غَبْرَةٌ تُجْرَى
أَبَى الصَّبْرُ أَنَّ الرُّزْءَ جَلَّ عَنْ الصَّبْرِ

وَلَا تَحْمُدا عَيْنِي قَدْ حَسَنَ الْبُكَاءَ
لِيُغْرِكُمَا بِالْبَثِّ أَنْ لَسْتُ وَاقِفًا
سَلَامًا وَسَقِيًّا مِنْ يَدِ اللَّهِ ثَرَّةً
جَرَتْ قَوَّةُ الْأَرْوَاحِ أَمَّا لِحْزِيهِ
تَوَلَّى التَّدْيَ وَالْبَاسُ وَالْحِلْمُ وَالْتَقَى
فَإِنْ تَطَوَّرَ الْأَيَّامُ لَا تَطْوِي بَعْدَهُ
مَتَى تَلْقَاهُ لَا تَلْقَى إِلَّا مُنْتَقِمًا
وَأَيُّ مَحَلٍّ لَا لِكُفْيِهِ نِعْمَةً
وَمَا اخْتَلَفَتْ حَالَاتُ إِلَّا رَأَيْتُهُ
وَمَنْ تَكُنِ الْأَوْزَاقُ وَالتَّبَرُّدُ حَرَّهُ
كِلَا حَالَتِهِ الْجُودُ أَتَى تَصَرَّفَتْ
وَمَا عُدِمَتْ يَوْمًا لِكُفْيِهِ أُنْعَمَ
وَمَا التَّسَبُّتُ إِلَّا إِلَيْهِ صَنِيعَةً
يَرَى غَبَا يَوْمًا يَمُرُّ وَلَيْلَةً
تُغْضُ لَهُ الْأَبْصَارُ عِنْدَ اجْتِلَائِهِ
وَلَمْ يَصُحْ مِنْ يَوْمٍ وَلَمْ يُمْسِ لَيْلَةً
وَكَانَتْ نِعْمُ النَّاسِ نِعْمَاءُ كَفَّهِ
تَنَاعَاهُ أَقْطَارُ الْبِلَادِ تَفْجَعًا
تَبَاشَرُ بَطْنُ الْأَرْضِ أُنْسًا بِقُرْبِهِ
وَلَمْ تَكْ تُسْقَى الْأَرْضُ إِلَّا بِسِنِيهِ
إِذَا نَشَأَتْ يَوْمًا لِكُفْيِهِ مُزْنَةً
هَوَى جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مَغْقَلًا
عَجِبْتُ لَا يَدِي الْخَفِ كَيْفَ تَغْلَقُ
وَمَا كُنْتُ بِالْمُغْضَى لِلْدَّهْرِ عَلَى الْقَدَى
وَلَوْ دَفَعَ الْعِزُّ الْحِمَامَ عَنِ امْرِئٍ

وَقَرَطَ الْأَسَى فَقَدْ الْمُعَيَّبُ فِي الْقَبْرِ (٥٧)
مِنْ الصَّبْرِ يَوْمًا بَعْدَ عَمْرِ وَعَلَى غَدْرِ
عَلَى جَسَدٍ بَالٍ بِلَمَاعَةِ قَفْرِ (٥٨)
وَقَدْ كُنْ حَسْرَى حِينَ يَجْرِي كَمَا تُجْرِي
فَلَمْ يَتَّقْ مِنْهَا بَعْدَ عَمْرٍ وَسَوَى الذِّكْرِ
صَنَائِعُ مِنْهُ لَا تَبِيدُ عَلَى التَّشْرِ
حِمَاهُ مَصُونُ الْعِزِّضِ مُبْتَدَلُ الْوَفْرِ
عَلَى أَهْلِهِ مِنْ أَرْضٍ بَرٍّ وَلَا بَحْرِ
رُكُوبُ الْبَنَى تَسْبِي هَيُوبُ الْبَنَى تُزْرِي
فَمَا كَانَ غَيْرَ الْحَمْدِ يَرْغَبُ فِي دُخْرِ
بِهِ ذَوْلُ الْأَيَّامِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
تَضَافُ لَهُ مِنْهَا عَوَانٌ إِلَى بَكْرِ
وَمَا تَطَقَّتْ إِلَّا بِهِ أَلْسُنُ الْفَخْرِ
عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيقًا مِنَ الشُّكْرِ
وَلَيْسَ بِهِ إِلَّا الْجَلَالَةُ مِنْ كِبَرِ
بَغِيرِ اكْتِسَابِ الْحَمْدِ مُشْتَغِلُ الْفِكْرِ
فَعَمُوا عَلَيْهِ بِالْمُصِيبَةِ وَالْأَجْرِ
لِمَصْرَعِهِ ثَبَكِيهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرِ
وَأَضَحَّتْ عَلَيْهِ وَهَى خَاشِعَةُ الظَّهْرِ
إِذَا مَا جَفَا أَقْطَارَهَا سَبُلُ الْقَطْرِ
أَدِيلَ الْغِنَى فِي كُلِّ فَجٍّ مِنَ الْقَفْرِ
وَعِزًّا لِدِينِ اللَّهِ ذُلًّا عَلَى الْكُفْرِ
إِلَيْكَ وَبَيْنَ النَّسْرِ يَتَكَ وَالنَّسْرِ (٥٩)
وَلَا لَكِنْ لِلْحَادِثَاتِ عَلَى النَّسْرِ
لَمَّا نَالَ عَمْرًا لِلْحِمَامِ شَبَا ظَفْرِ (٦٠)

(٥٧) هذا البيت من ل .

(٥٨) الثرة : الغزيرة . اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

(٥٩) النسران : كوكبان في السماء هما ما يسمى بالنسر الطائر والنسر الواقع .

(٦٠) شبا : جمع شبابة ، وهي حد كل شيء .

أَلَمْ تَكُ أَسْبَابُ الرَّدَى طَوْرَعُ كَفِّهِ
إِذَا صَاحَ دَاعِي الرُّوعِ سَارَ أَمَامَهُ
يُقَسِّمُ أَجَالَ الْعَدَى عَزْمُ بَأْسِهِ
وَمَا ذَبَّ إِلَّا عَنْ حِمَى الدِّينِ سَيْفُهُ
وَقَدْ كَانَ يَقْرَى الْخُفَّ أَغْدَاءَ سَلِيمِهِ
تَوَلَّى أَبُو عَمْرٍو فَقُلْنَا لَنَا عَمْرٍو
وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مُعَاذًا حَيَاثُهُ
وَكُنَّا عَلَيْهِ نَحْذَرُ الدَّهْرَ وَحَدَّهُ
وَهَوْنَ وَجَدَى أَنَّ مَنْ عَاشَ بَعْدَهُ
وَهَوْنَ وَجَدَى أَنِّي لَا أَرَى امْرَأًا
رَمَتْنَا اللَّيَالِي فِيكَ يَا عَمْرٍو بَعْدَمَا
سَأَجْزِيكَ شُكْرِي مَا حَيْثُ فَإِنْ أُمْتُ
وَأَوْثَرُ حُزْنِي فِيكَ دُونَ تَجَلْدِي

جَمِيعًا لَصَرْفِي مَا يَرِيشُ وَمَا يَرِي (٦١)
لِوَاءَانِ مَقْقُودَانِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
بِهَنْدِيَّةٍ بِيضٍ وَخُطْبَةٍ سُنْرِ
وَلَا قَادَ خَيْلِ اللَّهِ إِلَّا إِلَى تَغْرِ
فَأَضْحَى قَرَى مَا كَانَ أَغْدَاءُهُ يَقْرَى
كَفَانَا طُلُوعُ الْبَدْرِ غَيْبُوتَةُ الْبَدْرِ
بَعَمْرٍو ، فَلَمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرٍو
فَلَمْ يَبْقَ مَا يَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ
مُلَاقَى الَّذِي يَلْقَى وَإِنْ مَدَّ فِي الْعَمْرِ (٦٢)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ مُغْضٍ عَلَى وَثَرِ (٦٣)
حَمِدْنَا بِكَ الدُّنْيَا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
أَبْقَى ثَنَاءً فِيكَ يَتَقَى إِلَى الْحَشْرِ
وَأَسْبَابَ دَمْعٍ لَا بَكْيٍ وَلَا نَزْرٍ

قال أبو العباس:

وكان مروان (٦٤) بن أبي الجنوب بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة مداحا للخلفاء من لدن المهدي إلى أن قام محمد ولي عهد ، ولم يبلغ خلافته . وكان مطبوعا خطيبا في شعره ، صحيح المعاني ، قليل الإغماض صلب الكلام ، وأعطاه المهدي فأكثر . وفي ذلك يقول :

صَدَّقْتَ يَا خَيْرَ مَا مُمُولٍ وَمُتَجَعٍ ظَنَنْتُ بِأَضْعَافٍ مَا قَدْ كُنْتُ أُخْتَسِبُ
أَعْطَيْتَ تَسْعِينَ أَلْفًا غَيْرَ مُتْبِعِهَا مَنَّا وَلَسْتُ بِمَنَّا لِمَا تَهَبُ

(٦٤) مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة شاعر من الولاة ، سلك سبيل جده في الطعن على آل علي بن أبي طالب ، وحسنت حاله عند المتوكل العباسي ، وخص به وناداه ، وقلده المتوكل بالجمامة والبحرين وطريق مكة . من آثاره : ديوان شعر في نحو ١٥٠ ورقة معجم المؤلفين : ١٢ - ٢٢٠ .

(٦١) ل : ألم يك . و : تبين لصرفي . ومعنى : يریش من رشا أى جعل له رشاء . أى ريشا : المعجم الوسيط ج ١ ص ٣٤٨ ، ويرى من برا السهم أو القلم : نَحْتَهُ وَسَوَاهُ : المعجم الوسيط : ١ - ٥٢ .

(٦٢) ل : يلاقى الذى يلقى . (٦٣) الوتر : الفزع والمكروه : المعجم الوسيط : ٢ - ١٠٢٠ .

فلما مات المهدي جزع عليه جزعا شديدا ، ورثاه بأشعار اخترنا منها

قوله :

لَوْ حُلِدْتُ بَعْدَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
كَمْ قَاتِلٍ لَمَّا أَمَّاهُ نِعْمُهُ
إِنَّ الْبِلَادَ غَدَاةٌ أَصْبَحَ ثَاوِيَا
تَرَكَ الْمَسَامِيحَ فَقَدَهُ مُسْتَكَّةً
فَالْيَوْمَ شَاغَبَتْ الثُّقُوسَ حَرَارَةً
وَالْيَوْمَ أَظْلَمَتِ الْبِلَادُ وَرُبَّمَا
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَتْ الْأَرَامِلُ وَلَهَا
كَانَتْ تُعَوِّدُ مِنَ الشِّتَاءِ إِذَا شَتَّتْ
وَبَيْتُ آمِنَةً لَدَى حُجْرَاتِهِ
أَفْقَى الْبُكَاءِ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
لَمَّا اسْتَارَ بَيْطُنِي مَكَّةَ هَلْكُهُ
فَرَحْتُ بِطُورِ الْأَرْضِ إِذْ كُشِيتَ بِهِ
وَبَكَتْ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورَهَا
كَانَتْ خِلَافَتُهُ خِلَافَةً رَحْمَةٍ
مَامَرٌ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِ وَلَيْلَةٍ
رَوَى الظَّمَاءُ بَوَادِيَا وَغَوَادِيَا
عَمَّ الصُّخَاخَ بِعَدْلِهِ وَبِعُزِّهِ
وَصَلَّتْ جَنَاحِي مِنْ فَوَاضِلِ سَيِّهِ
فَلَا بُعْنَ لَهُ الْمَدِيحَ مَرَاتِيَا
أُنْشِيَ لِأَجْزِيَةِ أَيْادِي غُزْفِهِ

[الكامل]

نَفْسِي لَمَّا فَرَحْتُ بِطُولِ بَقَائِهَا
لَيْتَ اللَّيَالِي أَدْنَتْ بِفَنَائِهَا
كَادَتْ تُعَوِّدُ جِبَالَهَا كَصَفَائِهَا
وَشَجَا الثُّقُوسَ وَحَالَ دُونَ غَزَائِهَا
كَانَارٍ مُوصَدَّةً عَلَى أَحْشَائِهَا
كَشَفْتُ بِغُرَّتِهِ دُجَى ظُلُمَاتِهَا
تَدْعُو وَمَا ظَلَمْتُ بِطُولِ شَقَائِهَا
بِفَنَائِهِ وَتَعِيشُ فِي أَذْرَائِهَا^(٦٥)
كَحَمَامٍ مَكَّةَ قُطْبًا وَطَبَائِهَا
مَاءَ الْعُيُونِ فَأَسْعَدَتْ بِدِمَائِهَا
حَنُّ الثَّرَابِ إِلَيْهِ مِنْ بَطْحَائِهَا
نُورًا جَلَا ظُلُمَاتِهَا بِجَلَائِهَا
إِذْ غَابَ زَيْنُ عَشِيِّهَا وَضَحَائِهَا
حَتَّى مَضَتْ أَيَّامُهُ لِمَضَائِهَا
إِلَّا تَدْفُقُ كَفَّهُ بِعَطَائِهَا
عَفْوًا بِأَرْشِيَةِ الثُّلَى وَدَلَائِهَا
وَشَفَى الْمَرِيضَ بِسَيْفِهِ مِنْ دَائِهَا
سَبْعُونَ أَلْفًا رَاشِي بِجَبَائِهَا^(٦٦)
يَتَّقَى عَلَى الْمَهْدِيِّ حُسْنَ نَبَائِهَا
عِنْدِي وَلَسْتُ يَبَالِغَ لِحَزَائِهَا

(٦٥) أذرى : استر واحتسى وصار في كنفه . المعجم الوسيط : ١ - ٣٦ . والأذراء جمع ذرى
وهو كل ما استظل به اللسان : ذرا
(٦٦) راشني : أكرمه . وجباه : اختصه ومال إليه . المعجم الوسيط : ١ : ١٥٤

أَقْلَى الْحَيَاةِ إِذَا رَأَيْتَ قَصُورَهُ
وَجِيَادَهُ قَدْ عُرِيتَ وَقَبَابَهُ
فَقَدَّتْ مُشْرِفُهَا الْجِيَادُ فَأَصْبَحَتْ
فَفُحُولُهُنَّ عَنِ الْحُجُورِ ذَوَاهِلُ
سُقِيتَ عَلَى الظَّمَا الْقَرَاخَ لِفَقْدِهَا
وَلَقَدْ تَرَاهَا وَالْحَلِيبُ صَبُوحُهَا
قُلِعَتْ لِسِرِّكَ رُكُوبُهَا غِلْمَانُهَا
الْقَلْعُ : الذى لا يستقر على سرج .

يَأْمَنُ غَلَا شَمْسِ النَّهَارِ لَفَقْدِهِ
إِنَّ الْقُبُورَ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا
مَا حَفَرَتْ أُنْسَى وَأَكْرَمَ سَاكِتِهَا
إِلَّا الَّتِي أُنْسَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
يَأْلَيْتُ نَفْسِي قَبْلَ نَفْسِكَ غَالِهَا
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ النَّهَارُ لِأُمَّةٍ
فُجِعَتْ بِسِرِّكَ الرَّعِيَّةِ بَعْدَمَا
أَلْبَسْتَهَا كَفَنِي رُؤُوفٍ حَافِظِ
يَفْشَى الْيَتَامَى فِي ذَرَاةٍ كَأَنَّمَا
لَوْلَا ابْنُكَ الْكَافِي الْخُطُوبَ لِأَذْبَرَتْ

رَهَجُ الْقَتَامِ فَحَالَ دُونَ ضِيَائِهَا
لِصَدَاكَ فَاصِلَةٌ عَلَى أَصْدَائِهَا
مِنْ حُفْرَةٍ حَدْرُوكَ فِى أَرْجَائِهَا
فِيهَا فَإِنَّ لِبَلِّكَ فَضْلَ سَنَائِهَا
رَبُّ الْمَنُونِ فَحَالَ دُونَ ثَوَابِهَا
مَا إِنْ تَمَلَّ عَلَيْكَ طُولُ بُكَائِهَا
نَسِيَتْهَا الْمَاضِينَ مِنْ لُحَفَائِهَا
حَرَمَ الْحُقُوقِ مُوَكَّلِ بَادَائِهَا
يَأْوِي الْمَبِيتُ بِهَا إِلَى آبَائِهَا
عَنَّا بَقِيَّةُ عَيْشِنَا بِرَحَائِهَا

قال أبو العباس :

كتب الحسن بن وهب^(٦٨) إلى الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر يُعزِّيه عن مصيبة :

(٦٧) الحُجُور : مفرد حجر وهو ما يتخذ من إناث الخيل للنسل ويجمع أيضا على أحجار المعجم الوسيط : ١ : ١٥٧ والأفلاء : الأتان أو الفرس . المعجم الوسيط : ١ - ٧٠٩ .

(٦٨) أبو علي الحسن بن وهب كاتب من الشعراء . ولى ديوان الرسائل توفى سنة : ٢٥٠ هـ . الاعلام : ٢ - ٢٥٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله إبقاء الأمير مسرورًا غير محزون^(٦٩) ومُعْطَى غير مسلوب ، ووقفه في أحواله كلها لما يستديم به النعمة ، ويستحق عنه الثوبة . أفضعنى - أعز الله الأمير ما رأيت بالأمير - جعلنى الله فداه - من هذه الرزية التى كادت تكون أشبه بالنعم منها بالرزايا ، لما وَفَّرَ الله إن شاء الله للأمير - أيده الله - من ثوابها ، وبقي له فى نفسه - حاطها الله - من بعدها فإن حياة الأمير - مدَّ الله فى عمره حياة لأهله وذوى تأميله ، بعد الذى جعل الله للذين والخلافة من الأئس والعز بسلامته ، وللأمة من جميل مكانه وموضعه ، فوَفَّرَ الله للأمير ، ولا نقصه ، وتولاه يُحسن المدافعة عنه والحياطة ولا أراه سوءًا فى نفسى ولا حميم بقدرته .

وهذه جعلت فداء الأمير - أيانًا ينظر فيها - أيده الله - عند نشاطه إن شاء الله :

(مجزوء الكامل)

قُلْ لِلْمُجِيرِ عَلَى الدُّهُورِ	وَمُقِيلِ ذِي الْجَدِّ الْعُورِ
وَلِمَنْ يُصْفَرُ كِبَرُهُ	مُسْتَغْظَمِ الْخُطْبِ الْكَبِيرِ
حَتَّى يُرَى بَعْدَ الْجَلَا	لَهُ مِنْهُ فِي حَالِ الصَّغِيرِ
إِنَّ الْأَمِيرَ أَجَلٌ قَلْد	رَا فِي مِلَمَاتِ الْأُمُورِ
مِنْ أَنْ تَفِيضَ دُمُوعُهُ	بِفِرَاقِ إلفِ أَوْ عَشِيرِ
لَا، بَلْ يَكُونُ مُسَلِّمًا	لِحُكُومَةِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ
وَيَكُنْ مِنْهُ الرِّضَى	غَنَهُ بِإِخْلَاصِ الضَّمِيرِ
وَالصَّبْرُ فِي الْبَلَوِ لَيْفَ	طَى وَافِيًا أَجَرَ الصَّبُورِ
وَالشُّكْرُ فِي التَّعْمَى لَيْفَ	نَمَ مَا يُضَاعَفُ لِلشُّكُورِ
فَاللهُ يُنْسِيْ غَمَرَهُ	فِي مُتَهَيِّ رُؤْبِ الْجُبُورِ
وَإِذَا بَكَتْ غُرُورُ الْعُيُورِ	نِ فَلَا بَكَتْ عَيْنُ الْأَمِيرِ
لَا، بَلْ تَبِيْثُ قَرِيرَةٍ	أَبْدًا عَلَى بَرْدِ السُّرُورِ
مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ مُنْذَرًا	كَ مِنَ الْكَابَةِ وَالْقُشُورِ

(٦٩) أطال الله بقاء الأمير مسرورًا غير محزون : من ل .

عَبْدُ يَرَاكَ وَلَيْ نَعْدُ مَتِّهِ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
وَيَرَاكَ جَابِرٌ مَا وَهَى مِنْ عَظَمِهِ ذَاكَ الْكَسِيرِ
وَيُجِنُّ وَدَاً لِحَبْرُهُ عِنْدَ الْقَلَمِ بِهِ الْخَيْرِ

وكان الحسن بن وهب يقدم حبيب بن أوس أباتام الطائي تقدما يتجاوز فيه ، ولا يرى له في الشعر ندًا قديما فضلا عن حديث فأتاه خبر موته بالموصل فرثاه بشعر سلك فيه مثل طريقه ، وترك مذهبه في السهولة والبيان وألفاظ الكتاب

فقال :

(الوافر)

سَقَى بِالمُؤَصِّلِ القَبْرَ القَرِيَا سَحَابٌ يَنْتَحِينَ لَهُ نَحِيَا
إِذَا أَطْلَقْتَهُ أَطْلَقْنِ فِيهِ شَعِيبَ المُزْنِ يَتَّبِعُهُ شَعِيَا
الشعيب : المرادة التي يحملها البعير .

وَلَطَمَتِ البُرُوقُ لَهَا حُدُودَا وَتَحَقَّقَتِ الرُّعُودُ لَهَا جُيُودَا
فَإِنَّ ثَرَابَ ذَاكَ القَبْرِ يَخْوِي حَيًّا كَانَ يُدْعَى لِي حَيَا
لَيَّا شَاعِرًا قَطِنَا أَدِيَا أَصِيلَ الرُّأْيِ فِي الجُلَى أَرِيَا
إِذَا شَاهَدْتُهُ رَوَاكَ مَمَّا يَسُرُّكَ رِقَّةٌ مِنْهُ وَطِيَا
أَبَائُكُمْ الطَّائِيَّ إِنَّا لَقَيْنَا بَعْدَكَ العَجَبَ العَجِيَا
فَقَدَرْنَا مِنْكَ عِلْقًا لَانِرَانَا لَصِيبُ لَهُ مَدَى الدُّنْيَا ضَرِيَا
وَكُنْتَ أَحَالِنَا يُدْنِي إِلَيْنَا ضَمِيرَ الوُدِّ والنَّسَبِ القَرِيَا
وَكَاثَ مَذْحِجٍ تُطْوِي عَلَيْنَا جَمِيعًا ثُمَّ تَشْرُهَا شُعُوبَا (٧٠)
فَلَمَّا بَنَتْ نَكْرَتِ اللَّيَالِي قَرِيبَ الدَّارِ وَالْأَقْصَى القَرِيَا
وَابْدَى الدَّهْرُ أَقْبَحَ صَفْحَتِهِ وَوَجَّهَهَا كَالْحَا جَهْمَا قَطُوبَا
فَأَخَّرَ بَأْنَ يَطِيبَ المَوْتِ فِيهِ وَأَخَّرَ بَعِيشَةَ أَلَا تَطِيَا (٧١)

(٧٠) ل : ثم تشرنا . (٧١) ل : وأخر بعيشة ألا يطيبا القصيدة في أخبار أبي تمام : ٢٧٥ ، ٢٧٦

مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة بيت بعد الخامس

إِذَا شَاهَدْتُهُ رَوَاكَ مَمَّا يَسُرُّكَ رِقَّةٌ مِنْهُ وَطِيَا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرى بنيه :
 أَمَا يَزْجُرُ الدُّفْرُ عَنِّي الْمُنُونَا
 وَالْحَثَّ عَلَى بِلَا رَحْمَةٍ
 وَكُنْتُ أبا سَيْئَةٍ كَأَبْدُورِ
 فَمَرُّوا عَلَى حَادِثَاتِ الْمُنُونِ
 فَأَلْقَيْنَ ذَلِكَ إِلَى صَارِخٍ
 فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَابُّ الزُّمَانَا
 وَحَتَّى بَكَى لِي حُسَادُهُمْ
 وَحَسْبُكَ مِنْ حَاسِدٍ بِأَمْرِي
 رَأَيْتَ نَيْيَ عَلَى ظَهْرَهَا
 فَمَنْ كَانَ يُسْلِيهِ مَرُّ السَّيْنِ
 وقال فيهم :

يَاسِيَّةُ أَوْدَعَتْهُمْ حُفَرَ الْبَلَى
 مَتَعُوا جُفُونِي أَنْ يُصَافِحَ بَعْضُهَا
 لَمَّا بَقِيَتْ عِمَادُ بَيْتٍ مُفْرَدَا
 لَمْ تَبْقُ عَيْنٌ أَسْعَدَتْ ذَا غَبْرَةٍ
 مَاذَا أَرْجَى بَعْدَ عُمْسٍ بَعْدَهَا
 وَسَطَّتْ عَلَى مِنَ الزَّمَانِ يَدُ بِهَا

وقال يرى أخته :

لَقَدْ حَاتَنِي دُفْرِي بِأَمِّ مُحَمَّدٍ
 مِوَى أَنْ صَدْرِي نَحْتَهُ مُسْتَكِنَةٌ
 وَإِنِّي مَدَّ الْيَوْمِ الَّذِي لَمْ أَطِقْ بِهِ

(المقارب)

يُبْقَى الْبَنَاتِ وَيُفْنِي الْبَنِينَ (٧٢)
 فَلَمْ تَبْقُ فَوْقَ غُصُونِي غُصُونَا
 وَقَدْ فَقَرُوا أَعْيُنَ الْحَاسِدِينََا
 كَمَرُ الدَّرَاهِمِ بِالتَّاقِدِينََا
 وَالْقَيْنَ ذَلِكَ إِلَى مُلْحِدِينََا
 نِ حَتَّى أَمَاتَهُمْ أَجْمَعِينََا
 فَقَدْ أَلْعَبُوا بِالذُّمُوعِ الْعُيُونَا
 نَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينََا (٧٣)
 فَصَارُوا إِلَى بَطْنِهَا يَتَقَلَّبُونَا
 فَخَزَنِي تُجَدُّهُ لِي السُّنُونَا (٧٤)

[الكامل]

لِخُدُودِهِمْ نَحْتِ الْجُوبِ وَسَادُ
 بَعْضًا فَهَنْ وَإِنْ قَرْنَنْ بَعَادُ
 قَدْ أَسْلَمَتْ أَطْقَابُهُ الْأَوْثَادُ
 إِلَّا بَكَتْ حَتَّى بَكَى الْحُسَادُ
 سَيُّونَ أَكْمَلَهَا لِي الْمَيْلَادُ؟
 قُلْ الْجَمِيعُ وَغُيِّبَ الْأَوْلَادُ (٧٥)

[الطويل]

فَلَمْ يَبْقُ لِي إِلَّا التَّأْسُفُ مِنْ جَهْدِي
 مِنَ الْحُزَنِ مَا لَبِقَى عَلَى الرَّجُلِ الْجَلْدِ (٧٦)
 عَنْ ابْنَةِ أُمِّي مَدَقَّمَا لَعَلِّي وَغَدِ

(٧٢) ل : عنا . (٧٣) ل : حادث ، بدل : حاسد .

(٧٤) الفاضل : ٦٧ .

(٧٥) أنظر الفاضل : ٦٧ (٧٦) المستكنة : المسترة المعجم الوسيط : ٢ - ٨٠٨

وقال يربى محمد بن عباد بن حبيب المهلب^(٧٧) :

مُحَمَّدُ إِنْ آتَيْتُ مِنْى جَانِبًا بِقُرْبٍ لَقَدْ أَوْحَشْتُ بِالْبُعْدِ جَانِبًا
وَلَقَدْ عَظُمَتْ فِيكَ الْمَصَائِبُ إِنَّهَا تُصَغَّرُ عِنْدِي فِي سِوَاكَ الْمَصَائِبِ
سَلَوْتُ بِهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُ وَأَلَيْتُ أَصْفَى بَعْدَهُ الْوُدَّ صَاحِبًا
مُسْتَبْكِيكَ أَحْلَاقُ الْمَرْوَةِ إِنَّهَا مُعَيَّةٌ مَا ذُنْتُ عَنْهُمْ غَائِبًا

وقال يربى ابنه سليمان ، وكان نفيسا من ولده :

سُلَيْمَانُ وَاللَّهِ الَّذِي آتَا عَبْدُهُ لَقَلْبِي غَلِيلٌ مَا حَيْثُ حَزْبُنُ
تَقَاضَاكَ دَهْرٌ فَأَقْضَاكَ بِدَيْنِهِ وَلِلدَّهْرِ فِي نَفْسِي عَلَى ذُبُونُ
فَقَرْتُ عُيُونَ كُنْتُ شَمْلَ جُفُونِهَا وَجَادَتْ بِحُزْنٍ بِاللِّمَاءِ عُيُونُ
فَلَيْسَ عَلَى دَهْرٍ مُجِيرٌ إِذَا عَدَا بِكُزِهِ وَلَا خَلَقَ عَلَيْهِ مُعِينُ
دَقْتُ بِكَفَى بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ لَهَا دَافِنٌ مِنْ نَفْسِهَا وَدَفِينُ
لَقَدْ مَا أُعْطِيَ وَاللَّهِ مَا حَوَى وَآخِرُ بِأَمْرِ كَائِنٍ سَيَكُونُ
فَيَأْتِجَنَّ الدُّنْيَا بِمَنْ شِئْتُ بَعْدَهُ فَيَسَانُ مَضْنُونٌ بِهِ وَضَيْنُ

وقال يربى صديقا له يقال له عيسى بن القاسم :

بَكْتُ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَكِ عَيْسَى بْنُ قَاسِمٍ بِأَرْبَعَةٍ حَتَّى تَجِفَّ نَوَاطِرُهُ
فَتَى غَابَ عَنْهُ أَقْرَبُوهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يُحَامِي دُونَهُ وَيُؤَاوِرُهُ
مَرَزْتُ عَلَى زَنْجٍ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ قَبَاطُنُهُ يَشْكُو الْخَرَابَ وَظَاهِرُهُ
تَكَادُ مَعَانِيهِ تَقُولُ لِفَقْدِهِ لِسَائِلِهَا عَنْ أَهْلِهِ : مَا تِ غَامِرُهُ^(٧٨)
سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَانِ وَالْعَيْشِ بَعْدَهُ وَمَنْ كَانَ يُسَلِّي أَلْهَمَ عَيْنِي حَدِيثُهُ
فَإِنْ أَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَمَا عَنْهُ سَلَوَةٌ إِلَيَّ إِذَا ضَاقَتْ بِأَمْرِي مَصَادِرُهُ
وَمَهْمَا أَضِيعُهُ فَإِلَيَّ ذَاكِرُهُ

(٧٧) هو أمير البصرة في زمن المأمون العباسي ، قال الميرد : كان سيد أهل البصرة أجمعين .

الأعلام : ٧ - ٥٠ ،

(٧٨) ل : لسائلها .

وقال في ابن له يكنى أبا عمرو - مات آخر ولده - قصيدة^(٧٩) يطيلها ، فاختَرَتْ مِنْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ :

[الطويل]

لَقَدْ شِمْتُ الْأَعْدَاءَ بِي وَتَغَيَّرْتُ
تَجَرًّا عَلَى الدُّهْرِ لَمَّا فَقَدْتُهُ
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلِ الْقَدَى
فِيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
فَمَاتُوا كَأَنَّ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
عَيُّونَ أَرَاهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عَمْرٍو
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَاجْتَرَأْتُ عَلَى الدُّهْرِ
فُدَيْتُمْ وَأَعْطَيْتَا بِكُمْ سَاكِبِي الظُّهْرِ
عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مُقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ
فَكُلَّ عَلَى نُكُلٍ وَقَبَّرَ إِلَى قَبْرِ^(٨٠)

وقال دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ^(٨١) يَرِثُ أَبَا الْقَاسِمِ نَصْرَ بْنَ حَمْزَةَ :

[البسيط]

كَانَتْ حُزْرَاعَةٌ مَلَأَ الْأَرْضَ مَا اتَّسَعَتْ
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الْغَاوِي يَنْلَقَعُ
هَبْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَاهُتُوبَ بِهِ
أَضَعَى قَرَى لِّلْمَنَاتَا إِذْ تَزَلْنَ بِهِ
فَقَصُّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا
تُسْفَى الرِّيَّاحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا
وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُجَارِبُهَا
وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِبُهَا^(٨٢)

وقال أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ^(٨٣) يَرِثُ مُحَمَّدَ بْنَ مَنْصُورٍ

[السريع]

أَنْعَى قَسَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ
أَنْعَى قَسَى أَصْبَحَ مَعْرُوفُهُ
أَنْعَى إِلَى الْفَتَيَانِ أَغْلَامُهُمْ
أَنْعَى ابْنَ مَنْصُورٍ إِلَى سَيِّدِ
وَأَشْعَثَ يَسْعَى عَلَى صِيَّةِ
وَطَارِقِ أَغْيَا عَلَيْهِ الْقِرَى
فَمَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ
مُتَّسِبًا فِي الْبَيْضِ وَالسُّودِ
كَتَبَا وَأَوَّلَاهُمُ بِتَنْجِيدِ
وَأَيَّدَ لَيْسَ بِرَغْدِيدِ
مِثْلُ فَرَاخِ الطَّيْرِ مَجْهُودِ
وَمُسْلِمٍ فِي الْقَدِّ مَضْفُودِ

(٧٩) القصيدة ليست في م .

(٨٠) الكامل : ١٢٠٣ . ذكر فيها بعض الآيات غير مرتبة كما ذكرت هنا ومن غير نسبة .

(٨١) دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ الشَّاعِرُ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، كَانَ أَكْثَرَ مَقَامِهِ فِي بَغْدَادَ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ تَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٦ هـ وَعُمِرَ ٩٨ سَنَةً . لَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ . مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ : ٤ - ١٤٥ .

(٨٢) دِيْوَانُ دَعْبِلِ : ٢١٣ .

(٨٣) يَكْنَى أَبُو الْوَلِيدِ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ شَاعِرُ إِسْلَامِي عِبَاسِي نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ وَمَدَحَ الْبِرَامِكَةَ وَالرَّشِيدَ فَأَغْدَقَ عَلَيْهِ فَأَكْثَرَ لَهُ الْمَدِيحُ تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٩٥ هـ (انظر دِيْوَانَ الْحَمَاسَةِ : ١ - ٥٤)

أَلَمَى قَتَى مَصُّ الثَّرَى بَعْدَهُ
وَالْقَلَمَ الْمَجْدُ بِهِ ثَلَمَةً
أَلَمَى قَتَى كَانَ وَمَعْرُوفُهُ
فَأَصْبَحَا بَعْدَ تَسَامِيهِمَا
الْيَوْمَ لُحْشَى عَكَرَا الثَّدَى
يَارَاكِبَ الْعِيسِ الَّتِي تُحْطَى
إِنَّ بَابَ الْبَرْدَانِ الْقَتَى الضَّدَّ
مَنْ قَعَّ الْمُسْكِينَ لَمَّا مَضَى
مَنْ لَمْ يَكُنْ سَائِلُهُ مُنْسِكَا
لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ أَغْلَقَتْ
لِيَرْجُحَ الْبُخْلُ عَلَيْهَا فَقَدْ
أُورِدَهُ حَوْضًا عَظِيمَ الثَّمَا
كُلُّ قَتَى يَنْغَى إِلَى مُدَّةٍ
سَيَنْطَلِقُ الشُّقْرُ بِأَيَّامِهِ
كَفَاكَ أَنْ الْمَجْدُ قَدْ أَصْبَحَتْ
جُودَى يَدْمَعُ أَوْ دَمِ جُودَى
فَكُلُّ مَفْقُودٍ إِلَى جَنْبِهِ
يَاوَالِدَى قَوْمِهِمَا إِنَّ مَنْ
طَلَبْنَا الْجُودَ وَقَدْ ضَمُّهُ
فَاتَكَّمَا الْمَوْتُ بِمَعْرُوفِهِ
يَاغَضُّنَا لِلْمَوْتِ مَفْقُودَةً
أَوْقَنَ زُلْدَنِيهِ وَأَكْبَاهُمَا
وَهَذَا الرُّكْنُ الَّذِي كَانَ بِالْأُ

بَقِيَّةُ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ
جَانِبَهَا لَيْسَ بِمَسْنُودِ
يَمْلَأُ مَايْنَنَ ذَرَى الْيَدِ
قَدْ جُمِعَا فِي بَطْنِ مَلْحُودِ
وَعُدُوهُ الْبُخْلُ عَلَى الْجُودِ
مَايْنَنَ أَغْشَاكَ الْقَرَادِيدِ^(٨٤)
لَا مِنْ حَاجَاتِ الْمَجَاهِيدِ^(٨٥)
مِنْ رَغَدِ الْعَيْشِ بِتَضْرِيدِ^(٨٦)
مِنْهُ بِأَذْنَابِ الْمَوَاعِيدِ
أَبْوَابُهَا دُونَ الْقَتَى الْمُودَى
مَضَى قَتَاهَا بِالْمَقَالِيدِ
فِي الْمَجْدِ يَوْمَ غَيْرِ مَحْمُودِ
مِنْ أَجَلٍ قَدْ حُطَّ مَفْقُودِ^(٨٧)
عَلَى لِسَانِ غَيْرِ مَفْقُودِ
أَعْلَامُهُ فِي بَطْنِ أَحْمُودِ
يَاعَيْنِ لَا عُدَتْ بِمَجْلُودِ^(٨٨)
وَأَنْ تَعَالَى - غَيْرُ مَفْقُودِ
طَلَبْنَا نَحْنُ الْجَلَامِيدِ
مُحَمَّدٌ فِي جَوْفِ مَلْحُودِ
وَلَيْسَ مَا فَاتَ بِمَرْفُودِ
وَمَاعِدًا لَيْسَ بِمَغْضُودِ
أَرْغُ الْمَنَابِ فِي الصَّنَادِيدِ^(٨٩)
مِنْ عِمَادَا غَيْرِ مَهْلُودِ

(٨٤) اختطى : تجاوز وتعدى المعجم الوسيط : ١ - ٢٤٥ . القراديد : ما ارتفع وغلظ من الأرض

والفعل قرد . (٨٥) البردان : اسم القرية من قرى العراق .

(٨٦) صرد : قتل والتضريد : التعليل . المعجم الوسيط : ١ - ١٤ .

(٨٧) هذا البيت من ل . (٨٨) مجلود من جلد : تصير وتشجع . (٨٩) أو هن : أضعف .

[مواعظٌ وتعازٍ وأشعارٌ]

قال أبو العباس :

قد أملينا من أشعار المحدثين جملةً يُخاف على مثلها الملل ، وإنما كتابتنا هذا - وإن كان يُقصدُ به معنى واحدٌ - فإنما يخرج منه شيء في ذلك المعنى إلى آخر منه . فكأنه بابٌ يخالف باباً .

(وهذا بابٌ مواعظٌ وتعازٍ^(١)) وأشعارٍ داخله في ذلك موصولةٌ به :

وقد كنا أملينا أخباراً عن عروة بن الزبير في قطع رجله ، ومصاب ابنه بضرب دابةٍ إياه . وهذا الذي نذكره ممّا يتصل بجملة إخباره :

قال إسماعيل بن يسار^(٢) يرثي محمد بن عروة : [الخفيف]

تِلْكَ عِزِّي رَأَيْتُ سَفَاهَا فِرَاقِي	وَجَفَّتْ نِي فَمَا تُرِيدُ عِنَاقِي
زَعَمْتُ أَنَّمَا هَلَكَ مَعَ الْمَا	لِ وَأَنْتَ مُخَالِفِي إِمْلَاقِي
وَتَسَاوَتْ رَزِيَّةٌ بِدِمَشْقِي	أَشْخَصَتْ مُهْجَتِي فُؤُوقَ التَّرَاقِي
يَوْمَ أَذْعَى إِلَى ابْنِ عُرْوَةَ نَعْمًا	فَوْقَ أَيْدِي الرِّجَالِ وَالْأَعْنَاقِ
مُسْتَحْجًا بِهِ سِاقَ إِلَى الْقَبْرِ	رَ وَمَا إِنْ يَحْتَلُهُمْ مِنْ سِيقِ
بِمَقَامِ رَنْبَخٍ أَجُتُوا	شَخْصَهُ ازْتَقُوا وَلَيْسَ بِرَاقِ

(مكان رَنْبَخ : إذا كان لا يُسْتَقَرُّ عليه)^(٣)

ثُمَّ وَلَيْتَ مُوجِعًا قَدْ شَجَانِي	قُرْبُ عَهْدٍ بِهِ وَبُعْدُ ثَلَاقِ
وَلَقَدْ كُنْتُ لِلْخُوفِ عَلَيْهِ	مُشْفِقًا لَوْ أَعَادَهُ إِشْفَاقِي
فَإِذَا الْمَوْتُ لَا يُرَادُّ بِحِرْصِي	مِنْ حَرِيرٍ وَلَا لِرُقِيَةِ رَاقِ

(١) ما بين القوسين من : ل .

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي أصله من أذربيجان سكن المدينة وكان أبوه يعد الطعام للأفراح ولذلك سمي النسائي كان طيب النفس حسن الحديث كان شاعراً مجيداً سهل التراكيب قريب المعاني ، وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ١ - ٦٤٣)

(٣) ما بين القوسين ليس موجوداً في ل .

وَعَيْنَا كَاتِبِي نُورَةَ يَوْمَا فِي رَحَاءِ وَلَذَّةِ وَائْفَاقِ^(٤)
ثُمَّ صِرْنَا لِفَرْقَةِ ذَاتِ بَعْدِ كُلِّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِفِرَاقِ^(٥)

[الكامل]

وقال أيضا يرثيه: ^(٦)

صَلَّى إِلَهِ عَلَى امْرِئٍ فَارَقَهُ بِالشَّامِ فِي حَدِّ الضَّرِيعِ الْمُلْحَدِ^(٧)
يَوَائِهِ يَدَيَّ دَارَ مَقَامِهِ نَأَى الْمَحَلَّةِ عَنْ مَزَارِ الْفُودِ
وَلَيْنَ تَرَكْتُكَ يَا مُحَمَّدُ ثَاوِيَا لِيَمَّا تَرَوُّحُ مَعَ الْكِرَامِ وَتَقْدَى
وَعَبْرَتْ أَغْوَالُهُ وَقَدْ اسْلَمْتُهُ لِسَقَى الْأَمَاعِرِ وَالْمَزَارِ الْأَبْقَدِ^(٨)
وَأَرَى الْوُفُودَ لَدَى الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى شَهِدُوا وَإِنَّكَ غَائِبٌ لَمْ تَشْهَدْ
أَغْنَى ابْنَ غُرُورَةٍ إِنَّهُ قَدْ هَدَّنِي فَقَدْ ابْنُ غُرُورَةٍ هَذَّةٌ لَمْ تَقْصِدِ
وَالْمَرْءُ زَهْنُ مَنِيَّةٍ يُدْعَى لَهَا لَا بُدَّ أَسْرَعٍ مِنْ رِدَاءِ الْمُرْتَدِ
وَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى الْعَرَاءِ أَرِيدُهُ غَلَبَ الْعَرَاءُ وَحِيلَ دُونَ تَجَلْدِي^(٩)
غَلَبَ التَّعْزَى إِنْ نَسَى لِفِرَاقِهِ لَيْسَ الْعَدُوُّ عَلَى جِلْدِ الْأَرْبَدِ^(١٠)

* * *

وقال البيهقي : ومات ابن له يرثيه بشعر حفظ منه بيت استحسانا^(١١) [الطويل]

فَصَادَفَ مَنَى غَصَّةً مَا يُسِيغُهَا
شَرَابٌ وَلَمْ يَذْهَبْ مَرَارَتُهَا الْعَسَلِ^(١٢)

* * *

(٤) ابنا نورة : هما مالك وتمام ابنا نورة . وقد تقدم ما كان من أمرهما في أول الكتاب

(٥) ل : لفرّاق . (٦) الأبيات الثلاثة الأولى في التعازي للمدائني ٣٦ .

(٧) ل : حدث الضريح . (٨) الأمر : الأرض ليس فيها نبات .

(٩) دون : زبدت من ل .

(١٠) الأربد : الأسد .

(١١) البيهقي : هو خدّاش بن بشر شاعر مشهور ، هاجى جريرا ، وكان من أشهر خطباء تميم ،

توفي سنة ١٤٣ هـ . (انظر تاريخ الأدب لفروخ : ١ - ٧٣١ - ٧٣٢) .

(١٢) ل : لا يسيغها ، وجاء البيت في التعازي للمدائني ٤٣ . موافقا لما في م .

وأخبرنا محمد بن حمزة عن عبد الملك بن عمير قال: (١٣)
دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء بنت (١٤) أوى بكر رضى الله عنهما فقال :
يا أمه قد خذلنى الناس ، فلم يبق معى إلا من ليس عنده الدفع (١٥) أكثر من صبر
ساعة ، والقوم يعطوننى ما أردت . فما رأيك ؟
قالت :

يا بُنى أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو ، فامض على
حقك ، ولا تمكن غلمان بنى أمية من نفسك .
قال :

وفقك الله هذا رأى ، وإنى لحسن الظن برى (١٦) ، فإن هلكت فلا يشتد جزعك
على ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان دنية ولا عملاً بفاحشة ، ولم يسع بغدر ، ولم يجز
فى حُكم ، ولم يكن شئ آثر عنده من رضى ربه . اللهم إنى لا أقول هذا تركية
لنفسى . أنت أعلم بى . ولكنى أقوله لتسلو عنى .

ويروى أنه خرج فحمل على أهل الشام وهو يتمثل :

[الطويل]

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بُسْبُةِ

وَلَا مَرْتَقٍ مِنْ عَشِيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا (١٧)

وقال رحمه الله تعالى :

[الرجز]

الْدَرْعُ وَالْبَيْضَةُ لَا تُجِنِي
قَدْ عَلِمَ الْأَعْبُدُ أَنَّ دُونِي
إِيَّهَا شِمَالِي غَاوِي يَمِينِي
فَأَيْمًا يَضُنُّ بِالضُّيْنِ

يَا أُمُّ إِنْ مِتُّ فَلَا تُبْكِينِي
مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِذَا يَأْتِينِي
ضَرْبًا كَأَبْرَاحَ الْمُخَاضِ الْجُونِ
فَإِنْ كَرِهَتْ صُغَيْتِي فِينِي

* * *

وُحِدْتُ عَنْ سَفِيَّانَ (١٨) بِنِ عَيْنَةَ قَالَ :

(١٣) مر هذا الخبر فيما سبق . (١٤) ل : ابنة . (١٥) ل : المنع . (١٦) م : ربه .

(١٧) انظر التعازى ص ٤٧ ، ٤٨ . مع اختلاف يسير فى اللفظ .

(١٨) سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي المكي أبو محمد محدث فقيه ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ
طلب الحديث وجاب البلاد واجتمع عليه خلق كثير و انتهى اليه علو الإسناد فسر القرآن وجزء
فيه أحاديث توفى سنة ١٩٦ هـ معجم المؤلفين ٤ - ٢٣٥ .

رأى سعيد بن جبيرة^(١٩) ابنه يطوف بالبيت فقال :
(هذا أعز الخلق علي ، وما شيء أسرّ إلي من أن يكون في ميزاني)

* * *

وأخبرنا عن عامر بن حفص قال :
[الطويل]
جَزَعُ الْقَلَاخِ^(٢٠) بَنُ حَزْنٍ عَلَى أَخِيهِ جَحْنَاءُ فَقَالَ :
أَعَاذِلُ مَنْ يَرْزَأُ كَجَحْنَاءَ لَا يَزُلْ حَزِينًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ
ثِمَالُ أَنَاثٍ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ أَبْلَغٍ شَاغِبٍ^(٢١)
الأبلخ : المتكبر .

وقال ضمرة بن ضمرة^(٢٢) :
[المقارب]
مَآوِي لَسْتُ بِرَغْدِيْدَةٍ
أَبْلَغُ جَادٍ عَلَى الْمُقْلِمِ

* * *

وقال عن الحسن بن دينار :
جَزَعُ رَجُلٍ عَلَى ابْنِ لَهُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :
هَلْ كَانَ ابْنُكَ هَذَا يَغِيبُ عَنْكَ ؟
قال : نعم كانت غيبته عني أكثر من حضوره .
قال :
فَأَنْزَلَهُ غَائِبًا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبَةً ، الْأَجْرُ لَكَ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْغَيْبَةِ .
ومن غير هذا الإسناد أنه قال :

(١٩) سعيد بن جبيرة أبو عبد الله ولد سنة ٤٣هـ تابعي كتب لعبد بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة انضم الى عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج على عبد الملك فلما قتل عبد الرحمن قتله الحجاج سنة ٩٥هـ التعازي ص ٤٣ انظر صفة الصفوة : ٣ - ٤٢ .
(٢٠) القلاخ بن حزن بن فقر بن عبيد بن الحارث كان شاعرا ، ومن أشهر الرجاز . التعازي ص ٤٤
(٢١) الخير في التعازي : ٤٤ .
(٢٢) ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن سهل شاعر جاهلي كان كثير المقامرة (أنظر بلوغ الأرب : ١ - ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠)

فأنزله غائبا عنك ، فإنه إن لم يقدم عليك قَدِمْتَ عليه .

قال :

يا أبا سعيد ، قد هونت من وجدى على ابنى .

* * *

واخبر المدائنى عن أبى إسماعيل الهمداني عن مجالد^(٢٣) عن الشعبي^(٢٤) قال :

مات ابن لشرع^(٢٥) فلم يشعر أحد بموته ، ولم يصرخ أحد عليه ، فغدا قوم إلى

شرع يسألونه عن ابنه فقالوا : كيف أصبح مريضك يا أبا أمية ؟

قال :

قد سكن عَظْرَه ورجاه أهله ، وما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة^(٢٦) .

العلز : شدة القلق .

[الطويل]

قال أحد بنى كليب :

وإن رأيت مهلاً طلك مَرْتَبَا

كأننى رأيت للنجم أو غلب

* * *

وأخبر عن أبى عمرو بن يزيد قال :

احتضر رجل فوضع رأسه في حجر أخيه ، فدمعت عين أخيه فقطرت قطرة من

دموعه على خد المريض ، فأفاق من غشائه ، فنظر إلى أخيه يبكي فقال :

أَحْيَيْتُنِي كَمَا فَرَّقَ الدُّفْرُ يَتْنَا

إلى الأمد الأقصى وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّفْرَا؟^(٢٧)

* * *

(٢٣) مجالد بن سعيد بن عمر الهمداني راوية للأخبار والأنساب ليس بالقوى فيما يروى مات

سنة ١٤٤هـ . تقريب التهذيب : ٢ - ٢٢٩ .

(٢٤) عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ثقة مشهور ، قبه فاضل مات سنة ١٠٩هـ وله من

العمر ٨٢ . تقريب التهذيب : ١ - ٣٨٧ .

(٢٥) شرع بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضى أبو أمية مات قبل الثمانين وقد عمر طويلا :

تقريب التهذيب : ١ - ٣٤٩ .

(٢٦) التعازى : ٥٣ . (٢٧) التعازى : ٥٣ .

وُحَدَّثَ عَنْ عَمْرِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ :
كُتِبَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أُمَى يَحْيَى إِلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ يَعْرِضُهُ :
أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ مَنْ عَظَّمَ حَقَّ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ عِنْدَهُ
فِيمَا أَبْقَى لَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقَى لَكَ ، وَأَنَّ الْبَاقِيَ بَعْدَكَ هُوَ الْمَاجُورُ فَيْكَ ،
وَأَنَّ أَجْرَ الصَّابِرِينَ فِيمَا يُصَابُونَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ فِيمَا يُعَافُونَ مِنْهُ . (٢٨) .

* * *

وَقَالَ عَمْرُ بْنُ غِيَاثٍ :
عَزَى رَجُلٌ قَوْمًا فِيهِمْ نَصْرَانِيٌّ قَالَ :
مِثْلِي لَا يُعْزِيكَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مَا زَهَدَ فِيهِ الْجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ (٢٩) .

* * *

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
حَدَّثَنِي مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ (٣٠) أَنَّ أُنْحَا لَهُ مَاتَ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَنْ أَرَاهُ فِي نَوْمِي ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِشُعَيْبِ بْنِ الْحَبَّابِ فَقَالَ :
إِنَّ الْحَزْنَ يَنْضُوعُ عَنْ ابْنِ آدَمَ كَمَا يَنْضُوعُ الصَّبْغُ فِي الثَّوبِ ، وَلَوْ دَامَ عَلَى ابْنِ آدَمَ
لَقَتَلَهُ . (٣١) .

* * *

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
سَمِعْتُ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ يَقُولُ :
نُعِيَ مَجْزَأَةُ بْنُ ثَوْرٍ السَّدُوسِيُّ (٣٢) إِلَى أَخِيهِ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُرْ ذَلِكَ فِيهِ ، فَقَالَ
لَهُ صَاحِبُ (٣٣) الْبَرِيدِ :

(٢٨) التَّعَاذِيُّ : ٧٩ (٢٩) التَّعَاذِيُّ : ٦٣
(٣٠) مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ يَلْقَبُ بِالطَّفِيلِ ثِقَةٌ مِنْ كِبَارِ الْمُحَدِّثِينَ ، مَاتَ سَنَةَ
١٨٧ هـ ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّانِينَ . تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ : ٢ - ٢٦٣ .
(٣١) ل : يَنْضُوعُ عَنْ ابْنِ آدَمَ كَمَا يَنْضُوعُ صَبْغُ الثَّوبِ ، وَلَوْ بَقِيَ عَلَى ابْنِ آدَمَ قَتْلُهُ .
(٣٢) مَجْزَأَةُ بْنُ ثَوْرٍ بْنُ غَفِيرٍ صَحَابِيُّ شَجَاعٌ قُتِلَ فِي افْتِتَاحِ مَدِينَةِ تُسْتَسْرَ سَنَةِ ٢٠ هـ . الْأَعْلَامُ :
٦ - ١٦٤ .
(٣٣) مِنْ لَوْ فِي م لَمْ يَرِ ذَاكَ فِيهِ فَقَالَ صَاحِبُ .

هل نعاہ إلیک أحد قبلی ؟

قال :

نعم . قد خَبَرنا الله عز وجل أَنَا كُلُّنا سَمَوْتَ .

* * *

قال الأصمعی :

ماتت امرأة عبد الله بن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير ، فتَبَخَّرَ ولبس حُلَّةً ، فقالوا

له فی ذلك ، فقال :

أكره أن أَسْتَكِينَ للمصيبة .

* * *

وقال أبو الحسن المدائنی عن سعید بن عبد العزيز^(٣٤) :

إن مسلمة بن عبد الملك كان له صديق يقال له شراحيل فمات ، فجزع عليه ، وخرج

فصلَّى عليه ، ودخل قبره ، فلما خرج أتاه الْمُعَزُّون ، وفيهم عبدُ الله بن عبد الأعلى ،

فعرَّاه ، فبكى مسلمة وقال :

[الطويل]

وَهَوْنٌ وَجَدِي عَنْ شَرَّاحِيلَ أُنْسِي

إِذَا شِفْتُ لَأَقِيتُ امْرَأَةً مَاتَ صَاحِبُهَا^(٣٥)

* * *

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

حدثني أُبَيُّ ، الوليدُ بن خلف ، أَنَّ الحجاج بن يوسف أوفد مالك بن أسماء بن

خارجة^(٣٦) إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه ، فَسَمِعَ صَوَارِخَ فِي دَارِهِ ، فقال :

ما هذه الصوارخ يا أمير المؤمنين ؟

فقال له عبد الملك :

(٣٤) سعید بن عبد العزيز التنوخي (أبو محمد) الدمشقي ثقة إمام فقيه سماه أحمد بالأوزعى توفي

سنة ٦٧ هـ وقيل بعدها وله بضع وسبعون : تقريب التهذيب : ١ - ٣٠١ .

(٣٥) التعازي : ٥٣ .

(٣٦) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري شاعر غزل ظريف له شعر كثير توفي سنة ١٠٠ هـ

التعازي : ٣١ ، وأيضا الخير مجمل في التعازي : ٣١ ، ٣٢ .

مات أبان بن عبد الملك في هذه الليلة .

فقال له مالك :

أجرك الله يا أمير المؤمنين ، فوالله ما على ظهر الأرض أهل بيت أعظم مَرْزِيَّة واحدة على الناس ، ولا الله أكفى لهم بالواجد الباقي من أنفسهم منكم أهل البيت .

فأعجب عبد الملك كلامه ، فاستعاده ، وفضله على أصحابه .

وكان الحجاج لا يستعمل مالكا لإذمائه الشراب واستهتاره به ، فكتب إلى الحجاج :
إنك أوفدت علي رجل أهل العراق فوله واستعمله وأكرمه .

* * *

قال أبو الحسن المدائني عن عامر بن الأسود وغيره أن الحجاج رأى في منامه كأن عينيه ذهبتا . فلما طلق هند ابنة أسماء وهند ابنة المهلب ظن أنها تأويل رؤياه . فلما مات ابنه محمد وأتاه موت أخيه محمد قال :

﴿هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ (٣٧)

* * *

وأخبر المدائني عن أبي محمد بن عمرو الثقفي قال :

لما مات محمد بن الحجاج حُزِعَ عليه فقال

إذا غسَلْتُمُوهُ فَأَذْنُونِي بِهِ . فَأَعْلَمُوهُ فدخل البيت فنظر إليه فقال : [الكامل]

الآنَ لَمَّا كُنْتُ أَكْمَلُ مَنْ مَشَى وَاقْرَأْتُكَ عَنْ شَبَابَةِ الْقَارِحِ

وَتَكَامَلْتُ فِيكَ الْمَرْوَةَ كُلَّهَا وَأَعْنَتْ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ (٣٨)

فقل له :

اتَّقِ اللَّهَ وَاسْتَرجِعْ

(٣٧) سورة يوسف : ١٠٠ . وأصل الخبر في التعازي : ٥٨ .

(٣٨) البيتان لزياد الأعجم ضمن قصيدة يرثي بها المغيرة بن المهلب . ومطلع القصيدة .

إن الساحة والمروءة ضمنا قبرا بمرور على الطريق الواضح

التعازي : ٥٨ . اقتر : بدا ولمع . وشبابة كل شيء : حذو . القادح : الفرس استتم الخامسة ودخل

في السادسة . يريد أنه قد استتم شبابه .

فقال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» وقرأ :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾
 ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾

وأناه موث محمد بن يوسف فكان بينهما جُمعة ، فقال : [الطويل]
 حَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
 إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ رَبِّي مُسْلِمًا فَإِنْ نَجَاةَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَاكَ
 وجلس الحجاج للمُعزين ، ووضع بين يديه مرآة ، وولى الناس ظهره وقعد في مجلسه
 فكان ينظر إلى ما به مون ، فدخل الفرزدق فلما نظر إلى فعل الحجاج تبسم ، فلما
 رأى الحجاج منه ذلك قال :

أتضحك وقد هلك الحمدان فأنشأ يقول : [الطويل]
 لَيْتَ جَزَعُ الْحَجَّاجِ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تَكُونُ لِمَحْزُونٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعَا
 مِنَ الْمُصْطَفَى وَالْمُصْطَفَى مِنْ خِيَارِهِمْ

جَنَاحِيهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَوَدَّعَا
 أَلْحَ كَانَ أَغْنَى أَيْمَنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا وَاعْنَى ابْنُهُ أَمْرَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا
 جَنَاحَا غُفَابِ فَارَقَاهُ كِلَاهُمَا وَلَوْ قُطِعَا مِنْ غَيْرِهِ لَتَضَعَعَا
 سَمِيًّا نَبَى اللَّهِ سَمَاهُمَا بِهِ أَبٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النَّوَائِبِ أَحْضَعَا^(٣٩)

وكتب إليه الوليد يعزيه عن محمد بن يوسف ، ويحثه على الصبر فكتب إليه :
 (كتب إلتي أمير المؤمنين يُعزيني عن محمد بن يوسف ويذكر رضاه عنه ، ويأمرني
 بالصبر ، وكيف لا أصبر وقد أبقي الله لي أمير المؤمنين ؟)^(٤٠) .
 وتحدث المدائني عن يونس بن حبيب قال :

(٣٩) البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ . (٤٠) ديوان الفرزدق : ٤٠٤ . والخبر في التعازي : ٥٩ .

(٤١) التعازي : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

كان الحجاج إذا سمع نوحاً في دار هدمها ، فلما مات ابنه وأخوه كان يعجبه أن يسمع النوح ، وكان يتمثل بشعر الفرزدق :

[الطويل]

هَلْ إِبْنُكَ إِلَّا مَنْ بَنَى النَّاسَ فَاصْبِرِي
فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حِينَ الْمَآئِمِ^(٤٢)

قال أبو العباس :

حدثني التوزي قال :

سمعت أبا زيد يُنشد : (خين المآثم) . وكان يتمثل أيضاً بشعر ليزيد بن الحكم الثقفي :

[الطويل]

إِنْ نَخْسِبْ تُوجَزْ وَإِنْ ثَبَّكَ تُكُنْ

كَبَاكِهَ لَمْ يُخَيِّ مَيِّتًا بُكَارَهَا

وَمِنْ شَرِّ حَظِّي مُسْلِمٌ مِنْ حَمِيمِهِ بُكَاءٌ وَأَحْزَانٌ قَلِيلٌ جَدَاؤُهَا^(٤٣)

وتحدث المدائني عن عوانة قال : أرسل الحجاج إلى علي بن ثابت بن قيس الأنصاري

[المنسرح]

فقال : أنشدني مرثيتك ابنك فأنشده :

يَا كَذَّبَ اللَّهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا لَيْسَ لِتَكْذِيبِ نَفِيهِ ثَمَنُ
أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ وَفِي الدُّارِ نَاسٌ جَوَارُهُمْ غَبْنُ
كُنْتُ حَلِيلِي وَكُنْتُ خَالِصَتِي لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنُ
بُدَّتْهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَتَهُمُ أَمْسُوا وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَدَنُ

فقال الحجاج :

إِثْ ابْنِي مُحَمَّدًا ، قَرْنَاهُ . فقال الحجاج :

مَرثِيَّتُكَ ابْنُكَ أَجُودُ .

قال :

إِنَّ قَلْبِي وَجَدَ عَلَى ابْنِي أَكْثَرَ مِمَّا وَجَدَ عَلَى ابْنِكَ .

قال :

(٤٢) الخبر في التعازي : ٦٠ والحنين : رفع الصوت بالبكاء والتعجب .

(٤٣) التعازي : ٦١

كيف كان حبك له ؟

قال :

لم أمل من النظر إليه ، ولم يغب عني إلا اشتقت إليه .

قال :

كذلك كنت أجد بابني محمد .

وقال الفرزدق :

[البسيط]

إِلَىٰ لَبَّاكِ عَلَىٰ ابْنِي يُوسُفَ غُمْرِي وَمِثْلُ هُلُكِهِمَا لِلَّذِينَ يَتَكِنُنِي^(٤٤)
مَاسَدَ حَتَّىٰ وَلَا مَيِّتَ مَسَدُهُمَا إِلَّا الْخَلَائِفَ مِنْ بَعْدِ الثَّيْنِ

وقال أيضا :

[الكامل]

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلُهَا فَقَدَانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ
مَلِكَانِ قَدْ حَلَّتِ الْمَتَابِرُ مِنْهُمَا أَحَدَ الْمُنُونِ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصِدِ^(٤٥)

وأخبر المدائني عن سلمة بن عثمان وغيره أن الحجاج جزع على ابنه محمد ، فقتل
لرجل من بني عُقَيْل كان الحجاج قتل ابنه :

إن الحجاج شديد الجزع على ابنه محمد ، وقد أته وفاة أخيه محمد بن يوسف ،

فتمثل العقيلي :

[الطويل]

ذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَرَّقٍ

مِنَ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِهِمِ وَالتَّحُوبِ^(٤٦)

وتحدث المدائني عن إسحاق بن أيوب عن مُطَيْرِ مولى يزيد قال :

كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه عن أخيه محمد بن يوسف ، فكتب إليه
الحجاج :

ما التقيت أنا ومحمد بن يوسف مذ كذا وكذا عامًا ، وما غاب عني غيبة أنا ،

لطول النقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دارٍ لا تُفترقُ فيها .^(٤٧)

(٤٤) البيان للفرزدق التعازي : ٦٢ . (٤٥) البيتان في التعازي : ٦٣

(٤٦) البيت للطُّغَيْلِ الغنوي والبيت في الصحاح واللسان مادة : (حوب) والخبر من التعازي : ٤١ .

(٤٧) لا يفترق فيها مؤمنان - هكذا في م واخترنا ما في : ل

وقال ابن كناسة^(٤٨) :

مات محمد بن الحجاج ونُعيَ محمد بن يوسف في الجمعة فخطب الحجاجُ الناسَ فقال :
 إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَجَّاجِ وَمُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ مَاذَا فِي جُمُعَةٍ فَكَأَنَّ الْبَاقِيَ مِنَّا وَمِنْكُمْ قَدْ قَبِلَ ،
 وَكَأَنَّ الْحَيَّ مِنَّا وَمِنْكُمْ قَدْ بَلَى ، وَتُدَالُ الْأَرْضُ مِنَّا وَمِنْكُمْ فَتَأْكُلُ مِنَّا لَحْمَنَا كَمَا أَكَلْنَا
 مِنْ ثَمَارِهَا ، وَتَشْرَبُ مِنْ دِمَائِنَا كَمَا شَرَبْنَا مِنْ أَنْهَارِهَا ، وَلَتَجِدَنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 «وَتُفْخِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»^(٤٩) .

وقال عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ :

لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَوَفَاهُ نَعِيُّ أَخِيهِ بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ وَهُوَ فِي السِّجْنِ فَقَالَ
 أَنْشِدْنِي مَرْثِيَّتَكَ أَخَاكَ فَأَنْشَدَهُ :

أَقْطَعُ اللَّيْلَ زَفْرَةً وَنَحِيًّا وَلَمَّا قَدْ لَقِيتُ أُنْسِي كَيًّا
 أَذْكَرُ الْيَأْسَ مِنْ بَقَائِكَ فِي الدُّ يَا وَعْهَذَا مِنَّا وَمَنْكَ قَرِيًّا
 يَوْمَ أَذْغَوْكَ لِلْخُطُوبِ وَلَوْ يُسْ جُعْ دَاعِيكَ مَنْ دَعَا لِأَجِيًّا

قال :

وَأَنَا وَاللَّهِ لَوْ أَسْمَعْتُهُمَا النَّدَاءَ لِأَجَابَاهُ^(٥٠) .

* * *

وقال إبراهيم بن سعد :

سمع علي بن الحسين واعية^(٥١) من بيته وهو في مجلسه وعنده جماعة ، فنهض إلى
 منزله فسكنهم ثم خرج إلى مجلسه فقالوا له :

أَمِنْ حَدَثٍ كَانَتْ الْوَاعِيَةُ ؟

فقال :

نعم . ابن لي

(٤٨) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني ابن كناسة فاضل له علم بالعربية والشعر وأيام الناس
 توفي بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ وله من العمر ٨٤ سنة . معجم المؤلفين : ١٠ - ٢٢٢ .

(٤٩) سورة يس : ٥١ . (٥٠) ل : لأجابا .

(٥١) الواعية : الصارخة .

فغزوه وتعجبوا من صبره .

فقال :

إنا أهل بيت نطيع الله جل جلاله ، فيما نحب ونكره ، ونحمده ، فإذا نزل بمكروه حمدناه واحتسبنا^(٥٢) .

* * *

قال أبو القاسم بن قيس العامري :

لما دُفِنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَاطِمَةُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَمَثَّلَ عِنْدَ قَبْرِهَا [الطويل]

وإِنَّ أَفْئَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ

ذَلِيلٌ عَلَى الْأَيْدُومَ خَلِيلٌ^(٥٣)

وتمام هذا الشعر : [الطويل]

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى قُبْتُ كَأَنِّي بِرَدِّ الْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلِ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةً وَكُلِّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ
وإِنَّ أَفْئَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ذَلِيلٌ عَلَى الْأَيْدُومَ خَلِيلٌ

* * *

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعث بن قيس^(٥٤) وعزاه عن ابن له :
يا أشعث ، إن تجزع على ابنك فقد استحققت ذلك منك الرحم ، وإن تصبر فقي الله
الْخَلْفَ .

يا أشعث ، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك
القدر وأنت مأزور^(٥٥) .

(٥٢) الخير في التعازي : ٦٤ . والواعية : الصارخة وقيل الواعية : الصراخ على الميت ونعيه . اللسان (وعى) .

(٥٣) الخير في التعازي : ٥٨ . البيت الثاني من تمام هذا الشعر في الكامل : ١١٩٨ .

(٥٤) الأشعث بن قيس بن معدى كرب أمير كندة في الجاهلية والإسلام ولد سنة ٢٣ ق.هـ ثم أسلم وحضر اليرموك ، وأخباره كثيرة في الفتوحات ، انضم مع علي ضد معاوية ، وتوفي اثر اتفاق معاوية والحسن سنة ٤٠ هـ . التعازي (انظر ابن عساكر : ٣ : ٦٤)

(٥٥) التعازي : ٦٧ .

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول إذا عَزَى :
إن تجزعوا فالرحم أهل ذلك منكم ، وإن تصبروا ففى ثواب الله خَلَفَ من المصيبة .
عَظَمَ الله أجركم .

* * *

وعَزَى رجلٌ رجلاً عن ابنه فقال :
ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ، فما حال الباقي بعد أصله
وفرعه ؟ (٥٦)

وعَزَى رجلٌ رجلاً فقال :
ما كان لك فى الآخرة أجراً ، خير لك مما كان فى الدنيا سروراً (٥٧)

وقال موسى (٥٨) الهادى لإبراهيم بن سَلَم وعَزَاه عن ابنه :
أيسرُّك وهو بلية ودفنته ، ويُحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

* * *

قال سعيد بن عبد الله :

قال الحسن لرجل عزاه عن ابنه :
إنما يستوجب على الله وعده مَنْ صبر لله بحقه . فلا تجمع إلى ما أصبت به الفجيرة
بالأجر فإنها أعظم المصيبتين عليك ، وأتكا المُرزيتين لك (٥٩) .

* * *

وقيل لهرم بن حيان (٦٠) :

أوص

(٥٦) التعازى : ٦٩ . (٥٧) الخبر فى التعازى : ٦٧ .

(٥٨) موسى الهادى بن محمد المهدي بن أبى جعفر المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ من خلفاء الدولة
العباسية ولى بعد وفاة أبيه ، وأراد خلع أخيه هارون الرشيد لابنه جعفر ولم ترض أمه بذلك فسلطت
جواربها فخنقته فهلك سنة ١٧٠ هـ .

(٥٩) الخبر فى التعازى : ٦٨ .

(٦٠) هرم بن حيان العبدي من بنى عبد القيس من كبار التابعين ، وكان من قادة الفتح مات
فى إحدى الغزوات بعد سنة ٢٦ هـ . التعازى : ٦٧ ، ٦٨ .

فقال :

صَدَّقْتَنِي فِي الْحَيَاةِ نَفْسِي ، مَالِي مَالٌ أَوْصِيكُمْ بِهِ ، وَلَكِنِّي أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ^(٦١) .

* * *

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَنْ شُعْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : عَزَى إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ^(٦٢) رَجُلًا عَلَى ابْنِهِ فَقَالَ :
لَا يَنْقُصُ اللَّهُ عِدْدَكَ ، وَلَا يَرُدُّ نِعْمَةً عِنْدَكَ ، وَعَجَّلَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْخَلْفِ خَيْرًا مِمَّا رَزَيْتَ بِهِ^(٦٣) .

وعزى آخر رجلا فقال :

إِنْ فِيمَا عَوْضَكَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ خَيْرًا مِمَّا فَجَعَلَكَ بِهِ مِنَ الرِّزْيَةِ .
وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ :

مَا أَحْسَنَ عَزَاءَكَ عَنْ ابْنِكَ !

قالت :

إِنْ فَقْدَانَهُ آمَنْتَنِي الْمَصِيبَةَ بَعْدَهُ^(٦٤) .

* * *

قال :

أَخْبَرَنِي سَعِيدٌ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَالَ :
خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ فَتَزَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْهُمْ ، فَرَأَيْتُ مَالًا كَثِيرًا وَرَقِيقًا وَوَلَدًا وَحَالًا حَسَنَةً ،
فَأَقَمْتُ حَتَّى قَضَيْتُ حَاجَتِي . فَلَمَّا أَرَدْتُ الرَّحِيلَ قُلْتُ لَهَا :
أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟

قالت :

(٦١) الخبر في التنازى : ٦٧ ، ٦٨ . ورد قول المدائني : أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ النَّحْلِ .
(٦٢) إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسِ الْمَزْنِيِّ أَبُو وَائِلَةَ الْبَصْرِيُّ الْقَاضِي الْمَشْهُورُ بِالذِّكَاءِ ثَقَّةٌ تَوَفَّى
بِوَسْطِ سَنَةِ ١٢٢ هـ . وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ٧٥ سَنَةً : تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ : ١ - ٨٧ .
(٦٣) الخبر في التنازى : ٦٨ .
(٦٤) ل : عَنْ ابْنِكَ فَقَالَتْ : إِنْ فَقْدَانِيهِ أَمَنْتَنِي مِنَ الْمَصَائِبِ بَعْدِهِ .

نعم ، كلما نزلت هذه البلاد فانزل عليّ
فعبرت أعواما ، ثم أتيت اليمن ، فأتيته منزل المرأة فإذا حالتها قد تغيرت^(٦٥) ، وذهب
رقيقها ، ومات ولدها ، وباعت منزلها ، وإذا هي مسرورة بحالها ، ضاحكة . فقلت :
أتضحكين مع ما قد نزل لك ؟
قالت :

يا عبد الله كنت في حال النعمة ولي أحزان كثيرة ، فعلمت أن ذلك من قلة الشكر ،
فأنا اليوم في هذه الحال أضحك شكرا لله على ما أعطاني من الصبر .
فقلت لعبد الله بن عمر :

ما رأيته منها ؟

فقال :

ما كان صبرُ أيوب النبي ﷺ إلى هذه بشىء^(٦٦) .

* * *

وقال سفيان^(٦٧) :

شكا الربيع بن أبي راشد إلى مُحارب بن دثار^(٦٨) إبطاء .

خبر أخيه جامع .

فقال له محارب :

إن لم تكن وَطُئْتَ نفسك على فراق جامع فأنت عاجز .

* * *

وقال محمد بن أبي محمد :

(٦٥) ثم أتيت اليمن ، فأتيته منزل المرأة فإذا حالتها قد تغيرت . تكملة من ل .

(٦٦) الخبر في التعازي : ٧١ ، ٧٢ .

(٦٧) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه وكان ربما دلس
مات سنة ١٦١ هـ وله من العمر ٦٣ سنة . تقريب التهذيب : ١ : ٣١١ .

(٦٨) محارب بن دثار الدوسي الكوفي القاضي ثقة زاهد توفي سنة ١١٦ هـ ، تقريب التهذيب :

بلغنى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها أملاك^(٦٩) سبعة ، وبادوا . فقال :
هل بقى من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد ؟
قالوا :

رجل يكون فى المقابر .

فدعا به فقال :

ما دعاك إلى لزوم المقابر !

قال :

أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم ، فوجدت ذلك سواء .

قال :

فهل لك أن تتبعنى فأحى بك شرف آبائك إن كانت لك همة ؟

قال :

إن همى عظيمة إن كانت بغيتى عندك .

قال :

وما بغيتك ؟

قال :

حياة لا موت فيها ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا يتبعه فقر ، وسرور لا يغيره مكروه .

قال :

ما أقدر على هذا .

قال :

فامض لشأنك ، واخلنى أطلب بغيتى ممن هى عنده

فقال الإسكندر

هذا أحكم من رأيت^(٧٠) .

* * *

(٦٩) الأملاك : الملوك والمفرد ملك الصحاح : ملك .

(٧٠) الخير فى التعازى : ٨١ .

وقال عبد الله بن عباس :

ما قيل لقوم قط طوى لهم إلا خبأ لهم الدهر يوم شر ، فالصبر خير مغبة^(٧١) .

وتحدث أبو الحسن المدائني قال

قال بعر بن لقيط بن خالد بن نضلة النقي وهلك ابنه طعمة فورثه بُردين فلبسهما وأنشأ يقول :

كَسَانِي ثَوْبِي طُعْمَةُ الْمَوْتِ إِيْمَا الْكَرَامِ وَإِنْ عَزَّ الْحَبِيبُ الْفَنَائِمُ
إِذَا تَفَحَّتْ رِيَاهُمَا الرِّيحُ تَفْحَةً أَيْثُ كَأَنِّي غَضَّةُ الطَّرْفِ رَائِمُ

يقول :

أَبَيْتُ أَحِبُّنْ كَالنَّاقَةِ الرَّائِمِ حَنِينًا إِلَى ابْنِي . وَالرَّائِمُ : الناقه يفارقها ولدها فيحشى جلد فصيل تبنا أو غير ذلك ، ويُطبخ بشيء من سلاها ، وتحشى عُمَامَةً في أنفها ، وتجعل دَرْجَةً في حياها ، فتفتح عينها ، وذلك الجلد مَحْشُو كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا ، وَرَائِحَةٌ فِيهِ ، وَتَنْزِعُ الْعُمَامَةَ مِنْ أَنْفِهَا فَتَجِدُ لَذَلِكَ رَائِحَةً ، فَكَأَنَّهُا قَدْ وَلَدَتْ ، فَإِذَا تَشَمَّتْ ذَلِكَ الْوَلَدَ فَقَدْ رَأَتْهُ ، فَيَنْزِلُ اللَّبَنُ ، فَكَأَنَّهُمْ خَدَعُوهَا عَنْ لَبْنِهَا .

* * *

وقال شُعَيْبُ بْنُ صَفْوَانَ :

كَانَ لِحَضْرَمِيِّ بْنِ عَامِرِ الْأَسَدِيِّ^(٧٢) إِخْوَةٌ فَهَلَكُوا ، فَوَرِثَ أَمْوَالَهُمْ ، فَرَّاحَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بُرْدَيْنِ لَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهُ جِزْءُ بَنٍ فَاتَكَ ، فَقَالَ لَهُ :

لَقَدْ أَمْسَيْتَ يَا حَضْرَمِيُّ جَذْلَانِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ وَجَزَعُ : [المنسرح]
يَقُولُ جِزْءٌ وَلَمْ يَقُلْ جَلًّا إِيْنِي تَرَوُحْتُ نَاعِمًا جَذْلًا
إِنْ كُنْتُ أَزْنَتْنِي بِهَا كَذِبًا جِزْءٌ فَلَا قِيَّتَ مِثْلَهَا عَجَلًا
أَفْرَحُ أَنْ أَرَزَا الْكِرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا بَبْلًا^(٧٣)

(٧١) الخبر في التعازي : ٧٣ .

(٧٢) أبو كدام وهو حضرمي بن عامر بن مجمع الأسدي صحابي من المخضرمين توفي عام ١٧ هـ .
الإعلام : ٢ - ٢٨٩ .

(٧٣) الأملأ لأبي على القالي : ١ - ٦٧ . وَأَزْنَتْنِي : مَنْ أَرَزْتَهُ الْأَمْرَ إِزْنَانًا : أَتَمَّهُ بِهِ ، عَجَلًا : أَيْ لِقَاءَ عَجَلًا . الرِسَالَةُ . وَفِي الْأَمَالِي : سَدَدًا مَكَانَ : جُلًّا . وَاحْتَضَنَ الْأَبْطَالُ مَكَانَ : وَاشْتَمَلَ

الذود : القليل من الإبل . يقال : (من الذود إلى الذود إبل) والشصائص : المهازيل العجاف . والتبّل : يقول أصحاب الغريب إنها الحقيرة ، وإنما من الأضداد .
كَمْ كَانَ فِي أُخْوَتِي إِذَا اشْتَمَلَ الْأُ بَطَالُ نَحْتِ الْعَجَاجَةِ الْأَسْلَا
مِنْ قَارِسٍ مَاجِدٍ أُخَى ثَقِيَّةٍ يُعْطَى جَزِيلاً وَيُقْتَلُ الْبَطْلَا
وقال أبو الحسن المدائني :

لَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ الصُّعِقِ وَرَثَةُ مَعِيَّةُ بْنُ يَزِيدٍ قَدَرَهُ وَجَفَّتْهُ ، فَقَالَتْ لَيْلَى بِنْتُ يَزِيدٍ :
[الطويل]

يَزِيدُ أَبَا قَيْسٍ وَهَلْ تَسْمَعُنُهُ وَعِنْدَكَ تَغْيِيرٌ لَوْ أَنَّكَ تَسْمَعُ
لَأَصْبَحَ مَا جَمَعْتَ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ مَعِيَّةُ يُعْطَى النَّاسَ مِنْهُ وَيَمْنَعُ
فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ شَيْئًا زَائِلَةً وَلَا أَنْ يَسُوقَ النَّاسَ عَبْدٌ مُجَدِّعُ

وقال سعيد بن قيس المَحَارِي :
[الوافر]

أَبَادِرُ قِسْمَةِ الشُّرَكَاءِ مَالِي إِذَا حَسَبُوا وَهُمْ حَوْلِي قُفُودُ
وَقَالُوا حَقًّا الْفُلُكَانِ مِنْهُ وَقَدْ صَدَّقُوا لَعْنَتِي أَوْ يَزِيدُ
تَقُولُ عَجُوزُهُمْ فِي ذَاكَ سَهْمِي بَلَى وَبِسَهْمِكَ الْعَيْنُ الشَّدِيدُ
وَكَاثَ قَبْلُ تَمْلِكُهُ جَمِيعًا تُعْنَى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تُرِيدُ

وقالت الْمُحَيَّاةُ بِنْتُ طَلْقِ الْجِشْمِيَّةِ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللّاتِ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَجَاءَ
الْعَصْبَةَ يَقْتَسِمُونَ دَارَهَا الَّتِي كَانَتْ لَزَوْجِهَا ، فَسَمِعَتْ أَصْوَاتَهُمْ فَقَالَتْ : [السريع]
أَذْعَوْهُ مَا دَغَوْتِي غَامِرًا بِاللهِ لَوْ يَسْمَعُنِي لَأَسْتَجَابَ^(٧٤)
ثَالِثُ لَوْ يَسْمَعُ دَغَوَاتِمُ لَفَلَّهْمُ عَنِّي بِظَفَرِ وَثَابِ^(٧٥)

فرجعوا عنها ، وغبروا حيناً ، ثم عادوا ، فقالت :

لَقَدْ بُدِّلَتْ دَارُ الْأُجْبَةِ بَعْدَهُمْ مَوَالِي مِنْهُمْ مُلْحَقُونَ وَتَابِعُ
فَلَوْ أَنَّ دَارًا أَغْرَكَتْ فَقَدْ أَهْلَهَا بَكَثَ دَارُنَا وَالتَّحَ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

فرجعوا حيناً ، ثم عادوا ، فقالت :

[مجزوء الكامل]

الذَّارُ ثَبِيَّ أَهْلَهَا
وَبُكَاءُهَا شَيْءٌ عَجِيبٌ

فيقال : إنهم تركوها لها .

* * *

وقال المدائني :

توفي ابنُ خالد بن صفون يكنى أبا الحصين فقال :
رحم الله أبا الحصين . والله إن كان ما علمته ، لَبَرًّا بوالديه ، وَصُولاً لرحمه بعيداً مما
يُفَرِّقُ به الشَّبَانُ
قال أبو العباس :

وَحُدُّثُ بهذا الخبر على غير هذا . إنه توفي ابن له يُقال له نُعَيْمُ فقال :
لا أنسى نعيماً أبداً . وفي هذا الخبر : ولقد ذكرت عند موته قول الشاعر - يعني أبا
خراش الهذلي :

فوالله لا أنسى قَيْلاً رَزْئُهُ
بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ^(٧٦)

ثم علم أنه سَيِّئَسَاهُ فقال :

بَلَى إِنَّهَا تَغْفِرُ الْكُلُومَ وَإِنَّمَا
يُوكَّلُ بِالْأُذُنِ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي^(٧٧)

(٧٦) قَوْسِي : بلد بالسَّراة قتل به عروة أخو أبي خراش .

(٧٧) البيتان من أبيات للشاعر المذكور . وورد بدل : بلى ، على . الحماسة : ١ - ٣٢٦ -

[أخبار الطاعون]

قال أبو الحسن في أخبار الطاعون :
الذي^(١) بلغنا من خبر الطاعون أن الناس لا يجزعون فيه على موتاهم كجزعهم في غير
الطاعون ، وذلك لتأسي الناس بعضهم ببعض ، ولما يَدْخُلُهُم من الخوف ، فكل إنسان
يخاف على نفسه فيسلو عن الولد والأهل^(٢) والقراية .
قال :

وكانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام بالعراق خمسة :
- طاعون شيرويه بالمداين^(٣) سنة ست من الهجرة .
- طاعون الجارف سنة تسع وسبعين في شوال . هلك في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون
ألفا . مات لأنس بن مالك فيه ثلاثة وثمانون ابنا ، ويقال : وسبعون . مات لعبد الرحمن
ابن أبي بكر^(٤) أربعون ابنا ، وهرب عبيد الله بن عمير ، فمات له ثلاثون ابنا ، وإنما
هرب بهم من الطاعون .
وقال البراء المازني :
مات في الطاعون لصدقة بن عامر المازني سبعة بنين في يوم واحد ، فدخل ، فوجدهم
قد سُجِّوا جميعا فقال :
(اللهم ، إني مُسْلِمٌ ، مُسْلِمٌ) .

* * *

وقال محمد أبو عبد الله التميمي :
هرب المرقع بن العلاء ، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة من الطاعون ، وله اثنا
عشر ابنا ، فماتوا جميعا ، فدفنهم في سفح سنام^(٥) فرثاهم فقال : [الوافر]

(١) ، ٢ ، ٣) الذي ، والأهل ، وبالمداين ليست موجودة في م .
(٤) ل : عبد الرحمن بن أبي بكر والصحيح أبن أبي بكر الثقفي من التابعين ، توفي سنة ٩٦ هـ .
تقريب التهذيب : ١ - ٤٧٤
(٥) سنام : جبل مشرف على البصرة .

دَفَنْتُ الدَّافِعِينَ الضَّيِّمَ عَنِّي بِرَأْيِيهِ مُجَاوِرَةً سَنَامًا
أَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ جَمِيعًا بِنَفْسِي تِلْكَ أَصْدَاءُ وَهَامًا
فَلَيْتَ حِمَامَهُمْ إِذْ فَارَقُونَا تَلَقَّانَا وَكَانَ لَنَا حِمَامًا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَذَا الْعَامِ عَامًا^(١)
قال :

أنشدني الرياشي ثلاثة أبيات منها ، ولم ينشدني الرابع .

* * *

قال علي بن القاسم :

حدثني رجل قال : رأيت في المنام أيام الطاعون كأنه أَخْرَجْتُ من داري اثنتا عشرة
جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر ، فمات منا أحد عشر وبقيت وحدي ، فقلت في نفسي :
أنا تمام العلة ، فخرجت من الدار ثم رجعت من غدي إليها فإذا لص قد دخل للسرقة
فطعن في الدار فمات ، فأخرجنا جنازته .

* * *

قال أبو الحسن :

بلغني أن رجلاً نيش في الطاعون قبراً فأخرج الميت من قبره وأخذ ثيابه ، فطعن من
ساعته ، فوجد والثياب معه .

* * *

وقال سليمان بن قَحْذَم^(٢) :

خرجت في الطاعون الجارف^(٣) إلى مكة ، ودارنا مشحونة ، فرجعت وقد خلت ،
فقال لي أبي :

يا بُنَيَّ ما بقي في الدار أحد ممن تركت غيري وغير أمي جَدَّتْكَ .

* * *

وقال معاذ التَّمَّار :

(٦) الكامل : ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ .

(٧) م : سليمان أبو قَحْذَم . (٨) الجارف من ل .

بلغنى أَنَّ دورًا كثيرة مات أهلها ، فلما قَدِمَ الحَجَّاجُ هدمها مخافة أن يَكْمُنَ فيها الخوارج ، واشترى الناس دورًا كثيرة فدفنوا فيها .

* * *

قال :

وبلغنى أَنَّ داراً مات أهلها جميعاً ، فأغلقوا بابها وفيها صبي صغير رضيع لم يعلموا به ، فلما خف الطاعون فتحوا الباب بعد أشهر فإذا صبي يجبو ، فتعجبوا منه ، فإذا كلبة تَطْفِرُ^(٩) إلى الدار فتربض ناحية ، ويجبو إليها الصبي ويشرب من أطبائها^(١٠) ، ثم تَطْفِرُ الحائط إلى الخارج . فلم يزل ذلك دأب الصبي حتى حباً حبوا .

* * *

قال :

وأخبرت أن الدار كانت تُصبح وفيها خمسون ، وتُصبح الغد وليس فيها واحد .

* * *

قال :

وكان الرجل بعد الطاعون يلقي المرأة ، فلو شاء أن يُمَصِّبَهَا نَفْسَهَا فعل قبل أن يمر أحد .

* * *

ثم خف الطاعون وخليفة مصعب بن الزبير^(١١) على البصرة سنان بن سلمة^(١٢) الهذلي ، فخطب الناس فقال :

اتقوا الله أيها الناس ، فإن عند الله أياماً مثل شوال . قال وكان طاعون القينات^(١٣) أيضاً في شوال سنة سبع وثمانين ، مات فيه الجوارى

(٩) تطفر : تثب .

(١٠) الأطباء جمع طيبي وهو لذوات الخوافر كاللدى للمرأة ، وكالضرع لغيرها .

(١١) مصعب بن الزبير أخو عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر ، ولاه أخوه عبد الله العراق ، وظل عليها إلى أن هزمته جيوش عبد الملك بن مروان مات سنة : ٧١ هـ وله من العمر : ٤٥ .

(١٢) سنان بن سلمة ولد يوم حنين فسماه النبي ﷺ سنان ، وهو أحد الشجعان طال به العمر

إلى آخر أيام الحجاج . تقريب التهذيب : ١ - ٣٣٤ .

(١٣) سمى بطاعون القينات لأنه أصاب أول ما أصاب النساء وكان بالشام وواسط والبصرة .

ثم كان طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة في رجب فاشتد في شهر رمضان ، فكان يحصى في سَكَّةِ الْمَرْبَةِ في كل يوم عشرة آلاف جنازة أيامًا ، وخف في شوال .

وقال طارق :^(١٤)

أخبرني رجل قال :

تزوجت امرأة ، فدخلت بها ليلة الإثنين ، وأصبحت غاديا من عندهم ، وهي عند أبيها وأُمها وأختها وخدمهم ، فعدت إليهم يوم الجمعة فلم يبق منهم أحد .

وهرب من الطاعون علي بن زيد بن جُدعان إلى السَّيَّالَةِ^(١٥) ، وكان يَجْمَعُ كل جمعة ويرجع . فكان إذا جُمِعَ صاحوا به :

فَرَّ مِنَ الطَّاعُونِ ، نَظَرَ فَمَاتَ بِالسَّيَّالَةِ .

وهرب عمرو بن عبيد . ورباط بن محمد بن رباط إلى الرباطية^(١٦) ، فقال إبراهيم

ابن علي بن عبد الرحمن المُتَنَبِّئِي : [الطويل]

لَمَّا اسْتَفْزَزَ لَمُوتُ كُلِّ مُكَذِّبٍ

صَبْرُهُ ، وَلَمْ يَهْزِرْ رِبَاطٌ وَلَا عَمْرُو

ورأى نافع^(١٧) رجلاً قد خرج من البصرة على حمار فرَّقا من الطاعون ،

وكان نافع يعرفه فقال :

أَنْظَرُوا ابْنَكَ مِنْ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى حِمَارٍ !

(١٤) طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي مات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين تقرب التهذيب ١ - ٣٧٠ .

(١٥) السَّيَّالَةُ : أرض في حريف خج قريب من المدينة .

(١٦) الرِّبَاطِيَّةُ : ماء في الحريف بين البصرة من جزيرة العرب .

(١٧) نافع بن جبيل بن عاصم السدوسي أبو محمد أو أبو عبد الله المدني ثقة فاضل من رواة الحديث

مات سنة ٩٩ . تقرب التهذيب : ٢ - ٢٥ .

وكان ابن شبل بن معبد البجلي^(١٨) بشيراز فمات أهله بالطاعون فبلغه فجزع

[الطويل]

عليهم فقال:

سَمَا لَكَ فِي شِيرَازٍ هُمُ فَلَمْ تَنَمْ
بَرْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَدَفْتُ بِنَا
مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ
وَهَلْ تَرَكَ الطَّاعُونَ لِي مِنْ قَرَابَةٍ
وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِمْ
مَقَادِيرُ لَا يُغْفَلَنَّ مَنْ حَانَ^(١٩) يَوْمُهُ
سَقَيْنَ بِكَاسِ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ أَصَبَتْهُ
فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارَ لَهُمْ مِنْكَ غُرْبَةً
وَهُوَ عَنِّي بَعْضُ وَجْدِي أَنِّي
وَأَلِي رَأَيْتُ النَّاسَ أَقْبَى كِرَامَتِهِمْ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَا

غَرِيبًا كَمَا بَعْضُ الرِّجَالِ غَرِيبُ
كَمَا يَتَبَرَّى دُونَ اللَّحَاءِ عَسِيبُ
تَوَى غُرْبَةً عَمَّنْ لِحْبُ شَطُوبُ
لَهُمْ مِنْ فَوَادِي بِالْعِرَاقِ نَصِيبُ
إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الْإِيَابُ أَوْوَبُ؟
فَعَالَتُهُمْ مِنْ دُونَ ذَلِكَ شُعُوبُ
لَهُنَّ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ رَقِيبُ
وَلِلْحَيِّ مِنَ أَنْفَاسِهِنَّ ذُنُوبُ
بَعِيدٌ وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبُ
رَأَيْتُ الْمَنَآيَا تُلْقِدِي وَتُثُوبُ
حَوَادِثُ، كُلُّ الْعَالَمِينَ تُصِيبُ
إِلَى أَجَلٍ لُدْعَى لَهُ قَجِيبُ

* * *

قال أبو عبد الرحمن المعجلاfi عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال :
مات في طاعون (عمواس)^(٢٠) من آل الوليد بن المغيرة عشرون قتي ومن آل صخر
مثلهم ، فقال رجل منهم :

مَنْ يَتَرَلَّ الشَّامَ وَيَغْرُسُ بِهِ
فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يَفْتِنَا كَارِبُ^(٢١)

يقول :

إن لم يفتنا فهو يقارب ذاك . يقال : كرب الشيء يكرب إذا قرب .

(١٨) م : وكان ابن الفضيل بن معبد الجهني .

(١٩) ل : من كان يومه .

(٢٠) كان طاعون عمواس سنة ١٧هـ وقيل : سنة ١٨هـ (الطبري) .

(٢١) من أبيات قالها المهاجر بن خالد بن الوليد . (انظر تاريخ الطبري : ٣ - ١٦٥)

أَفَى بَنِي صَخْرٍ وَفَرَسَانَهُمْ عِشْرِينَ لَمْ يَطْرُزْ لَهُمْ شَارِبٌ
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ وَلِمِثْلِ هَذَا الْعَجَبِ الْقَاجِبِ
طَقْنَا وَطَاغُوا مَنَائِهِمْ ذَلِكَ مَاخِطٌ لَنَا الْكَاتِبُ

واستشهد بالشام من بنى المغيرة سبعة وسبعون رجلاً في وقعة ، فقال خالد بن الوليد
بنفسى أنتم . زعم ابن خنتمة - يعنى عمر بن الخطاب - أن بنى المغيرة لا يُستشهدون .

* * *

قال المدائنى :

كان بالكوفة طاعون سنة خمسين ، فقال المغيرة بن شعبة لأبى موسى الأشعرى^(٢٢) :
انطلق بنا .

فخرج إلى (دابق)^(٢٣) من الطاعون ، فقال أبو موسى :

إلى الله أبقي لا إلى دابق .

فخرج المغيرة . فلما خف الطاعون ، قيل له :

لو رجعت إلى أهلك !

قال :

ما تريدون منى ؟

فلم يزالوا به حتى أقبل إلى الكوفة ، فقال :

كأنكم بالطاعون قد قتلنى^(٢٤) فى خصاص بنى عوف ، فطعن فمات . واستخلف
على الكوفة جرير بن عبد الله البجلي^(٢٥) .

* * *

(٢٢) أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس من قحطان صحابى جليل تاريخه فى الإسلام معروف
وأحد رواة الحديث حكّم بين على ومعاوية فوقع فى خديعة عمرو بن العاص توفى بالكوفة سنة
٤٤ هـ عن عمر ناهز الستين . (أنظر تقريب التهذيب : ١ - ٤٤١) .

(٢٣) ل : فلما خرج خف

(٢٤) ل : ختلنى : أى خدعنى والخصاص : جمع حُص وهو بيت من قصب أو شجر .

(٢٥) أبو عمرو جرير بن يزيد بن عبد الله من بجيلة قدم على رسول الله سنة عشر فأسلم وبايع ،
ولما قامت الفتنة بين على ومعاوية اعتزلهما وأقام فى الجزيرة وناحيها توفى سنة ٥١ هـ . تقريب

التهذيب : ١ - ٧

وقال أبو إسماعيل عن مجالد عن الشعبي أن صديقا لشریح خرج هاربا من الطاعون ، فأقام بالنجف^(٢٦) ، فكتب إليه شریح :
إن المكان الذى أنت به يمين من لا يفوته طلب ، ولا يُعجزه مهرب ، والمكان
الذى خلقت لا يُعجل امرءا إلى حمامه قبل أجله ، ولا يظلمه أيامه ، وأنت وهم على
بساط واحد ، وإن النجفة من ذى القدرة لقريب .

* * *

وقال أبو عاصم من ولد عباد بن زياد^(٢٧) :
كانت الطواغين بالشام كثيرة ، وكانت الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون ويهربون من
الريف فينزلون البرية خوفا من الطاعون .
فلما أراد هشام بن عبد الملك أن ينزل (الرصافة)^(٢٨) قيل له :
يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الخلفاء لا يطعمون ، ولم نسمع بخليفة طعن ولم نره .
قال :

أتريدون أن تُجربوا فى ؟
فتحول فنزل الرصافة ، وهى برية ، وبنى فيها قصرين .

* * *

قال^(٢٩) :
وكان عبد العزيز بن الوليد ينزل (أسيسا)^(٣٠) ، فقدم على أبيه بدمشق غلام للوليد ،
فقال الوليد لابنه عبد العزيز :
يابنى ، ارجع إلى منزلك .
فقال :

(٢٦) النجف : كذلك تسمى النجفة المكان المشهور بالعراق فيه قبر على بن أبى طالب .
(٢٧) عباد بن زياد بن أبيه أبو حرب كانت إقامته بالبصرة ومن القرين للأمويين توفى سنة
١٠٠هـ : تقريب التهذيب : ١ - ٣٩١ .
(٢٨) رصافة هشام بن عبد الملك فى غرى الرقة بناها لما وقع الطاعون . بالشام .
(٢٩) قال : زيادة من ل .
(٣٠) أسيس : ماء فى شرقى دمشق .

أبيت الليلة ، ثم أغدو^(٣١) .

قال :

عزمت عليك إلا رَجَعْتُ . فرجع ولم يدعه بيت .

* * *

قال أبو عبيدة عن أنى عمرو بن العلاء : إن رجلا من أهل البصرة أيام الطاعون الجارف - لما رآه قد كثر - أراد الهرب ، فعمد إلى حمار له فجعل عليه متاعه وغلّام له يناوله جهازه والغلّام يرتجز :

[مشطور الرجز]

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْمَةٍ مَطَّارٍ
قَدْ يُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي^(٣٢)

فقال له^(٣٣) الرجل

صدقْتَ . ثم حطَّ رحله وأقام ، فمات فيمن مات .

* * *

قال المدائني :

قال الحسن البصري - وذكر عنده الطاعون :

ما أحسن ما أبلى الله فيه : ارتدع مذنبٌ ، وأنفق ممسِكٌ ، ولم يُغلَطْ بأحد .

(٣١) ثم أغدوا : زيادة من ل

(٣٢) الميعة : الجرى السريع . مطّار : السريع العدو . والخبر في زهر الآداب : ٢ - ٩٩٥ .

(٣٣) له : من ل .

[ما قالوه عند الاحضار]

قال أبو الحسن المدائني عن جناب بن موسى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال :
لما احتُضِر رسول الله ﷺ جاءه جبريل عليه السلام فخيره بين البقاء في الدنيا أو المصير
إلى رحمة الله ورفعته إلى الله وتعجيل ما وعده^(١) .
فقال ﷺ : «بل الرفيق الأعلى» فكان يقول ذلك حتى قضى عليه السلام .
وأخبر المدائني عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن عروة عن عائشة قالت :
كنت أسمع أن النبي ﷺ لا يموت حتى يُخَيَّر فسمعتة يقول في مرضه ﷺ :
«الرفيق الأعلى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»
فظننت أنه خير فاختار الآخرة .

* * *

وقال خلاد بن عبيدة عن علي بن زيد عن الحسين قال :
قيل لأبي بكر في مرضه :
لو أرسلت إلى الطبيب !
فقال :
قد رأي
قالوا :
فما قال لك ؟
قال :

(إني فعال لما أريد)^(٢) وفي رواية : (إني أفعل ما أشاء) .

قال أبو محمد الناجي عن الحسن :

إن أبا بكر سمع عائشة رضي الله عنهما وهو في سكرات الموت وهي تقول :

[الطويل]

(١) وتعجيل ما وعده زيادة من ل

(٢) إني فعال لما أريد ، اقتباس من قوله تعالى : ﴿فعال لما يريد﴾ سورة البروج : ١٦ .

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(٣)

فقال :

يا بَنِيَّةُ : هلا قلت : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾^(٤) وقال
متمثلاً :

وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مُورِثُهَا وَكُلُّ ذِي سَلْبٍ مَسْلُوبُ
وَكُلُّ ذِي غِيَةِ يَوْوبٍ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوبُ^(٥)
وآخر ما تكلم به :

رب ﴿توفني مسلماً والحقني بالصالحين﴾^(٦) .

وقال أبو بلال الأشعري عن محمد بن عاصم الأسلمي عن موسى بن عُقْبَةَ الْمَدَنِيِّ قال :
كتب أبو بكر وصيته بيده وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به أبو بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند
أَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ دَاخِلاً فِيهَا ، حَيْثُ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ وَيَتَّقِي الْفَاجِرُ .. وَيَصْدُقُ
الْكَاذِبُ . إِنِّي أَسْتَخْلِفُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا .
فَإِنَّ عَدْلَ ذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ جَارَ وَبَدَّلَ فَالْخَيْرَ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا اكْتَسَبَ ﴿وسيعلم الذي ظلموا أَى مَنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٧) .

* * *

وقال عمرُ بنُ غِيَاثٍ عَنِ الْهَلَالِ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْرَطَتْ عَلَيْهِ الْحَمَى فِي وَجْعِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ قَالَتْ فَاطِمَةُ :
بَأْنِي وَأُمِّي ثُمَّ تَمَثَّلَتْ :

(٣) البيت لحاتم الطائي وقد سبق . (٤) سورة ق : ١٩ . (٥) البيتان لعبيد بن الأبرص

(٦) سورة يوسف : ١٠١ . (٧) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ
ثُمَّ أَلِ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ^(٨)

* * *

قال :

فَأَفَاقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

ذَلِكَ قَوْلُ عَمِكَ أَيْ طَالِبٍ . ثُمَّ قَالَ ﷺ :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٩)

* * *

قال أبو الحسن عن عاصم بن عمرو^(١٠) عن عبيد الله بن عمرو^(١١) عن زيد بن

أسلم^(١٢) عن أبيه عن جده أن كعب الأخبار^(١٣) قال لعمر بن الخطاب :

يا أمير المؤمنين أنت ميت في ثلاث أجْدُ ذلك في بعض الكتب :

قال :

أَتَجِدُ اسْمِي وَنَسَبِي ؟

قال :

لا ، ولكن أجْدُ صِفَتَكَ وَسِيرَتَكَ وَزَمَانَكَ .

(٨) ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ . حرف اللام وفي سيرة النبي لابن هشام من قصيدة طويلة منسوبة لأبي طالب .

(٩) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(١٠) عاصم بن عمر بن الخطاب ولد في حياة الرسول ﷺ ومات سنة سبعين وعمره ٦٤ سنة .

تقريب التهذيب : ١ - ٣٨٥ .

(١١) عبيد الله بن عمرو أبو وهب الأسدي من حفاظ الحديث ، وكان مفتي الجزيرة في عصره توفي سنة ١٨٠ هـ وقد زاد على الثانين . تقريب التهذيب : ١ - ٥٣٧ .

(١٢) زيد بن أسلم العدوي أبو عبد الله المدني ثقة عالم ، وكان يرسل مات سنة ١٣٦ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ٢٧٢ .

(١٣) كعب بن نافع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأخبار ثقة مخضرم كان من أهل اليمن فسكن الشام ومات في خلافة عثمان وقد جاوز المائة . أخذ عنه الإخباريون الكثير من الأخبار .

تقريب التهذيب : ٢ - ١٣٥ .

فقال عمر :

تَوَعَّدَنِي كَغَبْ ثَلَاثًا يَعُدُّهَا وَلَا شَكَّ أَنْ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَغَبْ
وَمَا بِيْ خَوْفُ الْمَوْتِ إِلَيَّ لَمَيِّتٌ وَلَكِنْ خَوْفُ الدُّلْبِ يَتَّبِعُهُ الدُّلْبُ

وقال هشام بن عاصم عن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال عند موته :
ليتني أنجو من هذا الأمر كفافاً لآلى ولا على . يا عبد الله ضع، خذى على الأرض ،
وَيْلَ لَعَمْرَ وَلَا مَ عَمْرَ إِنَّ لَمْ يَنْجِهْ اللَّه .

وقال الأصمعي : لما طعن العليج عمر ألقى ملحقة كانت عليه وقال : يا الله للمسلمين .
وقال الأصمعي أيضا :

لما طعن العليج^(١٤) عمر قال :

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(١٥)

* * *

وقال سعيد بن مسلم عن أبيه أن عثمان بن عفان رضى الله عنه يَوْمَ دُخِلَ عَلَيْهِ فَقُتِلَ ،
دعا بالمصحف فنشره ، فكان أول حرف نظر إليه : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾^(١٦) وتمثل

أَرَى الْمَوْتَ لَا يَتَّقِي عَزِيزًا وَلَمْ يَدْعُ
لِعَادِ مَلَائِكًا فِي الْأُمُورِ وَمَرْبَا
يُسِّتُ أَهْلَ الْحِصْنِ وَالْحِصْنُ مُغْلَقٌ وَيَأْتِي الْجِبَالَ مِنْ شَمَارِيخِهَا الْغَلَا

* * *

وقال أبو الحسن عن سعيد بن عبد العزيز السلمي عن أبيه أن الزبير^(١٧) قال لما طعنه
ابن جرموز :

(١٤) العليج : الأعجمي الكافر والمراد به أبو لؤلؤة المجوسى .

(١٥) سورة الأحزاب : ٣٣ . (١٦) سورة البقرة : ١٣٧

(١٧) أبو عبد الله الزبير بن العوام وأمّه صفية عمة النبی ﷺ من أوائل المسلمين بمكة وأحد العشرة
المبشرين بالجنة ، وزوج أسماء بنت أبى بكر قتله ابن جرموز ليلة يوم الجمل روى له البخارى وتوفى
سنة ٣٦ هـ وله من العمر ٦٤ . (انظر تقريب التهذيب : ١ - ٩

ماله - قاتله الله - يُذَكِّرُ بالله وينساه ! وذلك أن الزبير لما رآه هَمَّ به ، فقال له ابن جرموز :

أَذْكُرُكَ اللهُ ، فتركه ثم تَغَفَّلَهُ فطعنهُ وتمثَّلَ الزبير :
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِيَّ نَافِعِي أَنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ

* * *

وقال طَلْحَةُ بن عبيد^(١٨) الله يوم الجمل عند موته :
صَرَفَ الزُّبَيْرُ جَوَادَهُ أَلَى لَتَذَرِكُهُ وَقَائِلُهُ
ثم قال حين نزل به الموت :

تَالله ما رأيتُ كالْيَوْمِ مَصْرَعِ شَيْخٍ^(١٩) أَضْيَعَ وَتَمَثَّلَ :
أَرَى الْمَوْتَ أَغْدَادَ الثُّفُوسِ وَلَا أَرَى
بَعِيدًا غَدًا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ غَدٍ^(٢٠)

* * *

وقال يعقوب بن داود الثقفي عن الحسن بن بزيع :
إِنَّ عَلَى بن أُمِّي طَالِبَ خَرَجَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي ضَرَبَ فِيهَا فِي السَّجَرِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
أَشْدُّ حَيَازِيْمِكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَكِيَا
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حُلَّ بِوَادِيكَ^(٢١)
وضربه ابن مُلْجَم فقال :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٢﴾ .

وقال حين ضُرب :

(١٨) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة من كبار الصحابة خرج يوم الجمل للمطالبة بدم عثمان فقتل سنة ٣٦ هـ وله من العمر ٦٢ سنة . (انظر تقريب التهذيب ١ - ٢٧٩)
(١٩) ل : مصرع أسد . (٢٠) البيت لطرفة بن العبد .
(٢١) البيتان في الكامل : ٩٣٢ .
(٢٢) سورة البقرة : ٢٠٧

(فُزْتُ ورب الكعبة)
وكان آخر ما تكلم به أن قال :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ۖ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ﴿٢٣﴾

* * *

وقال أبو الحسن عن علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه :
إن معاوية قال في مرضه الذى مات فيه :

إن رسول الله ﷺ كسانى قميصا فرقعته ، وقلم أظفاره يوما فأخذت قلامتها فجعلتها
في قارورة ، فإذا مت فألبسونى ذلك القميص وقطعوا تلك القلامة واسحقوها وذروها
في عيني وفمي ، ثم أغشى عليه ، فقالت ابنته أو امرأة من أهله متمثلة : [الطويل]
إِنْ مَاتَ مَاتَ الْجُودُ وانقطع النَّدى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ
وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِخَلْفٍ مُجَدَّدٍ ﴿٢٤﴾

ثم أفاق فقال لمن حضره من أهله :
اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَفِي مِنْ اتِّقَاهُ ، وَلَا وَاقِيَةَ لِمَنْ لَا يَتَّقَى اللَّهَ .

وقال عوانة :

لَمَّا حَضَرَتْ مُعَاوِيَةَ الْوَفَاةُ قَالَ :

يوم من ابن الأدبر^(٢٥) طويل ! ثم تمثل :
لَقَدْ جَمَعْتُ لَكُمْ مِنْ جَمْعٍ ذِي حَسَبٍ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّرْحَالَ وَالنَّصَبَ^(٢٦)

ثم قال :

إِنِّكُمْ لَتَقْلِبُونَ حَوْلًا قُلُوبًا^(٢٧) ، إِنِّ نَجَا مِنْ كَبَّةِ النَّارِ فَهُوَ الرَّجُلُ .

(٢٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ (٢٤) ديوان الأخطل : ٢٨١

(٢٥) ابن الأدبر هو حُجْر بن عدى : صحابى شجاع تمرد على معاوية فقتله مكبلا في الحديد وفيه
تقول ابنته

أَلَا يَالَيْتَ حُجْرًا مَاتَ مَوْتًا وَلَمْ يَنْحَرْ كَمَا نَحَرَ الْبَعِيرَ

(٢٦) انظر تاريخ الطبرى : ٤ - ٢٤١ . (٢٧) الحول : ذى الحيلة . والقلب الذى يقلب الامور .

وفي غير هذا الإسناد أنه قال حين احتضِر لابنة قرظة^(٢٨) :
انْدُبيني

[الهزج]

فقلت :

أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا كُلُّ الْفَتَى فِيهِ
وقال لابنتيه :

قَلْبَانِي ، ففعلتا .

فقال :

[الكامل]

إنكما لتقلبانه حَوْلًا قُلْبًا إِنْ وُقِيَ كَبَّةُ النَّارِ . ثم تمثل :

لَا يَعْدُنْ رَيْعَةُ بَنٍ مُكْدَم

وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبٍ^(٢٩)

وقال سعيد بن بشر :

إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَيْلَةً قُبِضَ ، فَلَقِيَ فَسَمِعَ صَوْتَ قَصَّارٍ فَقَالَ :

ما هذا ؟

فأخبر

فقال حين ثقل :

ليتني كنت غسالاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم .

فقبل لأبي حازم :

إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ كَذَا وَكَذَا .

فقال :

الحمدُ لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ، وَلَا تَتَمَنَّى مَا هُمْ فِيهِ .

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد^(٣٠) عن أبيه أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ

(٢٨) إحدى زوجاته واسمها فاخته والبيت في الكامل : ١٢٦٩ .

(٢٩) البيت لحسان بن ثابت الكامل : ١٢٥١ .

(٣٠) عبد الله بن ذكوان المدني صدوق فقيه كثير الحديث توفي سنة ١٧٤ هـ (انظر تقريب

التهذيب : ٤٧٩ - ٤٨٠)

متمثلاً بقول الحارث بن عبّاد^(٣١) . [الرجز]

إِنَّ يَنْبَى صَيَّةً صَمَّارُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ
إِنَّ يَنْبَى غِلْمَةً صَيِّفُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَبْعُونَ
فقال له عمر بن عبد العزيز :

يا أمير المؤمنين : ﴿[قد] أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٣٢)

فقالها ، ثم قال :

أَسْأَلُكَ مُنْقَلَبًا كَرِيمًا .

ثم قضى .

* * *

وقال مسلم بن خالد^(٣٣) عن ابن أبي نجيح :

تَأَوَّهَ طَاوُسٌ^(٣٤) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ

فَقِيلَ لَهُ :

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَكُوتَ رَبِّكَ

فقال :

لَيْتَنِي أَخْرَجَ مِنْ مَرَضِي هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي .

* * *

وقال محمد بن جعفر عن أبيه :

دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي مَرَضِهِ

فبَكَى وَقَالَ :

(٣١) شاعر جاهلي من سادات العرب . والبيتان له (انظر فصل المقال ٢٢٩) والولد الصيفي هو الذي يولد للرجل الكبير السن . والرُّبْعَى : الذي يولد له في عنقوان الشباب .

(٣٢) سور الأعلى : ١٣ ، ١٤ .

(٣٣) الخزومي المكي المعروف بالزنجي ، فقيه صدوق وكثير الأوهام . مات سنة ١٧٩ . تقريب

التهذيب : ٢ - ٢٤٥

(٣٤) طاووس بن كيسان اليماني الفارسي يقال له زكوان ثقة فاضل من كبار التابعين تقشفا

في العيش وجرأة في وعظ الخلفاء والملوك مات سنة ١٠٦ هـ (انظر تقريب التهذيب : ١ - ٣٧٧)

أَبْكَى لِصِيبَاتٍ خَلَفَ هَذَا السِّرَ ، لَوْلَاهُنَّ لَهَانَ عَلَى الْمَوْتِ ، إِنْ لَمْ تُؤْمِنْ ، وَإِنْ لَتَائِبَ ،
وإن الله لغفور رحيم .

قُلْتُ :

رَحِمَكَ اللَّهُ فَالَّذِي رَجَوْتَهُ لِمَغْفِرَةِ ذَنْبِكَ فَارْجُهُ لِحَيْرِ بَنَاتِكَ

فَقَالَ :

صَدَقْتُ ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .

* * *

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَنْ معاوية بن محمد عن عبد الله بن بُجَيْرٍ قَالَ :

قَالَ عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه :

يَا أَبُةَ ، كُنْتُ تَقُولُ : لَيْتَنِي أَلْقَى رَجُلًا عَاقِلًا عِنْدَ نَزُولِ الْمَوْتِ بِهِ يَحْدِثُنِي مَا يَجِدُ .

وَقَدْ نَزَلَ بِكَ وَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَصَفَ لِي الَّذِي تَجِدُ

قَالَ :

يَا بَنِي لَكُنْ جَنبِي فِي تَحْتِ^(٣٥) ، وَلَكُنْ أَنْفَسَ مِنْ سَمِّ لِبَرَةٍ ، وَلَكُنْ غَصْنَ شَوْكٍ

يُجَرِّبُهُ مِنْ قَدَمِي إِلَى هَامَتِي ، ثُمَّ قَالَ مِمَثْلًا قَوْلَ أُمِيَّةَ بِنِ أُمِّ الصَّلْتِ^(٣٦) :

[الْخَفِيفُ]

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي

فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا

وَاللَّهُ ، لَيْتَنِي كُنْتُ حِيضَةً عَرَكَهَا الْإِمَاءُ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَقَالَ :

اللَّهُمَّ إِنِّي لَسْتُ ذَا قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرْ ، وَلَا ذَا بَرَاءَةٍ فَأَعْتَذِرُ . اللَّهُمَّ إِنِّي مُقَرَّرٌ مُذْنَبٌ مُسْتَغْفِرٌ .

وَقَالَ عَوَانَةُ :

قَالَ عمرو بن العاص عند موته : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فَلَمْ نَأْتِ بِكَ ، وَزَجَرْتَنَا فَلَمْ نَزِدْجِرْ .

فإِذَا لَا نَعْتَذِرُ ، وَلَكِنَّا نَسْتَغْفِرُ .

(٣٥) التَّحْتَ : وَعَاءٌ [مِنْ خَشَبٍ] تَصَانُ فِيهِ الثِّيَابُ . الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ : ١ - ٨٢

(٣٦) أُمِيَّةُ بِنْتُ أُمِّ الصَّلْتِ بِنْتُ أَبِي رِبْعَةَ مِنْ ثَقِيفٍ ، كَانَتْ تَاجِرًا أَمِينًا كَانَتْ يُعْتَقَدُ وَجُودُ اللَّهِ ، وَكَادَ

أَنْ يُسْلِمَ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ لَوْلَا مَوْقِفُ ثَقِيفٍ مِنَ الْعَدَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ سَنَةً

سَبْعَ أَوْ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ (انْظُرْ تَارِيخَ الْأَدَبِ لِعَمْرِ فُرُوحَ ١ - ٢١٦ ، ٢١٧

وقال يعقوب بن عوف بن عبد الملك بن ثوفل :
لما نزل بالمغيرة بن شُعْبَةَ الموتُ قال :
اللهم ، هذه يدى بايعتُ بها نبيك ، وجاهدت في سبيلك فاغفر لى ما يعلمون من
ذنوبى ومالا يعلمون .

* * *

وقال أبو الحسن عن مَسْلَمَةَ بن محارب :
لما نُقِلَ زياد^(٣٨) قَدِمَ عليه الهيثم بن الأسود التَّخَعَّى بعهدِهِ على الحجاز فقبل له ، فقال :
شربة من ماءٍ أُسِفُّهَا أَجْدُ طَعَمَهَا أَحَبُّ . إلئى مما جاء به الهيثم .

* * *

وقال علئى بن مجاهد عن محمد بن إسحاق^(٣٩) عن الزُّهْرَى^(٤٠) قال أبو العباس وحدثنى
بعض هذا الحديث ، وزاد عليه شيئا العباس بن الفرّج الرِّياشى قال :
أُغْمِى على أمية بن أبى الصلت في مرضه الذى مات فيه وهو يقول :
لَيْيَكُمَا لَيْيَكُمَا ، هأنذا لديكما لا برىء فأعتذر ، ولا ذوقوة فأنتصر ثم أُغْمِى عليه ،
ثم أفاق وهو يقول : لَيْيَكُمَا لَيْيَكُمَا هأنذا لديكما لا مالٌ يَفْدِينِى ، ولا عشيرة تحمىنى .
وأغْمِى عليه ثم أفاق وهو يقول لَيْيَكُمَا لَيْيَكُمَا هأنذا لديكما محفوف بالنعم . [الرجز]
إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَنْتَى غَبْدٌ لَكَ لَا أَلَمَّا
ثم قال [الخفيف]

كُلُّ عَيْشِرٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ يَوْمًا قَصْرُهُ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَى كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي زُرُوسِ الْجُبَالِ أَرْغَى الوعولا

(٣٧) الحيضة : الحفرة تضعها المرأة لتلقى دم الحيض . المعجم الوسيط : ١ - ٢١١
(٣٨) هو زياد بن أبيه ولى إمرة فارس لعل بن أبى طالب والعراق جميعه لمعاوية وتوفى سنة ٥٣ هـ
حوالى ٥٣ سنة .

(٣٩) محمد بن إسحاق بن يسار من أقدم مؤرخى العرب ، من أهل المدينة توفى ببغداد سنة ١٥١ هـ .
(٤٠) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري من قریش أول من دون الحديث وأحد كبار
الحفاظ والفقهاء تابعى مات سنة ١٢٤ هـ .

اجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ واحْذَرْ
غَوْلَةَ الدَّفْرِ إِنَّ لِلدَّفْرِ غَوْلًا^(٤١)

* * *

قال أبو الحسن عن إسحاق بن أيوب :
إنَّ عبد الله بن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت بُشِّرَ بقدوم مالٍ له كثيرٍ كان
له بمصرَ ، فقال :
مالى وله! لَيْتَهُ كان بَغْرًا حائلاً بنجد .

* * *

وقال عوانه :
قال نافعُ بنُ علقمة^(٤٢) حينَ حُضِرَ : لَيْتَ القرابة التى كانت بينى وبين مروان كانت
بينى وبين رجلٍ من الزُّنَجِ ، ولم أدخلْ فى شىءٍ من هذا الأمرِ .
وقال أبو الحسن عن الحسن بن دينار :
كان الحسن البصرىُّ يغمى عليه ثم يُفِيْقُ فيقول :
ساعةٌ صبرٍ واحتسابٍ وتسليمٍ لأمرِ الله عز وجل حتى مات .

* * *

قال :
وكان محمد بن سيرين يقول وهو فى الموت : فى سبيلِ الله نفسى أعزَّ الأنفسِ على
حتى هلك .

* * *

وقال يحيى بن زكريا^(٤٣) عن أبيه : إن الشعبي قال وهو بالموت : اشهدوا أنى قد
احتسبتُ نفسى عند الله تعالى .

* * *

(٤١) الأغاني : ٤ - ١٣٢ .

(٤٢) نافع بن علقمة بن فضالة بن صفوان خال مروان بن الحكم وكان والياً على مكة المدينة .

(٤٣) يحيى بن زكريا أبو سعيد من الفقهاء المحدثين ولى قضاء المدائن توفى سنة ١٨٢ هـ .

وقال قيس بن الربيع :

بلغنى أن ابراهيم التَّحَمَّى بكى عند الموت فقليل له :

ما ييكيك ؟

قال :

ولم لا أبكى ؟ وإنما أنتظر مُبَشِّرًا يُبَشِّرُنِي بِالْجَنَّةِ أو النار . والله لوددت أنَّها تجلجل في صدري إلى يوم البعث .

* * *

وقال حَفْصُ بن ميمون عن يونس و غيره عن الحسن أنه قال :

إذا كان يومُ القيامة قيل لمن كان يُحَدِّثُ بِالرُّخْصِ :

لَمْ حَدِّثْمْ عِبَادِي بِالرُّخْصِ ؟

قالوا :

سمعناك تذكر أن رحمتي وسعت كلَّ شيء ، وأنتك تغفرُ الذنوبَ غيرَ الشُّركِ ، فحدثناهم لِيَشْكُرُوكَ ، ولا يَقْنَطُوا من رحمتك .

فيقول لهم جلَّ جلاله :

قد جعلت ثوابكم على ذلك الجنة .

* * *

وقال أبو الحسن :

بَلَّغْنِي أن سليمان التُّيمِي^(٤٤) قال لابنه وهو بالموت :

يا بُنَيَّ حَدِّثْنِي بِالرُّخْصِ حتى ألقى الله وأنا له راجع .

وقال أبو الحسن عن أبي محمد الناجي قال : قال حذيفة^(٤٥) وهو بالموت :

حبيب جاء على فاقة ، لا أفلاح من ندم ، الحمد لله الذى سبق لى^(٤٦) الفتن أليس بين يديَّ ما أعلم .

(٤٤) سليمان بن طرخان البصرى ، كان من العباد النساك .

(٤٥) حذيفة بن اليمان أبو عبد الله ، صحابى من الولاة الشجعان الفاتحين توفى بالمدائن سنة ٣٦ هـ .

تقريب التهذيب : ١ - ١٥٦ .

(٤٦) م . الحمد لله سبق فى الفتن وهو تحريف صوبناه من : ل .

وقال النَّضْرُ بن إِسْحَاق :

قيل للحسن : إن الحجاج قال عند الموت :

(اللهم إن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي . اللهم فاغفر لي ذنوبي فإنها صغيرة في جنب عفوكم) .

فقال الحسن :

أقأها ؟

قال :

نعم

قال :

عسى

* * *

وقال أبو الحسن عن سلمة بن محارب قال :

قال مسلمة بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز :

أوصني إلى بينيك أو ألا توصي إلي بينيك ؟

فقال :

(أوصني بهم إلى^(٤٧) الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . ونظر إلى ولده فقال :

بنفسي فتية أفقرتهم^(٤٨) من هذا المال ، ثم قال :

نعم المَذْهُوبُ إليه ربي .

وقرأ قارئ من ناحية البيت : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا

فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤٩) فقالها عمر ، ثم قضى

* * *

وقال عوانة :

(٤٧) م أوص إلى .

(٤٨) م أفقرت أفوامهم .

(٤٩) القصص : ٨٣

قال الوليد بن عقبة^(٥٠) عند الموت وهو بالبليخ من أرض الجزيرة^(٥١) :
(اللهم إن كان أهل الكوفة صدّقوا عليّ فلا تُلقِ روحي منك رَوْحًا ولا رَيْحَانًا^(٥٢) ،
وإن كذبوا عليّ فلا تُرضِهم بأمر ، ولا تُرضِ أميرًا عنهم ، وانتقم لي منهم ، واجعله
كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي .

* * *

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان :
دخل عمر بن عبد العزيز على رجل وهو يجود بنفسه فقال له :
استغفر الله

فقيل له :

يا أبا حفص لو لقتته شهادة أن لا إله إلا الله .

فقال عمر :

إنَّ لا إله إلا الله من ذنبه ، وله ذنوب يستغفر الله منها ، وإذا استغفر الله وحده ، وإنَّ
المستغفر الخائف بعرض خير .

* * *

وقال أبو الحسن المدائني عن المنهال بن عبد الملك مولى بنى أمية :
حبس هشام بن عبد الملك عياض بن مسلم - كاتب الوليد بن يزيد - وضربه وألبسه
المسوح ، فلم يزل محبوسا مدة هشام ، فلما ثقل هشام وصار في حدٍّ من لا يرجى
برؤه رَهَقَتْهُ غَشِيَةٌ ، فظنوا أنه قد مات ، أرسل عياض بن مسلم إلى الخُزَّان أن احتفظوا
بما في أيديكم ، فلا يَصِلَنَّ أحدٌ إلى شيء ، وأفاق هشام من غَشِيته ، فأرسل يطلب
من الخُزَّان شيئا فَمُنِعَ .

فقال هشام :

(٥٠) أبو وهب الوليد بن عقبة الأموي القرشي أخو عثمان بن عفان من أمه ولاء الكوفة بعد سعد
بن أبي وقاص ، توفي بالرقعة سنة ٦١ هـ . (انظر الأعلام : ٥ - ١٠٣) .
(٥١) البليخ موضع بالرقعة يسير إلى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبد الملك حصنا . معجم
البلدان : حرف الباء .
(٥٢) روح وريحان : الرُّوح : الرحمة . والريحان : كل نبات طيب الرائحة .

أرانا كنا خُزَّائًا للوليد ، فخرج عياض من ساعته من الحبس ، فختم الأبواب والخزائن ، وأمر بهشام فأنزل عن قُرْشِهِ ، ومنعهم أن يُكفَّنُوهُ من الخزائن . فكفَّنه غالب ، مولى هشام ، ولم يجدوا قَمَقْمًا يُسَخِّن فيه ماء حتى استعاروه ، فقال الناس : إن هذه لعبرة لمن اعتبر

* * *

قال أبو الحسن عن عبد الله بن قائد من أشياخ بنى تميم قالوا : خرج إياس بن قتادة^(٥٣) يوم الجمعة من المسجد فنظر في السماء ثم قال : مرحبا بك ، قد كنت أنتظر مجيئك ! ثم سقط فَحْمِلٌ إلى أهله ، فمات . فحمل إلى ملحوب^(٥٤) فدفن بها ، فيها قبره .

* * *

وقال أبو المنذر عن عمه عامر بن حفص قال : قيل للربيع بن خُثَيْم حين ثقل : ألا ندعو لك أصحاب الطُّب ؟ قال :

قد أردتُ ذاك ، ثم ذَكَّرْتُ عَادًا وثمود وأصحاب الرُّسِّ وقرونا بين ذلك كثيرا ، وعلمتُ أنه كان فيهم الداء والمداوى . فهلكوا جميعا .

* * *

وقال أبو مخنف :

مرض معبد بن طُوق العبيري^(٥٥) فجزع فقليل له : كأنك تخاف الموت !

فقال :

أنى والله ، ما أَمْرَضُ إلا خفتُ ذاك .

قيل له :

(٥٣) إياس بن قتادة المجاشعي ابن أخت الأحنف بن قيس . صفة الصفوة : ٣ - ١٤٤
(٥٤) ملحوب : اسم ماء لبني أسد بن خزيمية . وقيل : اسم موضع .
(٥٥) معبد بن طوق العبيري يُكنى أيا أبو أسد من أعراب بادية البصرة شاعر جيد الشعر .

وَلِمَ ؟

قال :

لأنى قد استأنيت احتضار المدة ، وانقضاء العدة ، وتام الظمأ ، واتجاه القرب .

* * *

وقال عوانة عن الأسود بن عبيد :

قال أبو قيس بن الأسلت عند الموت : (اللهم إني لم أقطع رَحِمًا ، ولم أشرب
بإِناء غادر ، ولم أصبُ بِكَنَّةٍ^(٥٦) ، ولم أبت ليلةً جُنُبًا حتى أصبح فاغفر لي) .

* * *

وقال الجرمازى :

هَلَكَ لرجلٍ من أهل البادية ابنان ، فسئل عن جَزَعِه عليهما فقال :
كنت أتوهمهما حتى كأن الأرض تُثَشِّقُ عنهما فأنظر إليهما .

قيل له :

مَهْ ؟

قال :

ثم كان جُرْحًا فبرأ .

* * *

وقال أبو الحسن :

أخبرني بعضهم قال : أتيت امرأةً أعزَّيها عن ابنها ، قال :
فجعلت تُثَنِّى عليه قالت :

كان - والله - مَالَةٌ لغير بطنه ، وأمرُهُ لغير عِرسه وَكَانَ :

[الطويل]

رَحِيبَ الدَّرَاعِ بِالنِّسْيِ لَا تُشِينُهُ

وإن كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا دَرْعَا

قال :

فقلت لها : هل لك منه خَلَفَ ؟ - وأنا أعنى الولد -

(٥٦) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

قالت :

نعم بحمد الله كثير ، طيب ثواب الله عليه ، ونعم العوض من الدنيا والآخرة .

* * *

وقال :

دخل درواس بن حبيب العجلى على جعفر بن سليمان^(٥٧) يعزيه بأخيه محمد بن سليمان ، فلما نظر إليه جعفر قال :

إن كان عند أحد فرج فعند درواس .

فسلم ثم قال :

أيها الأمير ، اتمس ثواب الله بحسن العزاء ، والشكر لأمر الله واذكر مصيبتك في نفسك تنسبك فقد غيرك ، واذكر قول النبي ﷺ :

«من أصابته مصيبة فليذكر مصييته لي فإنها من أعظم المصائب»^(٥٨)

واذكر قول الله عز وجل لنبيه ﷺ :

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٥٩) وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾^(٦٠) .

وخذ بقول عبد الله بن أراكة في أخيه عمرو :

تَفَكَّرْ فَإِنْ كَانَ الْبَكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَأَجْهَدُ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرُو
وَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ عَلَى وَعْجَاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ^(٦١)

* * *

قال :

وهلك أخ لبعض الأعراب فأظهر له الشمامة بعض بنى عمه ، فأنشأ الأعرابي يقول :

[الكامل]

(٥٧) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الملك ابن عم السفاح والمنصور المعارف : ١٦٤ .

(٥٨) مر تخرج الحديث في المقدمة .

(٥٩) سورة الزمر : ٣٠ .

(٦٠) سورة الأنبياء : ٣٤ .

(٦١) سبق التعريف بعبد الله بن أراكة والأبيات في المقدمة .

وَلَقَدْ أَقُولُ لِدَى الشَّمَائَةِ إِذْ رَأَى

جَزَعِي وَمَنْ يَذُقِ الْفَجِيعَةَ يَجْزَعُ

اشْمَتَ فَقَدْ قَرَعَ الْحَوَادِثُ مَرَوْتِي وَأَفْرَحَ بِمَرَوْتِكَ الَّتِي لَمْ تُقَرَعَ
قال :

وهلك أخ لبعض الأعراب فأظهر له الشماتة بعض بنى عمه ، فأنشأ الأعرابي يقول :
[الكامل]

إِنْ تَبَقَّى تُفَجِّعُ بِالْأَجْبَةِ كُلَّهُمْ أَوْ تُرْدِكِ الْأَحْدَاثَ إِنْ لَمْ تُفَجِّعِ^(٦٢)
قال :

ومات بنون لامرأة تباغاً فكلمنها ، فحدثتنا ساعة ، ثم ضحكت فقالت لها امرأة :
أتضحكين ! أجنون بك أم قند^(٦٣)
قالت : لا ، وأبيك - ولكن الشر لم يجد لي مزيداً .

قال أبو الحسن المدائني :

أنشد ابن كنانة :

لَا تُجْزَعِي يَا أُمَّ زَيْدٍ فَإِنَّهُ سَتَأْتِي الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلٍ
فَلَوْلَا الْأَسَى مَا بَثَّ فِي النَّاسِ لَيْلَةٌ وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلُ^(٦٤)

* * *

وقال محمد بن كنانة^(٦٥) عن حُشَافِ الْفَقَّعَسِيِّ قال :

حدثتني أُمِّي قالت : دخلت علينا عجوزٌ للحى اسمها بادية ورحالٌ إخوتي ثمانية في جانب
البيت - فقالت لي :

لِمَنْ هَذِهِ الرَّحَالُ ؟ أَنْزَلَ بِكُمْ اللَّيْلَةَ رَكْبٌ ؟

(٦٢) الأبيات لابن عبد الأعلى يريث بها سليمان بن عبد الملك .

(٦٣) الفند الحرف والخطأ في الرأي والقول . المعجم الوسيط : مادة فند .

(٦٤) البيتان من خمسة أبيات قالها الحريث بن زيد الخيل (انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ج ١ ص :
٣٥٠ ط . صبيح .

(٦٥) ابن كنانة محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المدني ، له علم بالعربية والشعر وأيام الناس توفي
بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ ، وله من العمر ٨٤ سنة .

قلت :

هذه رحال إخواني

فقلت :

لقد ولدت لك أمك حزناً طويلاً .

قالت :

وصدقت بادية ، ذهبت نفسي عليهم قطعاً ، وأنشدت :

[الكامل]

ذَهَبُوا بِنَفْسِي الْفُسَا إِذْ فَارَقُوا

فَالْمَيْشُ بَعْدَ مُنْعَصٍ مَذْمُومٌ

* * *

وقال عمر بن غياث :

أخبرني الثقة قال : دفن أعرابي ابناً له ، فلما أجهَّه وقف على قبره ، وأنشأ يقول :

[الكامل]

لَمَّا مَشَى وَرَجَوْتُهُ لِقْدِ وَطَمَعْتُ أَنْ يَقْوَى بِهِ أَزْرِي

وَيَكُونُ مِنْ أَغْمَامِهِ خَلْفًا فَيَقُومُ بَعْدَ تَأْطُرِ ظَهْرِي

قَدْ كَانَ يَضْرِبُ مَنْ مَضَى مَثَلًا وَجَدَ التَّكْوِلَ وَكُنْتُ لَا أَذْرِي

مَا ذَاكَ حَتَّى دُقْتُ لَوْعَتُهُ فَأَلَدْتُ مِنْهَا لَوْعَةُ الضَّرِّ

* * *

وخرج رجل^(٦٦) مع خالد بن الوليد فأستشهد بدومة الجندل^(٦٧) ، فجزع عليه أبوه

فبكاه حتى كثر عليه بكأؤه ، فليتم في ذلك وعوتب فقال :

دَعُونِي أَبْكِي مَا عَلَيْهِ أَسْعَدَتْنِي عَيْنِي ، فَإِنَّ دُمُوعَهَا سَتَنْقُدُ وَتَبْلِي كَمَا ذَهَبَ نَافِعٌ وَبَلِي .

[الكامل]

وقال يرثيه :

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تُغْمَضُ سَاعَةً إِلَّا اغْتَرَبْتُ عَبْرَةَ تُغْشَانِي

(٦٦) نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي . هامش التمازي : ٥٠ .

(٦٧) دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طى في نجد . التمازي : ٥٠ .

أَرَعَى لُجُومَ اللَّيْلِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَفَقَا وَهْنُ مِنَ الْفِيَارِ دَوَانٍ (٦٨)
يَانَا فَعَا مِنْ لِلْقَوَارِسِ أَخْجَمَتْ عَنْ شِدَّةِ مَذْكُورَةٍ وَطَعَانٍ؟
فَلَوْ اسْتَطِيعَ جَعَلْتُ مَتَى نَافِعَا بَيْنَ اللَّهِاءِ وَبَيْنَ عَكْدِ لِسَانِي
يَانَا فَعَا مِنْ لِلْقَوَارِسِ إِذْ ثَوَرَا فِي يَوْمِ بُوسٍ أَوْ يَوْمِ لِسَانٍ (٦٩)

* * *

قال أبو الحسن :

حدثني كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة قال : أصيب عمرو بن كعب التهدي
بُتْسْتَر (٧٠) مع مجزأة بن ثور (٧١) فكنتموا أباه الخبر ، ثم عَلِمَ بَعْدُ ، فلم يجزع وقال :
الحمد لله الذي جعل من صُلْبِي من أصيب شهيدًا وقال : [الوافر]
فَهَلْ تَغْدُو الْمَقَادِرُ يَالْقَوْمِي هَلَاكَ الْمَالِ أَوْفَقَدَ الرُّجَالِ؟
فَكُلًّا قَدْ لَقِيتُ وَقَلْبِي صُرُوفُ الدَّهْرِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
فَمَا أَبْقَيْنَ مِنِّي غَيْرَ نَضْرٍ بِهِ أَثَرُ الرُّحَالَةِ وَالْجِبَالِ
عُرُوفُ كُلِّمَا جَلَبَتْ قُرُوحَ بِهِ لُكَيْتُ بِأَعْدَالٍ تُقَالُ
ثم استشهد ابن له آخر يقال له (حَمَل) مع سعيد بن العاصي بجرجان قبله فقال :
الحمد لله الذي توفي متى شهيدًا ، وقال : [الطويل]

جَزَى حَمَلًا جَازَى الْعِبَادِ كَرَامَةً

وَعَمَرُو بَنِ كَعْبٍ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا
خَلِيلِي وَابْنِي اللَّذِينَ تَتَابَعَا شَهِيدِينَ كَانَا عِصْمَتِي وَرَجَائِيَا
وَمَنْ يُعْطِهِ اللَّهُ الشَّهَادَةَ يُعْطِهِ بِهَا شَرَفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلِيَا

* * *

وقال محمد بن كناسة :

(٦٨) الوهن : نحو منتصف الليل (انظر التعازي)

(٦٩) الخير في التعازي : ٥٠ .

(٧٠) تستر : مدينة كبيرة في خوزستان .

(٧١) مجزأة بن ثور السدوسي صحابي من شجعان الفاتحين فاضل قتل في أيام عمر . التعازي : ١٨ .

زَوْجَ زَبَّانٍ بن منصور الحسن بن علي بن أبي طالب خولة ابنة زبان ، فمكثت عنده
حَوْلًا لَا تَذْهَن وَلَا تَكْتَحِلُ حَتَّى وَضَعَتْ لَهُ ابْنًا ، فَانْكَحَلَتْ وَتَهَيَّأتْ لَهُ .

فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ :

مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟

فَقَالَتْ :

كَرِهْتُ أَنْ تَقُولَ النِّسَاءُ احْتَفَلْتُ فَلَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا : فَأَمَّا إِذَا جَاءَ هَذَا فَلَا أَبَالِي مَا كَانَ .

فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ : وَابْأَيَّ أَنْتِ !

فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ اشْتَدَّ حُزْنُهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ زَبَّانُ :

[الكامل]

لُبَيْتُ خَوْلَةَ أَمْسٍ قَدْ جَزَعَتْ مِنْ أَنْ تُثَوِّبَ نَوَائِبُ الدُّهْرِ
لَا تُجْزَعِي يَا خَوْلُ وَاصْطَبِرِي إِنَّ الْكَرَامَ بُنُوا عَلَى الصَّبْرِ

* * *

وَقَالَ : وَخَبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ بَجِيلَةَ [حَى بِالْيَمَنِ] عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْعَبْرِ يُقَالُ لَهَا مَبْدِيَّةُ .

قَالَ : وَكَانَ لَهَا بَنُونَ وَإِخْوَةٌ فَمَاتُوا حَتَّى بَقِيَ لَهَا ابْنٌ فَمَاتَ فَقَالَتْ : [الوافر]

أَمْتَجَابُ الْأَكَارِمِ مَنْ لِرَكْبٍ أَنَاخُوا جَنَبَةً وَذَنُوزُوا أَصِيلًا
أَمْتَجَابُ الْأَكَارِمِ عُدْ إِلَيْنَا لِكُنَى نَشْفِي بُرُؤَيْكَ الْقَلِيلَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ لِلرَّكْبِ سِيرُوا وَلَمْ تُرَحِّلْ عُدَا فِرَةً ذَمُولَا^(٧٢)

* * *

وَقَالَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ :

(الخير الذي لَا شَرَمَعه الشُّكْرُ مَعَ الْعَافِيَةِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ فَكُمُ مِنْ مُنْتَعِمٍ عَلَيْهِ غَيْرُ

شَاكِرٍ ، وَمُبْتَلَى غَيْرُ صَابِرٍ) .

* * *

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ :

(٧٢) ل : الْعُدَا فِرَةُ : الْعَظِيمُ الشَّدِيدُ مِنَ الْإِبْل . وَذَمَل : سَارَ سِيرًا لَنَا .

قال جهم بن حسان : بلغني أن ثوسعة بن ألى عتبان^(٧٣) جزع على أخيه عتبة فقال ييكه :

[الكامل]

مَنَعَ الرُّقَادُ ثُحُوبِي مَا أَهْجَعُ وَتَبَا بِجَنِّي عَنْ فِرَاشِي مَضْجَعُ^(٧٤)
أَعْيَبَ قَدْ كُنْتُ امْرَأًا لِي جَانِبَ حَتَّى رُزِيتُكَ وَالْجُدُودُ تَضْغَعُ
فَلَمَنْ أَقُولُ إِذَا تِلْمٌ مُلْمَةٌ أَرِنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إِلَى مَنْ أَفْرَعُ؟
قَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا فَتَظَرْتُ قَصْدِي وَاسْتَقَامَ الْأُحْدَعُ^(٧٥)
وَقَلَّدْتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ بِقُرْبِهِمْ أَعْطَى الدَّيْنَةَ مَنْ أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
نِعَمَ الْفَتَى مِنْ آلِ بَكْرِ الْأَسْبَا أَنْوَابُهُ فِي اللَّحْدِ ثُمَّ تَصَدَّعُوا
عَنْهُ وَمَا طَابَتْ بِذَلِكَ نَفْسُهُمْ وَلِكُلِّ جَنْبٍ لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ^(٧٦)

* * *

وجزعت عليه أخته عمرة^(٧٧) فقالت :

قُلْ لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى قَدْ ثَوَى فَلْتَبْكِ أَعْيُنُهَا عَلَى عَنَابِ
أَوْدَى ابْنُ كُلِّ مُخَاطِرٍ بِسَلَادِهِ وَبِنَفْسِهِ بُقْيَا عَلَى الْأَخْسَابِ
الرَّاكِبِينَ مِنَ الْأُمُورِ صُدُورَهَا لَا يَرْكَبُونَ مَعَاقِدَ الْأَذْنَابِ^(٧٨)

* * *

قال أبو الحسن :

قال الهلالي : أغمى على سعيد بن المسيب فَوَجَّهَ ثُمَّ أَفَاقَ فقال :

ما هذا ؟

فقليل له ...

فقال :

(٧٣) ابن ألى عتبان . التعازي : ٤٩

(٧٤) التحوب : التوجع والجزى .

(٧٥) الأحدع : عرق في العنق .

(٧٦) الخير في التعازي ٤٩ .

(٧٧) من ل والتعازي أخته عمرة

(٧٨) الخير في التعازي : ٤٩ ، ٥٠ .

أوليس وجهي لله عز وجل ذكره حيث كان !

وقال الهلالي :

كان عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إذا وقف على قبر بكى فقليل له :
يا أمير المؤمنين إنك لتبكي عند القبر بكاءً ما تبكيه عند شيء ؟

فقال :

نعم ، إنه آخر منازل الدنيا ، وأول منازل الآخرة ، فإن شدد على صاحبه فما بعده
أشدُّ وإن هون على صاحبه^(٧٩) فما بعده أهون . سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما
رأيت منظراً قط إلا والقبر أفضع منه»^(٨٠) .

وقال الهلالي :

لما حضرت معاوية الوفاة ، قيل له :
قل : لا إله إلا الله . فضعف عنها . ثم قيل له فضعف ، فثلث عليه فقال :
أولست من أهلها !

قال الهلالي :

أثنى قوم على عزف الأعرابي وهو في الموت فقال :
(يا قوم أمدونا بالدعاء^(٨١) ، وأعفونا من الشاء) .

(٧٩) م : عليه

(٨٠) الترمذي : باب فطاعة القبر ٤٧٩ رقم ٢٣٠٨ - رواية عثمان بن عفان .

(٨١) ل : أمدونا بالدعاء .

ذِكْرُ الْجُفَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : ونذكر الجفأة عند الموت .
قال علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن ابن إسحاق عن الزُّهري إن رسول الله ﷺ
قال لأبي طالب وهو في الموت :
ياعم ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند ربي .
قال :
ياابن أخي ، لولا أن تكون سبةً عليك بعدى لأفرت بها عَيْنُكَ .

* * *

وقال : قال الزُّهري :
مر عبد الله بن مسعود^(١) بأبي جهل^(٢) فقال :
الحمد لله الذى أخزأك ياعدو الله .
قال :
ياابن أم عبد ، ما أخزاني الله . لستُ بأول سيد قتله قومه إنَّ أشد من ذلك عليّ ألا
يكون وَلِيّ ذلك مني ما تريد أن تليه رجل من صميم المطيبين^(٣) ، فوضع ابن مسعود
رجله على عنقه فقال [أبو جهل] :
أُرْوِيْعِيًّا^(٤) بالأمس بمكة ! لقد ارتقيت مرتقى صعبا .

* * *

-
- (١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل من أوائل الصحابة الذين أسلموا بمكة ، خادم
النبي ﷺ ، ورفيقه ، وصاحب سره ، ومن كبار العلماء ، مناقبه جمّة ، أمره عمر على الكوفة ،
توفى بالمدينة سنة ٣٢هـ تقريبا التهذيب : ١ - ٤٥٠
- (٢) عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أشد أعداء الإسلام والمسلمين ، قتل يوم غزوة بدر ، أجهز
عليه ابن مسعود .
- (٢) المطيبون : حلف في الجاهلية ، تعاهد فيه بنو عبد مناف على أخذ مافي يَدَي بني عبد الدار
من الحجابة وغيرها ، وتطيبوا لذلك .
- (٤) الرويعي : تصغير الراعي ، وقد كان عبد الله راعيا في صغره والتصغير هنا للتحقير .

قال أبو العباس : قال أبو الحسن :

سئل وكيع ابن الدُّورِقيَّة^(٥) :

كيف قتلت عبد الله بن خازم^(٦) ؟

قال :

قعدت على صدره ، وغلبته بفضل فتائ^(٧) كان لى عليه . وناديت :

يا لثارات (دُوَيْلَة) يعنى أخاه من أمه . وكان دُوَيْلَة أخوا وكيع من أمه ، قتله عبد الله .

قال : وكنت طعنته فى شِدْقِهِ ، فجمع ما كان فى فيه من الدَّم والرَّيْق فتنخم به ، فملأ

وجهى وقال :

قبحك الله ، أتقتل كبش مضر بأخر لك لا يساوى كَفَّ نَوَى

قال :

فكان ابن هبيرة يقول :

هذه والله البسالة ، لقد رته على كثرة الريق عند الموت .

* * *

وقال عبد الله بن قائد :

كان طريف بن نافع الباهلى عالما بالنسب ، فلما ثَقُل قال لقومه وهو فى الموت ؟

بُلُّوا فمى بماء ، فعصروا فى فيه ماء بقطنة . ثم قال :

أجلسونى ، فأجلسوه فقال :

فلان ليس لأبيه الذى يُدعى له :

فقل له :

أتقول هذا وأنت فى هذه الحال !

(٥) وكيع بن عمير القريشى السعدي المعروف بابن الدورقية ، وهى أمه كانت من سبى (دُورَق)

وهى بلدة بخراسان ، وويع هذا هو الذى تولى قتل عبد الله بن خازم الخارج على عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ .

(٦) عبد الله بن خازم السلمى البصرى هو أمير خراسان من قبل بنى أمية انضم إلى عبد الله بن

الزبير لما خرج على عبد الملك ، قتله وكيع توفى سنة ٧٢ هـ (الرسالة)

(٧) فتاء من الفتوة والمقصود هنا : الشجاعة (راجع إن شئت كتابنا الفتوة فى الإسلام : ص ١٥)

فقال :

خِفتُ أن أُموت وأنتم في شك منه .
ثم أضجعوه فمات .

* * *

وقال يعقوب بن عوف عن عبد الله بن أبي بكر أن بَجْرَةَ بن فِرَاس القُشَيْرِيّ قِيلَ له -
وقد نزل به الموت :

قل لا إله إلا الله

فقال :

أشهد أن أبا الزاهرية أو أبا حرب كان نعم الفارس يوم النُخَيْل^(٨) ثم مات .

* * *

وقال عَوَّاثَةُ :

قال الحجاج لوزاع بن ذُوَالَةِ الكلبِي :

كيف قتلت همام بن قبيصة الفزارى ؟

قال :

مرّيتُ والناس منهزمون ، ولو شاء أن يفوتني فعل ، فلما رآني قصدني فضربني وضربته ،
وسقط . فحاول القيام فلم يقدر عليه ، وقال وهو يموت :^(٩) [الطويل]

نَعَسْتُ ابْنَ ذَاتِ الْبُظْرِ أَجْهَزَ عَلَى امْرِئٍ يَرَى الْمَوْتَ خَيْرًا مِنْ قِرَارٍ وَأَكْرَمًا
وَلَا تُتْرَكْنِي بِالْحَشَاشَةِ إِنْسِي صَبُورٌ إِذَا مَا التَّكْسُ مِثْلُكَ أَحْجَمًا

فدنوت منه فقال :

أجْهَزَ عَلَى قَبْحِكَ اللَّهُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَلِي هَذَا مَنِي أُرِيطَ جَأْشًا مِنْكَ . فَاخْتَزَزْتُ
رَأْسَهُ ، فَأَتَيْتُ بِهِ مَرُوانَ وَأَخْبَرْتَهُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ :

لَا تَتَّبِعْ رِجَالَاتِ قَيْسِ !!

(٨) النخيل : اسم عين قرب المدينة .

(٩) البظر : تنوء في فرج المرأة ، وعند بعض الشعوب يقطع كله أو بعضه وفي م : ابن ذات
التؤف : أى المكان المرتفع الذى لم يقطع ، وهو فى معنى البظر . والمقصود التحقير والإهانة .

قال أبو عبد الرحمن التميمي :

جاء رجل من كلب برأس زيادة بن عمرو العُقَيْلِي إلى مروان ، فقال له مروان :
مَنْ قَتَلَ هَذَا ؟

قال :

أنا

قال :

كذبت ! هذا أشرف وأشجع من أن تقتله .

قال :

أنا ، والله قتلتك ، مرى يعدو به فرسه وهو يقول : [مشطور الرجز]
قَدْ طَابَ وَرَدُ الْمَوْتِ مَرْوَانُ فَرْدٌ لَا تُحْسِبَنَّ الْعَيْشَ أَذْنَى لِلرُّشْدِ
لَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ فِي كَبَدِ

فطعنته فسقط ثم نزلت إليه وهو يجود بنفسه ويقول : [السريع]
بُعْدًا وَسُخْقًا لِأَمْرِيءِ عَاشٍ فِي ذُلٍّ وَفِي كَفِّهِ عَضْبٌ صَقِيلٌ^(١٠)

* * *

وقال يزيد بن قُحَيْف :

لما قتل جَلْحَلَةَ بن قيس وسعيد بن غَيْثَةَ . من قَتَلَ من (كلب) رجعوا إلى خير^(١١) ،
فأقاموا . فلما ظفر عبد الملك استعداد الكَلْبِيِّين ، وقالوا :

دِمَاءَنَا !

فأخذ عبد الملك سعيدًا وجَلْحَلَةَ . فأما سعيد فكان يُسَبِّحُ ويستغفر ، وأما جَلْحَلَةَ
فقال :

أرحنا منك يابن الزَّرْقَاءِ^(١٢) ، فلو ملكتها منك ماتركتك طرفة عين .

وقال :

[الطويل]
إِنْ أَكُّ مَقْشُولًا أَفَادَ بِرُمَيْيَ فَمِنْ قَبْلِ قَتْلِي مَا شَفَى نَفْسِي الْقَتْلُ

(١٠) العضب : السيف الصقيل .

(١١) خير : بلاد على بعد خمسة أميال من المدينة .

(١٢) الزرقاء أم مروان ويُذكرونه بها تحقيرا .

وَقَدْ تَرَكْتَ حَزْبِي رُقِيدَةً كُلَّهَا مُحَالِفَهَا فِي دَارِهَا الْجُوعُ وَالذُّلُّ
وَمِنْ عَبْدٍ وَدُّ قَدْ أَبْرَثَ قَبَائِلًا فَعَادَزْتُهُمْ كَلًّا يُطِيفُ بِهِ كُلُّ
[الطويل] وقال أيضا :

لَعَمْرِي لَيْنٌ شَيْخًا فَرَارَةً أَسْلَمَا لَقَدْ حَزَيْتَ قَيْسَ وَقَدْ ظَفَرْتَ كَلْبُ
فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا وَخُصُّوا بَغَارَةً بَنَى عَبْدٌ وَدُّ بَيْنَ دُؤْمَةٍ وَالْهَضْبِ
سَلَامٌ عَلَى حَيْنِي عَدِيٍّ وَمَازِنِ جَمِيعًا وَخُصًّا بِالسَّلَامِ أَبَا وَهْبِ
أبو وهب هو زَبَّانُ بن منظور بن زَبَّان فقال لما بلغه قوله (وخصًا بالسَّلام أَبَا وَهْب) :
رحمك الله أَبَا ثَوَابَةٍ ، لقد كَفَيْتَنَا الْعَارَ وَالنَّارَ ، وأدركت النَّارَ وَلِلْقَوْمِ فِينَا فَضْلٌ ، فلم
تُخْصُصْنَا عَلَيْهِمْ ، وقد ظَلَمْتَهُمْ !

فَلَمَّا دُعِيَ بِهِ لِيُقْتَلَ قِيلَ لَهُ :

اصْبِرْ حَلْحَلُ ، فَبِرَكَ وقال :
أَصْبِرْ مِنْ عُودِ بَجْتِيهِ الْجَلْبِ قَدْ أَثَّرَ الْبِطَانُ فِيهِ وَالْحَقَبُ^(١٣)
[الرجز] وقال :

أَصْبِرْ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكْرَكَ أَلْقَى بَوَانِي زُورِهِ لِلْمَبْرُكِ^(١٤)
ومدَّ عنقه فقتله رجلٌ من بني عَبْدِ وَدٍّ .

* * *

وقال عَوَانَةُ وَيَزِيدُ بن عِيَاضُ : إِنَّ مُسْلِمَ بن عَقْبَةَ الْمُرَيَّ^(١٥) لما قَتَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ،
وَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ ، فَنَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ بِثَنِيَّةٍ هَرَسًا أَوْ بِقِفَا الْمُشَلَّلِ فِدَعَا حُصَيْنَ بن ثُمَيْرِ
السَّكُونِيِّ^(١٦) فقال :

(١٣) انظر الكامل ١٢٤٥ . العود : المسن . والجلب : آثار الدبر ، والبطان : الخزام الذي يجعل
تحت بطن الدابة . والحقب : الخزام الذي يلي حقو البعير .

(١٤) ذو الضاغط هو البعير الذي حز مرفقه جنبه والعركرك : القوى من الجمال . والبواني :
أضلاع الزور وهو أعلى الصدر .

(١٥) أحد القادة الذين ولاهم يزيد بن معاوية القيادة للانتقام من أهل المدينة فأُسْرِفَ في القتل
والنهب ولم يراع حرمة . مات سنة ٦٣ هـ وهو متوجه إلى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير وكان
هلاكه في ثنية قريبة من الجحفة القريبة من مكة .

(١٦) أبو عبد الرحمن الكِنْدِيُّ ثم السكُونِيُّ من قادة الأمويين تولى محاربة عبد الله بن الزبير بمكة
وضرب الكعبة بالمنجنيق حتى أنهى حكم ابن الزبير .

يا بَرْدَعَةُ الحِمَارِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ إِنْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ أَنْ أَوْلَيْكَ ، وَأَكْرَهُ خِلَافَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْوَالِي حُبَيْشُ بْنُ دَلَجَةَ^(١٧) ، فَإِنَّهُ أَوَّلَى بِذَلِكَ مِنْكَ . احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ لَا تَطِيلَنَّ الْمَقَامَ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ جَرَدَةٌ مُحْتَدِمَةُ الْحَرِّ ، وَلَا تَصْلُحُ الدُّوَابَّ بِهَا ، وَلَا تَمْنَعُ أَهْلَ الشَّامِ مِنَ الْحَمَلَةِ ، وَلَا تُمَكِّنُ قَرِيشًا مِنْ أُذُنِكَ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خُدْعٌ . وَلِيَكُنْ أَمْرُكَ الْوِقَافُ ثُمَّ الثَّقَافُ ثُمَّ الْإِنْصِرَافُ . وَلَكِنْ دَخَلْتُ النَّارَ بَعْدَ قَتْلِي أَهْلَ الْحَرَّةِ^(١٨) إِنْ إِيذَنَ لَشَقَى .

* * *

قال عثمان بن الضحّاك عن ذَكْوَانَ - مولى مروان - قال :
بعث يزيد بن معاوية بطبيب إلى مسلم بن عقبة المري فقال مسلم للطبيب :
وَيْحَكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَشْفِيَ نَفْسِي مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُ
مَا أَرَدْتُ . فَمَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى طَهَارَتِي قَبْلَ أَنْ أَخْذُثَ حَدَثًا ، فَإِنِّي
لَا أَشُكُ فِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ طَهَّرَنِي مِنْ ذُنُوبِي بِقَتْلِي هَؤُلَاءِ الْأَرْجَاسِ .

وقال ابن جُعْدَبَةَ :

قال مسلم بن عقبة وهو بالموت لِحُصَيْنِ بْنِ نُئَيْرٍ : إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ لَا عُدَّةَ وَلَا
سِلَاحَ لَهُمْ ، جِبَالٌ مُشْرِفَةٌ عَلَيْهِمْ ، فَانْصِبْ عَلَيْهِمُ الْمُتَجَنِّقَ عَلَى مَوْضِعَيْنِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ،
فَإِنْ تَعَوَّذُوا بِالْبَيْتِ فَارْزِمِهِ ، فَمَا أَقْدَرَكَ عَلَى بِنَائِهِ ، وَمَاتَ .

* * *

وقال حمزة بن إبراهيم بن مُضَرَّسٍ :
قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قُرَيْعٍ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَدِّمْ خَيْرًا .

[البسيط]

فقال :

(١٧) حُبَيْشُ بْنُ دَلَجَةَ القَيْنِيُّ مِنْ قَادَةِ الْأُمَوِيِّينَ شَهِدَ صَفِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَاشْتَرَكَ فِي مَعَارِكِ الْعِرَاقِ
ضِدَّ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقُتِلَ فِي الْبَصْرَةِ وَهُوَ يُحَارِبُ وَالِيَهَا مِنْ قِبَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ .
(١٨) الْحَرَّةُ : لِلْمَدِينَةِ فِي طَرَفِهَا الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ حَرَّتَانِ ، وَكَانَتِ الْوَاقِعَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي الشَّرْقِيَّةِ ،
وَفِيهَا اسْتَبَاحَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَدِينَةَ .

يَارُبُّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ لَغَبَتْ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ^(١٩)
ومات من ساعته

وقال عبيدة العنبري :

قيل لعبد الله بن شعبة بن القَلْعَم :

لَوْ قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا

فقال لبنيه :

يا بنى إن قومًا يقولون لكم بعدى : اقضُوا دَيْنَ أَيْيَكُم عَنى ، فلا تفعلوا ، فإن لأَيِّكُمْ
ذنوبًا كلها أعظم من الدَّيْنِ . اللَّهُمَّ إِنْ تَغْفِرْ تَغْفِرْ جَمًّا .

فبكت امرأته فقال :

لَا تَغْصِرْ عَيْنِكَ عَلَيَّ ، وَإِذَا مِتُّ فَارْكَبِي بَغْلًا قَوِيًّا وَطُوفِي الْيَمْنَ ، وَانْظُرِي أَطُولُ
بَنى تَمِيمَ رَقَبَةً فَتَزُوجِيهِ .

فلما هلك تزوجها أبو شيخ بن العرق الفقيمي .

وقال : ولما حضرت لييذ بن ربيعة الوفاة قال لبنى عمه :

أَسْمَعُونِى كَيْفَ تَبْكُونِ عَلَيَّ .

فقال رجال منهم أشعارًا لم يرضها ، فقال بعضهم :

لَتَبْكُ كَيْسَرًا كُلُّ قِدْرٍ وَجَفَنَةٍ وَتَبْكُ الصَّبَا مِنْ فَادٍ وَهُوَ حَمِيدُ^(٢٠)

ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لأهله ، ومن اجتمع إليه من قومه [الوافر]

أَرُونِى مِنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِى إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعَبَابِ

إِلَى مَنْ تَفَرَّغُونَ إِذَا حَيْثُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَى مِنَ الثَّرَابِ^(٢١)

(١٩) منجباب : حمام منجباب بالبصرة .

(٢٠) فاد : مات .

(٢١) الديوان : ١١٤

فقالت مولاة له :

إلى الله .

فقال :

وأنت تعيشين في مالي ؟ امحوا اسم الحبشة من الوصية .

وقال المدائني :

لما هلك الأخوص بن محمد بن عبد الله بن ثابت الأنصاري^(٢٢) كان آخر ما قال ،
ورأسه في حجر جارية يقال لها بُشْرَة :

[الطويل]
مَا لَجَدِيدِ الْمَوْتِ يَا بُشْرُ لَذَّةٌ وَكُلُّ جَدِيدٍ يُسْتَلَذُّ طَرَائِفُهُ
فَلَا ضَيْرَ إِنَّ اللَّهَ يَا بُشْرُ سَائِقِي إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ تَكُونُ خَلَائِفُهُ
فَلَسْتُ وَإِنْ غِيثٌ تَوَلَّى بِجَارِعِ وَلَا أَنَا مِمَّا حَمَلَ الْمَوْتَ حَائِفُهُ^(٢٣)

وقال غوانة :

لما حُضِرَ بِأُخْرَةٍ قِيلَ لَهُ :

قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

قال :

قد بلغ الأمر إلى هذا ؟

وقال مُقْلَسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ :

كنت يساباط^(٢٤) فسمعت غلاماً يصيح واسيداه ، يعني نوفل بن صالح مولى بني
جعفر ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ . فقلت :

(٢٢) عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بالأخوص شاعر اشتهر بالغزل وبالمجاء
توفي بدمشق سنة ١٠٥ هـ ، وله من العمر ٣٥ سنة (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ

١ - ٦٣٧ .

(٢٣) شعر الأخوص : ١٥٩ .

(٢٤) ساباط : موضع بالمداين .

[الطويل]

أبا صالح ، قل لا إله إلا الله ، فأبى وقال :

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا

وَيَاوَيْحَ أَهْلِي مَا أَصِيبُ بِهِ أَهْلِي

فقلت :

قل لا إله إلا الله

فأبى ، وجعل يردد هذا البيت حتى قُبِضَ .

* * *

وقال يونس بن حبيب^(٢٥)

لما حَضَرَتْ أخت الأبيح الكِنْدِيُّ الوفاة قيل له :

قل لا إله إلا الله ، فلما أكرهوا عليه جعل يتقلب على جنبه ويقول :

وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْغَيْرِ وَالْتِزْوَانِ^(٢٦)

* * *

وقال أبو عمرو الهذلي وغيره :

إن سالم بن دارة^(٢٧) - وهى أمه ، وأبوه مُسافِعُ بن عقبة من بنى عبد الله بن غطفان - وَقَعَ بينه وبين زُمَيْلِ بن أُمِّ دينار^(٢٨) - وأبوه أُبَيْرُ من بنى فزارة - شرٌّ ، فضربه فجرحه أُبَيْرُ ، فأدخل المدينة وحُمِلَ إلى عثمان بن عفان ، فأمر عثمان الطبيب فنظر ما مَبْلَغُ جرحه ، ثم أمر فداواه ، فأفاق من وجعه ، فدفست أم البنين بنت عُيَيْنَةَ بن حصن - وهى امرأة عثمان - إلى الطبيب دينارين .

وقال قوم : بل أعطاه ذلك منظور بن سيار^(٢٩) ، فسمَّ جرحه ، فانتقض فقال لأبيه وهو يَحْضُهُ على قتل منظور

[البسيط]

(٢٥) يونس بن حبيب من أئمة النحاة بالبصرة .

(٢٦) شطر البيت لصخر أختي الخنساء وقد مر . وصدره (أَهْمَ بأمر الحزم لو أستطيعه)

(٢٧) سالم بن مسافع بن يربوع شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا فقتله زميل الفزارى : الرسالة

(٢٨) زميل بن أم دينار ، أحد بنى مازن بن فزارة من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢٩) منظور بن زيان بن سيار الفزارى شاعر مخضرم ، كان من الصحابة وتوفى سنة ٢٥ هـ . تقريب

التهذيب : ٢ - ٢٢٧ .

أَيْدِغْ أَبَا سَالِمٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً فَلَا تُكُونَنَّ أَذْنَى الْقَوْمِ لِلْعَارِ
لَا تَأْخُذْنِ مَائَةَ مِئِي مُكْمَلَةً وَإِنْ أَتَاكَ بِهَا تُخْذِي ابْنَ عَمَارٍ
لَوْ كَانَ زَيْدٌ هُوَ الْمَقْتُولُ لَاغْتَرَفُوا وَسَطَ الدِّيَارِ غَلَامًا غَيْرَ عَوَّارٍ
ومات من يومه . فقال أبوه :
إن ابني عَفْنِي فِي حَيَاتِهِ ، وَكَلَفْنِي تَعَبًا بَعْدَ مَمَاتِهِ .

* * *

وقال أبو الحسن - قال أبو العباس : وحدثني أبو عثمان المازني ، وحدث به أبو الحسن
عن عبد الله بن مسلم قال :
قِيلَ لَأَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي نَمِيرٍ : أَوْصِي - فَحَدَّثَتْنِي أَبُو عُثْمَانَ الْمَازَنِي أَنَّهَا قَالَتْ :
مَا أَحَبُّ أَنْ أَوْصِيَ
قِيلَ : إِنْ لَكَ فِي ذَلِكَ لِأَجْرًا .
قَالَتْ :

من الذي يقول :
لَعَمْرُكَ قَارِمَاخُ بِنِي نَمِيرٍ بَطْـائِشَةُ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارٍ

قالوا :

زياد الأعجم .

قالت :

وممن هو ؟

قالوا :

من بني نمير :

قالت :

فَقُلْتُ لِبْنِي نَمِيرٍ .

* * *

وقال أبو الحسن عن كليب بن خلف قال :
مَرَضَتْ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي نَمِيرٍ فَأَتَوْهَا بِعِطَاءِ ابْنِهَا وَكَانَ غَائِبًا ، فَقَالُوا : هَذَا عِطَاءُ ابْنِكَ وَقَدْ
نَقَصْنَاهُ دَرَاهِمِينَ .

قالت :

ولم ؟

قالوا :

قتل رجل من بنى نمر رجلاً من بنى سلول ، فحملنا الذية شيئاً تراضوا به ، فتناولت درهمن آخرين فألقتهما إليهم ، وقالت :
قولوا له يقتل آخر ، وادفعوا هذين في الذية ، فضحكوا وخرجوا فما غابوا حتى ماتت .

* * *

وقال عوانة :

قيل للحطيئة عند موته : لك مال فأوص منه للمساكين ، قال :
بل أوصيهم بالحق المسألة .

قيل :

فأعتق غلامك (سيار)

قال :

هو عبد ما بقى على ظهر الأرض عبسى

قالوا :

فأوص فإن لك بنات .

قال :

مالى كله للذكور دون الإناث

قالوا : إن الله جل ذكره لم يقل هكذا !

قال :

ولكنى أقوله . وأوصيكم بالأيتام شراً ، كلوا أموالهم ، وانكحوا أمهاتهم واحملوني على حمار ، لعل لا أموت ، فإنه لم يمت عليه كريم قط ، وويل للشعر من راوية السوء .
وقيل له وهو يجود بنفسه :

[الطويل]

قل لا إله إلا الله ، فمثل قول الشماخ^(٣٠)
فَقُلْتُ يَمُودُ كَأَنَّ عِيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ هَلْ تَذْنُو زُكِّي نَوَاكِرُ^(٣١)

وقال أبو الحسن عن أبي خَيْرَانَ الْجَمَّانِي عَنْ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي رَجَاءِ الْعَطَارْدِيِّ
قال :

رَأَيْتُ رَجُلًا مُصْطَلِمَ الْأُذُنِ ، فَقُلْتُ : أَخْلِقَةً أَمْ حَادِثٌ ؟

قال : بَلْ حَادِثٌ . بَيْنَا أَنَا يَوْمَ الْجَمَلِ أَجُولُ فِي الْقَتْلِ ، مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ يَنْشُدُ :

[الطويل]

لَقَدْ أَوْرَدْنَا حَوْمَةَ الْمَوْتِ أَمْنَا فَمَا صَدَرَتْ إِلَّا وَنَحْنُ رِوَاءُ
أَطَعْنَا قُرَيْشًا ضَلَّةً مِنْ حُلُومِنَا وَنَصَرْتَنَا أَهْلَ الْحِجَازِ غَنَاءُ
لَقَدْ كَانَ عَنْ نَصْرِ بْنِ ضَبَّةٍ أُمُّهُ وَشِيعَتَهَا مَثْدُوحَةٌ وَغَنَاءُ
أَطَعْنَا بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرَّةٍ شِفْوَةٌ وَهَلْ تَيْمٌ إِلَّا أَغْبَدُ وَإِمَاءُ

فقلت :

من أنت ؟

فقال :

أُذُنٌ مَنَى أَخْبِرَكَ . فَذَنُوتُ مِنْهُ فَأَزَمَ بِأُذُنِي فَقَطَعَهَا وَقَالَ :

إِذَا أَتَيْتَ أُمَّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ الْأَهْلَبِ فَعَلَ ذَلِكَ بِي ، وَمَاتَ .

وقال أبو الحسن عن عامر بن حفص قال :

بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْمَجِجِ قَالَ وَهُوَ بِالْمَوْتِ [الرجز]

كَيْفَ ، تَرَانِي وَالْمَنَائِيَا تَعْتَرِكُ تَنْهَضُ أَخْيَانَا وَحِينًا تَبْتَرِكُ

(٣٠) الشماخ هو معقل بن ضرار بن سنان شاعر مخضرم مجيد شهد القادسية . وغزا أذربيجان مع سعيد بن العاص . قال الشعر في جميع الأغراض له ديوان حققه أ.د. صلاح الدين الهادي توفي

بعد سنة ٣٠ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ١ - ٣٠٣)

(٣١) الديوان : ١٧٦ .

وقال أبو الحسن عن عامر بن الأسود :
ثَقُلْ وَكَيْعُ بْنُ أُمِّ سُودٍ^(٣٢) ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةٍ^(٣٣) - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ
الْبَصْرَةِ - مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْمُطَرِّفِ ؟
قَالَ :

أَصْبَحْتُ وَثَابًا جَرِيًّا ، فَضَحَكَ عَدِيُّ وَرَجَعَ . فَمَا جَلَسَ حَتَّى سَمِعَ الْوَاعِيَةَ^(٣٤) عَلَيْهِ .

وقال حمزة بن إبراهيم : قَالَ لَبَطَةُ بْنُ الْفَرَزْدَقِ :
لَمَّا ظَنَنْتُ أَنَّ أُمِّي قَدْ احْتَضَرَتْ بِكَيْتِنَا حَوْلَهُ ، فَفَتَحْتُ عَيْنِيهِ ثُمَّ قَالَ :
أَعْلَى تَبْكُونَ ؟
فَقُلْنَا :

أَفْعَلَى ابْنِ الْمَرَاغَةِ^(٣٥) فَبَكَى ؟
قَالَ :

أَوْهَامُنَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ ؟ ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ :
إِذَا مَا ذَبَّتِ الْأَتَقَاءُ قَوْفِي وَصَاحَ صَدَى عَلَى مَعَ الظَّلَامِ
لَقَدْ شِمِثْتَ أَغَادِيكُمْ وَقَالَتْ أَدَانِيكُمْ مِنْ أَيْنَ لَنَا الْمُحَامِي [الوافر]

وقال أبو الحسن عن كَلَيْبِ بْنِ خَلْفٍ قَالَ :
قَالَ وَكَيْعُ بْنُ أُمِّ سُودٍ عِنْدَ مَوْتِهِ لِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ : إِنِّي إِذَا مِتُّ جَاءَكُمْ قَوْمٌ قَدْ سَوَّدُوا
جِبَاهَهُمْ ، وَنَشَرُوا لِحَاهِمَ ، وَعَرَضُوا نَعَالَهُمْ ، يَقُولُونَ إِنَّ عَلَى أَيْبِكُمْ دَيْنًا فَاقْضُوهُ ، فَلَا
تَقْضُوا عَنِّي شَيْئًا فَإِنَّ عَلَى أَيْبِكُمْ مِنَ الذَّنُوبِ مَا إِنْ غَفَرَهَا اللَّهُ فَالَّذِينَ أَيْسَرَهَا .

(٣٢) وكيع هذا كان يعيش في زمن الحسن البصري ، وكان من سفاكي النماء .
(٣٣) عدى بن أرتاة الفزاري أبو وائلة ، كان أميراً على البصرة ولأه عمر بن عبد العزيز سنة
٩٩هـ وظل بها إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسطة في فتنة أبيه سنة ١٠٢هـ أنظر الأعلام :

قال أبو الحسن عن عامر بن الأسود قال :
 قيل لأبي السفاح بُكَيْر بن مُعْدَان أَوْص ، قال :
 إِنَّا الْكَرَامُ يَوْمَ طُحْفَةِ^(٣٦) قالوا : إِنَّكَ فِي الْمَوْتِ فَقُلْ خَيْرًا وَتَشْهَدْ قال : غَلَامِي إِذَا
 مَاتَ فَهُوَ حُرٌّ .

قال أبو الحسن :
 قال دُحَيْم^(٣٧) وهو بالموت :
 قَدْ وَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرُدُّ قَدْ كُنْتُ ذَا أَرْزٍ شَدِيدِ الْمُعْتَمَدِ
 وَكُنْتُ ذَا شَعْبٍ عَلَى الْخَصْمِ الْأَلَدِ قَدْ جَاءَ قِرْنٌ لَيْسَ بِالْقِرْنِ يُرَدُّ
 ثم هلك

قال أبو الحسن :
 قيل لرجل وهو مريض : قل لا إله إلا الله . قال : لم يَأْنِ لَكَ بَعْدُ .

وقال حَزْب - وذكر الْمُعَمَّرِينَ - عاش دُوَيْدُ التَّهْدِي أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ ، فقال لولده وأهله
 حين نزل به الموت .

أَوْصِيكُمْ بِالنَّاسِ شَرًّا ، طَعَنَالِزًّا ، وَضَرْبًا أَرْأَا أَقْصَرُوا الْأَعْنََّةَ ، وَأَطِيلُوا الْأَسِنَّةَ ، وَارْعَوْا
 الْكَلَأَ ، ثم قال :

الْيَوْمَ يَنْبَى لِلدَّوَيْدِ يَثِيهِ يَارُبُّ نَهَبٍ حَسَنِ حَوَيْثُهُ
 وَمَغْصَمٍ ذِي بُرَّةٍ لَوَيْثُهُ^(٣٨) لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْثُهُ
 أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ^(٣٩)

(٣٦) يوم طُحْفَةٍ : يوم لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .
 (٣٧) دحيم : هو أبو سعيد عبد الرحمن بن عمرو الأموي ، وشهرته دحيم محدث الشام في عصره
 ولى القضاء في الأردن وفلسطين وفيها توفي سنة ٢٤٥ هـ وله من العمر ٧٥ سنة (تقريب التهذيب :
 ١ - ٤٧١) .

(٣٨) لويته من ل ، وفي م كويته والبرّة : السوار

(٣٩) ل : أكفيته

وقال عُرْوَةُ بْنُ سَلِيمٍ :

دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَحَامِرَةِ^(٤٠) بِالْكُوفَةِ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَغَيْرِهِمْ ، فَقَالُوا :
قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

فَأَعْرَضَ بَوَجهَهُ ، فَأَعَادُوهُ عَلَيْهِ مَرَّارًا
فَقَالَ :

أَخْبِرُونِي عَنْ أَبِي طَالِبٍ أَقَالُهَا ؟
قَالُوا :

وَمَا أَنْتَ وَأَبُو طَالِبٍ ؟
قَالَ :

لَا أُرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْهُ .

* * *

وقال سلام بن أبي خيرة :

ضَرَبْتُ الْخَوَارِجَ بِكَرِّ الطَّاحِي فَقَطَّعُوهُ بِالسَّيْفِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَعُودُونَهُ وَعِنْدَهُ
رِجَالٌ وَنِسَاءٌ ، فَقَالُوا لَهُ :

لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ

فَقَالَ :

غَنَاءٌ قَلِيلٌ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ وَائِلٍ تَرْمِزُ أَسْتَاهِ الْإِمَاءِ الْقَوَائِدِ^(٤١)

[الطويل]

(٤٠) الْأَحَامِرَةُ قَوْمٌ مِنَ الْعَجَمِ نَزَلُوا الْبَصْرَةَ ثُمَّ اسْتَقَرُّوا فِي الْكُوفَةِ .

(٤١) تَرْمِزُ الْقَوْمَ : تَحْرُكُوا فِي مَجَالِسِهِمْ

من تكلم في مرضه بشيء حكى عنه

قال أبو الحسن :

حدثني رجلٌ من بني كِنانة من أهل المدينة قال :
مَرِضَ بِلَالٌ ^(١) - مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَعَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ بِلَالُ :
[الرجز]

جَاءَ مَوْلَاكَ مَعَ الرَّسُولِ ذَاكَ هَدَى اللَّهُ بِهِ سَبِيلِي ^(٢)
فَلَمْ أَدِنِ دِينَ أَبِي عَقِيلٍ وَلَا بَدِينِ الْأَسْوَدِ الضُّلُولِ ^(٣)

قال أبو الحسن عن غياث بن إبراهيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها .

قال أبو العباس : وحدثني به ابن عائشة وأبو عمر الجرمي ^(٤) - ورسمه واحد - قال :
لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ وَعَمَكُوا ، وَابْنُ عَائِشَةَ وَالْجَرْمِيُّ يَقُولَانِ :
اجْتَوَوْهَا . وَكَانَتْ أَشَدَّ أَرْضِ اللَّهِ حُمًى .

قالت عائشة :

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

إِذْهَبِي فَانْظُرِي كَيْفَ أَبُوكَ وَعَمُّكَ .

فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَقُلْتُ :

يَا أَبَتَاهُ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟

فَقَالَ :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ^(٥)

(١) بلال بن رباح أحد السابقين إلى الإسلام ، والذين عذبوا في مكة ومناقبه كثيرة ، وصحبته مع الرسول معروفة توفي سنة ٢٠ هـ وله بضع وستون سنة .

(٢) أخذ الشطر الثاني من ل .

(٣) هو الأسود بن كعب العنسي ، وكان قد ادعى النبوة في صنعاء زمن الرسول .

(٤) هو أبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي أخذ اللغة والنحو والرواية عن علماء منهم الأخفش

ويونس بن حبيب وأبو عبيدة توفي سنة ٢٢٥ هـ .

(٥) البيت لحكيم النهشل : نهاية الأرب : ١٦ - ٤٣٧ . اجتتووها : أصابهم المرض .

ثم دخلت على بلال ، فقلت :
كيف تجدك ؟

فقال :

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنُ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلَى إِذْخِرَ وَجَلِيلٌ^(٦)
وَهَلْ أُرْدَنُ يَوْمًا مِثَاهُ مَجْنَّةٍ وَهَلْ يَتَدَوَّنُ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلٌ^(٧)
قالت :

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ،
اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ ، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى الْجُحْفَةِ .

وفي حديث ابن عائشة وأبي عمر :

اللَّهُمَّ ائْتِنَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ^(٨) .
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وَأَكْثَرَ ، وَانْقُلْ مَا بَهَا مِنَ الْوَبَاءِ إِلَى مَهْيَعَةٍ وَهِيَ
(الْجُحْفَةُ)^(٩) قال :

فجاء أهل الجُحْفَةِ يَضْجُونَ مِنَ الْحُمَى .
قالت :

ودخلت على عامر بن فُهَيْرَةَ^(١٠) فقلتُ :
يا عم كيف تجدك ؟

فقال :

[مشطور الرجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ

قال :

وأنشد ابن عائشة :

وَالْمَرْءُ يَأْتِي خَنْفُهُ مِنَ فَوْقِهِ

(٦) ل : فغ بدل : بواد وهو واد بمكة . والإذخر : نبات طيب الرائحة .

(٧) هذا البيت من ل . شامة وطفيل : جيلان بمكة .

(٨) عتبة وأبو جهل وشيبة وأمّية هؤلاء جميعا هم صناديد قريش الذين آذوا المسلمين بمكة .

(٩) الجحفة وكان اسمها مهيعة قرية كبيرة في الطريق بين مكة والمدينة .

(١٠) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ويكنى أبا عمر له موقف محمود في الهجرة شهد بدرًا وأحداً ، وقتل وهو في سن الأربعين .

وقال أبو الحسن :
 إِنَّ الْجَبَانَ خَفُّهُ مِنْ قَوْهِ كُلِّ امْرِئٍ مُقَاتِلٍ عَنْ طَوْهِ
 كَالثَّوْرِ يَخِمِي جِلْدَهُ بِرَوْهِ

* * *

وقال أبو الحسن :
 مَرَضَ حَسَّانَ بْنَ بَجْدَلٍ الْكَلْبِيُّ^(١١) وَمَنْظُورُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ وَدٍّ مِنْ كَلْبٍ مَرْضًا
 شَدِيدًا ، فَعَادَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدَهُمَا تَمَثَّلَ :
 [الوافر]
 وَمَالِي فِي دِمَشْقٍ وَلَا قَرَاهَا مَبِيتٌ إِنْ عَرَضْتُ وَلَا مَقِيلٌ
 وَمَالِي بَعْدَ حَسَّانِ صَدِيقٌ وَمَالِي بَعْدَ مَنْظُورٍ خَلِيلٌ

* * *

وقال أبو الحسن :
 لَمَّا وَلِيَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ الْبَصْرَةَ أَتَاهُ الْفَرَزْدَقُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَتَاهُ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ بِشْرٌ عَلَيْهِ
 وَاجِدًا . وَقَدِمَ بِشْرُ الْبَصْرَةَ فَمَرَضَ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ حَيْثُ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ . [البسيط]
 لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ هَلَكْتُ
 إِخْدَاهُمَا بَقِيَتْ أُخْرَى لِمَنْ غَبَرَا

إِذَنْ لَجِئْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ وَمَا وَجَدْتُ حِمَامًا يَغْلِبُ الْقَدْرَا
 لَهُ يَدٌ يَغْلِبُ الْمُغْطِينَ نَائِلُهَا إِذَا تَرَوَّحَ لِلْمَعْرُوفِ أَوْ بَكَّرَا
 تَغْدُو الرِّيَّاحُ وَتُنْمِسِي وَهِيَ قَاتِرَةٌ وَأَنْتَ ذُو نَائِلٍ يُنْمِسِي وَمَا قَرَأَا^(١٢)

* * *

وقال :
 دَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةً عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ :
 هَا هُنَا ، وَأَجْلَسَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَقَالَ كَثِيرٌ^(١٣) :
 [الكامل]
 وَنَعُوذُ سَيِّدُنَا وَ سَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ التَّشْكِي كَانَ بِالْعُودِ

(١١) حَسَّانُ هَذَا أَحَدُ وِلَاةِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ . الْحَيَوَانُ : ٣ - ٥٠٩ .

(١٢) دِيوَانُ الْفَرَزْدَقِ : ٢٨٩ .

(١٣) حَصَلَ تَقْدِيمُ وَتَأْخِيرُ فِي أَرْقَامِ صَفْحَاتِ (م) فَكَانَ التَّرْتِيبُ بَعْدَ ص : ٢٠٠ كَالآتِي : ٢٠٥ ،
 ١٠٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ وَهُوَ آخِرُ نَسْخَةِ الرِّبَاطِ (م) . وَقَدْ عُدَّ لَنَا الْأَرْقَامُ
 بِمَرَاةِ نَسْخَةِ ل .

لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِذْيَةً لَفَدَيْتُهُ بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتَلَادِي
قال أبو العباس :

وهذا الشعر غلط ، إنما هو لجرير في الوليد بن عبد الملك وفيها يقول :

وَدَعَا الْخَلِيفَةَ فَاسْتَجِيبْ دُعَاؤُهُ

وَاللَّهِ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْأَجْنَادِ

* * *

وتحدث أبو الحسن عن حماد الراوية قال :

حدثني العُريان بن الهيثم قال :

بعثنى أُنَى إلى شبيب بن ربيعة أسأل به وهو مريض ، وهو بين ابنتين له كأنهما الشمس
يُقلِّبان ، فقلت يقول لك أخوك الهيثم : كيف تجدك ؟

[الطويل]

فقال متمثلاً :

ثُمَّنَى ابْتَسَى أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَيْبَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَنَادَيْتَيْنِ تَنْدَبَانِ بِعَاقِلٍ أَحَاقَّةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أَنْزَ
فَقُومًا فَقُولًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا نَحْمِشًا وَجْهًا وَلَا نَحْلِقًا شَعْرَ
وَقُولًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَمِيمَةَ أَضَاعَ وَلَا حَانَ الصَّدِيقِ وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَكْ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَلَزَ^(١٤)

ثم قال :

ما فعل الحجاج ؟

فأخبرته . ثم أتيت أُنَى فأعلمته ، فلما رُحْنَا إلى الحجاج قال :

ما فعل شبيب ؟

قال أُنَى :

أتاه العُريان اليوم عائداً . فسألني فحدثته الحديث .

فقال الحجاج :

لا تَبْعِدَ الْعَرَبَ ! ثم قال :

ويحكم يا أهل العراق ، إنكم لأنتم النَّاسُ لولا ما شملكم من هذا الرأى الحيث .

(١٤) شرح ديوان ليلى بن ربيعة العامري . القسم الثالث : ٢١٣ ، ٢١٤ .

[بلاغ وعِظَة]

قال أبو العباس محمد بن يزيد :
قد أكثرنا في المرائي والمواعظ من بين شعر وكلام نثر ورسالة وغير ذلك مما يتصل به .
والمرائي وأسبابها باقية مع الناس أبداً ، إذ كانت الفجائع لا تنقضي إلا بانقضاء
المصائب ، ولا يَفْتَنَى ذلك إلا بفناء الأرض ومن عليها ، ولا إله إلا الله الحق الذي لا
يموت . ونحن نختم ذلك بأبيات نجمع فيها من كل إن شاء الله ، وبه الحول والقوة .
ثم نبتدىء شيئا غيره ، فإن الإكثار سرف ، كما أن التقصير كالعجز ، وفيما أُمْلِيَتَاهُ بلاغ
وعِظَة إن شاء الله تعالى .

* * *

قال عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب يرثي أباه . وكان أبوه جليلاً من بنى هاشم له أدب وعارضة ، وبلاغة
ونجدة وبيان فولاه أمير المؤمنين المعتصم بالله العيمن ، ثم ولي - بعد أن طال مُكثه بها -
إيتاخ^(١) ذلك البلد ، فولى إيتاخ عليها الشار^(٢) ، فحمل إليه الشار عبد الرحيم ، فطالبه
إيتاخ بالخراج وحبسه لامتناعه عليه ، فمات في السجن بعد مدة .

وكان عبد العزيز أجَلُّ بنيه ، وقد وَلَّى الولايات ، وكان شاعراً مقلقاً وخطيباً
مصقفاً ، فقال يرثي أباه قولاً أعرب فيه فأفصح ، وأغرب فيه فلم يفحش ، ولكنه
خرج أحسن الخروج من كلام مبسوط ومعان مفهومة وهو قوله : [الطويل]
أَشِدَّ أَهْيَا التَّاعِي وَإِنْ كُنْتُ لَا تُدْرِي بِكُنْهِ الَّذِي تُنْعِي مِنَ الدِّينِ وَالْقَدْرِ
وَمَنْ رُكِّنَ أَرْكَانَ الْمُلُوكِ الَّذِي بِهِ تُلَوِّذُ إِذَا حَلَّ الْجِسْمُ مِنَ الْأَمْرِ
هَوَى فَهَوَتْ أَرْكَانُ عِزٍّ وَأَعْوَزَتْ تُعَوِّزُ بِهِ كَانَتْ أَوَامِنَ لِلدُّعْرِ
وَمَنْ يُلْبِسَ الْأَقْطَارَ أَقْمًا بِذِكْرِهِ

وَيَكْثِفُ عَنْهَا طُخْيَةَ الدُّلِّ وَالْفَقْرِ

وَمَنْ كَانَ إِنْ أَرْضٍ مِنَ الْمَحَلِّ أَظْلَمَتْ

رَمَاهَا بِأَنْفَى لِلظُّلَامِ مِنَ الْفَجْرِ

(١) إيتاخ التركي مملوك اشتراه المعتصم ومكنه من الحكم وجعل له مكانة في الدولة وبهيد القتلى
والجيس ، ولما تولى أمير المؤمنين المتوكل أمر بقتله سنة ٢٣٥هـ الأغاني : ٧ - ١٨٤ .
(٢) مملوك كان مقرباً لإيتاخ اسمه هرثة شارباميان .. ولده إيتاخ العيمن سنة ٢٢٩هـ .

بَوَجْهِ كَأَنَّ الْبَدْرَ فَوْقَ جَبِينِهِ

وَبَذَلَ لَهَى الْأَمْوَالِ بِالتَّائِيلِ الْغَمْرِ^(٣)
وَجُودٌ يَبْدُو الْمَجْدَ وَالْجُودَ قَبْلَهُ
تَزِيدُ اللَّيَالِي وَالْخُطُوبُ ضِيَاءَهُ
إِذَا غَيَّرَ الْبَدْرَ الْمُحَاقُ مِنَ الشَّهْرِ
وَيَسْطُرُ بِالْعُرْفِ الْعَفَاةَ تَهْلُلاً
إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَنْعِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ^(٤)
فَلَمْ تَرِ إِلَّا عَارِفاً غَيْرَ ذِي لُكْرِ
وَأَنَا لَمُعْتَادُ رَزَايَا عَظِيمَةٍ
يَظُلُّ لَهَا مِنَّا رِجَالٌ كَأَنَّمَا
فَتَصْبِرُ حَتَّى تَنْجَلِيَ غَمَرَاتِهَا
تَجِلُّ مُصِيبَاتٌ وَتَغْمُرُ نَوَائِبُ
لَقَدْ عَرَكْنَا لِلزَّمَانِ مُلْمَةً
وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ اصْبَحَ بَعْدَهُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ يُزْرَى بِأَهْلِهِ
وَأَنَّ الْبَكَاءَ فَخْرٌ بِكَيْثٍ بِعَوْلَةٍ
وَرَوْحَتْ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالصَّبْرُ زُفْرَةٌ
حِينًا كَمَا حَنَ الْيَرَاغُ يَرْدُهُ
وَحَلِيتُ أَسْرَابَ الدُّمُوعِ فَأَمْطَرْتُ
وَقُلْتُ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَقَدْ بَكَتْ
بَكَى الثَّقَلَانِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ فَقَدَهُ
وَأَفْسِمُ لَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ وَخَدَهُ
بِمَوْتِكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنُ جَعْفَرٍ

تَرَائِلُ شَعْبِ الْمُلْكِ عَنِ أَفْحَشِ الْكَسْرِ^(٨)

(٣) اللهي : العطايا . (٤) بَدَّ : فاق .

(٥) العرف : المعروف .

(٦) هذا البيت من ل .

(٧) حيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والنشيج : البكاء والانتحاب . وفري الشيء يفريه وأفرأه إذا شقه .

(٨) شعب الملك : صدعه . يقال : التأم شعبهم : أى تجمعوا

وَصَارَتْ بُنَاةُ الدِّينِ بَعْدَكَ صَدْعُهَا
بِمَوْتِكَ مَاتَ الْجُودُ وَاجْمَدَ كُلُّهُ
لَقَدْ هَدَى رُكْنَ الدِّينِ مَوْتُكَ هَذِهِ
وَأَبْلَسَ إِبْلَاسَ الْمَذَلَّةِ دِينَنَا
وَأَضَحَّتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ مَرِيضَةً
وَقَدْ وَجَدَ الْأَعْدَاءُ فِي الْمَلِكِ مَطْعَنَا
فَلَا هُنَا الْأَعْدَاءُ عَشْرَةٌ دَهْرُنَا
رِزْقَنَا أَمْرًا لَا نَخْفِلُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
فَلَهُ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ رِزْيَةٍ
فَوَاكِدًا لَوْ لَوْ الْوَعَى كَانَ مَوْتُهُ
وَبِالْيَضْرِ وَالْمَرْفُوعَةِ الرُّزْقِ دَمْعُهَا
وَبِالْخَيْلِ يَغْلُكُنَ الشُّكِيمَ كَأَنَّهَا
يَحْضُنُ نَجِيمًا مَاتُوا بَعْدَ جَامِدٍ
وَاضْحَى نَهَارُ النَّاسِ لَيْلًا وَالْمَعْتِ
وَلَمْ يَغْنِ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي قَسْطِلِ الْوَعَى
وَأَحْمَدُ الْأَصْوَاتِ إِلَّا غَمَاغِمَ الـ
وَحُلْدًا يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ وَحُذْبَهَا
فَمِنْ مَقْصَرٍ يَغْطُو بِفَضْلِ حُشَاةِ
يُفَرِّقْنَ أَوْصَالَ كِرَامًا أَعَزَّةً
وَقَمْنَا إِلَى النَّارِ الْمُتَنِيمِ فَلَمْ يَكُنْ

يَطِيرُ شَطَايَا لَا تَلَاءَمُ بِالْجَبْرِ
وَجُدَّ أَنْفُ الْعَرْفِينَا إِلَى الْحَشْرِ^(٩)
أَنَافَتْ لَهَا الْأَعْتَاقُ مِنْ أُمَمِ الْكُفْرِ
وَأَغْصَى بِكَ الْإِسْلَامَ عَيْنًا عَلَى وَثْرِ^(١٠)
تَوَكَّفَ فِيهِ مِثْلُ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ
عَوَاقِبُهُ قَتْلَ يَجْلُ عَنْ النَّسْرِ^(١١)
فَقَدْ - وَأَبَى - قَرَّتْ عَيْنُ دَوَى الْغَمْرِ
وَلَا الْمَوْتُ فَلْتَفْرِ الْحَوَادِثُ مَا تَفْرِى
وَعَشْرَةَ دَهْرٍ أُنْتَشَا مِنَ الْعُثْرِ
بَكَيْنَا عَلَيْهِ بِالرُّدَيْنِيَةِ السُّمْرِ
دَمَ عَانَدٍ يَنْشَالُ بِالْعَلَقِ الْحُمْرِ
كَوَاكِبُ غُفْبَانٍ نَوَاهِضَ عَنْ قَدْرِ^(١٢)
فَلَايَا تَبِينُ الْكُمْتُ فِيهَا مِنَ الشُّقْرِ^(١٣)
كَوَاكِبُنَا بِالْهِنْدَوَانِيَةِ الْبُثْرِ
فَيْلًا وَنَارُ الْحَرْبِ ثَابِتَةُ الْجَمْرِ
كَمَاءٍ وَوَقَعَ الْمَشْرِقِيَّةِ بِالْهَنْزِ
وَأَحْزَرَ وَقَدَّمَ بِالْوَعِيدِ وَبِالزُّجْرِ
وَأَجَرَ تَفْرِيه الْحَوَامِي وَمَا يَلْزَمُ^(١٤)
وَيَفْضَحْنَ هَامًا مِنْ حَجَاجَةِ زُهْرِ^(١٥)
وَلَوْ نِيطَ بِالْعَيُوقِ أَوْ نِيطَ بِالنَّسْرِ^(١٦)

(٩) هذا البيت والذي قبله من ل .

(١٠) الإبلان : الانكسار .

(١١) م : الشطر الثاني : فتك يجلي عن السير .

(١٢) ل : يعلكن الشكيم . ومعناه : يعضن . ومعنى نواهض : مددن أعناقهم .

(١٣) ل : تبين ، الكميت : الفرس لونه بين الأسود والأحمر . والأشقر : اللون الأبيض المشروب بجمرة .

(١٤) القمص : القتل السريع .

(١٥) الفَضْحُ : كسر كل شيء أجوف كالرأس .

(١٦) العيوق والنسر : نيمان معروفان .

فَكُنَّا وَإِنْ لَمْ نُوفِ مِنْ شَيْخِنَا دَمًا
وَنَهْدًا نَفْسًا مَا تَلَأَى جُفُونُهَا
وَلَكِنْ وَقَيْتَاهُ الْقَنَّا بِتُحُورِنَا
فِيَابِنِ الثَّبَى الْمُصْطَفَى وَابْنِ عَمِّهِ
وَيَابِنِ أَحْيَارِ اللَّهِ مِنْ آلِ آدَمِ
وَيَابِنِ عَلِيٍّ بَعْدُ وَالْحَسَنِ الَّذِي
وَيَابِنِ سُلَيْمَانَ الَّذِي كَانَ مَوْلَا
وَمِنْ مَلَأِ الدُّنْيَا بَهَاءً وَنَائِلًا
تَعَزَّ بِمَا قَدْ نَأَلْنَا مِنْ رَزِيَّةٍ
فَإِنْ مِتَّ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ صَابِرًا
فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ لِلْخَلِيفَةِ قَدْ هَوَى
قَلًّا أَوْ رَقَّتْ شَجَرَاءُ أَرْضٍ وَلَا دَحَا
قُلْ لِلْمَنَائِبِ وَالْمَتَالِفِ اغْصِفَا
وَقُلْ لِلْأَعَادِي أَعْلِنُوا الْآنَ أَوْدَعُوا
سَوَاءً عَلَيْنَا الْمُسْتَسِيرُ وَذُو الْجَهْرِ^(١٧) .

تم الكتاب بحمد الله ومته ، وصلى الله على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين
أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .
كتب بالكرك المحروس في مستهل الحجة من شهر سنة سبع وخمسين وسبعمائة .
وهذا تمت مخطوطة الرباط التي رمزنا لها بالحرف (م) .
ونكمل الكتاب بما بقي في نسخة مكتبة الأسكوريال التي رمزنا لها بالحرف (ل)
والله الموفق .

(١٧) المتأيا : الموت . والمتألف : المهالك ، وفي ل : التألف . واعصفا : اشتدا والمقصود من قوله
لا يريش ولا يبرى : أى لا يتفع ولا يضر . في الأصل : راش : جعل له ريش ويستخدم في النبل .
وبرى السهم : نحته .

(١٨) ل : أعلموا . الآن : ليست موجودة في م .

وقال أحمد بن محمد الخثعمي^(١٩) يرثي إبراهيم بن سعيد الجُمَيْرِي : [الخفيف]
أَيُّهَا النَّاعِيَانِ [مَنْ تَنَعِيَانِ] ؟ وَعَلَى مَنْ أَرَاكُمَا تَبْكِيَانِ^(٢٠)
أَلَيْعَا النَّاقِبَ الزُّنَادِ أَبَا إِسْ حَقَّ رَبِّ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ
إِرْجَعَايِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمَا عَقْدٌ إِلَى لَخْدِ قَبْرِهِ فَأَغْفِرَانِي
فَالضَّحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَغْلَمَانِ
فَكَأْنَا وَلَمْ يَطْلُ بِكَ عَنْهُ مَارَاتِنَاكَ عَامِرَ الْأَعْطَانِ^(٢١)
يَنْ أَدَمِ ثَلَمِي وَرَكِبِ مُنِخٍ وَعِيسَى مَلْتَوْنِي وَجِفَانِ^(٢٢)
صَلِّ الصَّوْثَ فِي صَفَاتِكَ بِالرَّدِّ ب خَفِضَ الْكَلَامِ فِي الصَّفَانِ
مُسْنِعَ الْقِدَحِ مِنْ خِطَارِ وَقُودِ وَعَدِيمِ الْأَبْعَاءِ يَوْمَ الرَّهَانِ
لَيْتَ أَنَا فِدَاكَ إِذْ قَسَى الطُّ شُمُ وَقَاضَتْ مَنَاهِلُ الْحَدَثَانِ^(٢٣)
فَقَدْ ظَاعِنَا يَحُثُّ بِهِ الثَّغْرُ حَيْثُ السُّرَى وَلَيْسَ بِوَانِ
سَفَرِ شَامِعٍ وَحَادٍ مُجِدِّ وَفَعْدِ الْكُتَيْبِ مِنْ غُسْفَانِ^(٢٤)
شَرِبَ الْمَوْتُ مِنْهُ مَخْضَهُ ذُو قِي بِأَعْلَى الْبِقَاعِ مِنْ غَمْدَانِ
أَيُّهَا الْمَوْتُ قَدْ نَهَضْتَ بِحِمْلِي هَلْ تَرَى غَيْرَ مَجْلَسِ صَخْبِ الْأَفْ
وَتَرَى غَيْرَ ذَابِلِ سَنَهْرِي وَتَرَى غَيْرَ مُقَرَّمِ نَاصِلِ النَّا
وَعَدِيمِ يَعْثُ فِي قَدَحِ الثُّكْ

(١٩) ل : محمد بن أحمد والتصحيح من أمالي القالي : ٢ - ٢٧٨ انظر ترجمة المهلب بن أبي صفرة
فقد أورد ابن خلكان البيتين ٣ ، ٤ ونسبها إلى أحمد بن محمد الخثعمي كما جاء في (معجم الشعراء)
للمرزياتي . ووفيات الأعيان : ٥ : ٣٥٦

(٢٠) [من تنعيان نقص صحح من المرجعين المتقدمين] .

(٢١ ، ٢٢) إناك كريم ويدل عليه خلو مكان الإبل منها لأنك كرمت بها ضيفانك فذبحتها فهم
وملأت بها القداح الضخمة .

(٢٣) طم طموما : كثر حتى عظم أى فنى الجميع ، المعجم الوسيط : ٢ - ٥٧٢ .

(٢٤) غمدان : قصر بصنعاء . وغُسْفَان : قرية قرب مكة . (٢٥) الذبل والسهمري صفتان
للسيف معناهما : الدقيق الصنع والصليب العود . المعجم الوسيط : ذبل وسهمر . والزج : الحديد
التي أسفل الرمح .

(٢٦) القرم : من الفحول الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للضراب : المعجم الوسيط
(قرم) .

[من مراثي الجاهلية^(١)]

[حرب داحس والغبراء]

ومن المراثي المُستَحسنة المقدمة ، ونحتاج أن نذكر معها خبرها :
هو أن مالك بن زهير بن رَوَاحَةَ بن جَذِيمَةَ العَبْسِيِّ^(٢) - وكان من أشرف بني عبس ، وجَذِيمَةُ منهم - قُتِلَ في حرب داحس ، وكان جانيها أخوه قيس بن زهير فَتَشَبَّثَ بينهم فيما ذكر أربعين سنة ، وتشاءم بهم قومهم ، فوجَّه قيس جاريته لتعلم ما عند الربيع بن زياد العبسي^(٣) ولتعلم أيفضب لهذا الحديث فَيَقْوَى به أو يستهن ، فرأت عنده أكثر مما أحب ، فرجعت إليه فقالت :

سمعت عويلا منه دون نسائه ، وحركة أكثر من حركة جميع الحى ، وهو يقول :

[الكامل]

مَعَ الرِّقَادِ فَمَا أَغْمَضُ حَارِ جَلَلٍ مِنَ النَّبَأِ الْمُهْمِ السَّارِ
مِنْ مِثْلِهِ ثُمْنِي النِّسَاءُ حَوَاسِرًا قَتُومُ مَقُولَةٍ مَعَ الْأَسْحَارِ
مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ^(٤)

تأويل هذا البيت : أنه إذا رأى ما يُصْنَعُ عليه من الجزع ، عَلِمَ أَنَّ ثَارَ مثله لا يَتْرُكُ .
يَجِدُ النِّسَاءُ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَضْرِبْنَ أَوْجُهُنَّ بِالْأَسْحَارِ
يَخْمِشْنَ حُرَّ وَجُوهُنَّ عَلَى قَتَى سَهْلُ الْخَلِيقَةِ طِيبُ الْأَخْبَارِ^(٥)
قَدْ كُنَّ يَكُنُنَّ الْوُجُوهُ نَسْتَرًا فَالآنَ حِينَ بَدُونَ لِلنَّظَارِ

(١) داحس والغبراء فرسان كانا في سباق وبسببهما قامت الحرب أربعين سنة في الجاهلية .

(٢) من أخبار مالك هذا ما جاءت في الحماسة لإبي تمام : ١ - ٤١١ ، ٤١٢ وغيرها من الكتب التي تعرضت لهذا .

(٣) الربيع بن زياد العبسي شاعر جاهلي كان نديما للنعمان بن المنذر وله مع ليبد بن ربيعة العامري الشاعر وغيره أخبار يطول ذكرها . الحماسة : ١ - ١٨٦ .

(٤) وجه النهار : أى أوله . والمعنى من سره قتل مالك فليجئ إلى نساتنا فيرى ما هن فيه من الحزن والصراخ والعويل . وبدأ الشاعر هذه الأبيات بقوله :

إِنِّي أَرَقْتُ فَلَمْ أَغْمَضْ حَارِ مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِ

الأرق : قلة النوم . وحار : مرخم حارث حيث حذف الحرف الأخير .

(٥) في الحماسة يضربن بدل يخمشن وحر الوجه : خالصة والأبيات في الحماسة : ١ - ٤٢ .

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
قوله : أفبعد مقتل مالك بن زهير ، مُزَاحَفٌ نَاقِصٌ جُزْءًا ، وهذا في هذه العروض
جائز ، وهي التي يقال لها : المقطوعة في الكامل ونظيره قول حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ ^(٦) :

[الكامل]

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ طَبَّ يَلُومُ الْمُسْتَلِيمَ وَيَغْدِرُ
أَتَى كَبْرَتْ وَأَنَّ كُلَّ كَيْرٍ مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمْلُ وَيَقْبِرُ ^(٧)

رجع الشعر :

مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِلدَّوَى الْقَوَى

إِلَّا الْمَطْيَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ ^(٨)

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذْفَنُ عَدُوًّا يُجْهَضُنَ بِالْمَهَرَاتِ وَالْأَمْهَارِ ^(٩)

هذا مثل البيت المزاحف . يقال : ما ذقت عدوًّا ولا عُدافًا ، ولا لَمَاطًا ولا لَمَاقًا ،

وكل هذا في معنى لم أذق شيئًا

وَقَوَارِصًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الزُّجُوهُ بَقَارِ
وَيَفُوزُ كُلُّ مَقْلَصٍ مِنْ خَيْلِنَا سَلَسِ الْقِيَادِ مُعَاقِدِ التَّكْرَارِ
حَتَّى يُبِيرَ بِدَى الْمُرَيْقَبِ غُلُودَةً بَدْرًا وَتُغْدِرَ مِنْ بَيْنِ سَيَارِ

بدر : ابن عمرو الفزاري ، وبنو سَيَّارِ بن زَبَّانِ الفزاري قتلوا ابن عمهم وحاربوهم
غَدْرًا بغير دم ولا افقار .

وَلَرُبَّ مَسْرُورٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ كَلَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ ذِي الْأَسْتَارِ
حَتَّى يُبِيرَ بِمَالِكٍ سَرَوَاتِهِمْ حَمَلًا وَفَارِسَهُمْ أَبَا حَجَّارٍ ^(١٠)

(٦) هو حميد بن ثور الهلالي كان في الجاهلية ، شهد معركة مع المشركين ثم أسلم ووفد على رسول
الله ﷺ ، وكان شاعرًا مجيدًا جميل المعاني عذب الألفاظ وله هجاء خبيث . أدرك حميد خلافة
عثمان وقد أسن . (انظر تاريخ الأدب العربي لفروخ : ١ : ٢٨٦)

(٧) لم نعثر على هذين البيتين في ديوانه .

(٨) الأكوار : جمع كور وهو الرحل .

(٩) المجنبات من الخيل ما تجنب إلى الإبل في الغزو ، والعذوق : أدنى ما يؤكل .

(١٠) الأبيات في الحماسة لأبي تمام : ٤١١ - ٤١٣ .

حمل بن بدر وكان من فرسانهم وشجعانهم ، وهو الذى يقول فيه القائل فى هذه القصة
بعد أن قتل :

وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلُ بْنُ بَدْرِ بَغَى وَابْغَى مَصْرَعُهُ وَحَيْمُ

وأبو حجار : مالك بن حمار الشَّمَخِي ، وبنو شَمَخ من فزارة وفزارة بن ذبيان بن
بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان ، وبنو عبس بن بَغِيض بن رَيْث ، فكان عَبْسٌ وذبيان
أخوين ، وكانت حربهم أربعين سنة .

[حرب الأوس والخزرج]

وحرب الأنصار - الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر - كانت
أكثر من هذا فيما ذكرت الرواية ، وكانت لا تزال تغبر .

وروى عن رسول الله ﷺ : دُرُّبُوا لِي بِالْحُرُوبِ حَتَّى دَرَبُوا .
وقالت عائشة رضى الله عنها :

قدمنا عليهم والجراح تنطف^(١) دما من حرب بُعاث .

فحرب الأنصار : حرب بُعاث ، وحرب ابني بَغِيض : حرب داحس والغبراء ، وحرب
بكر وتغلب تسمى : البسوس .

(١) تنطف : تفيض

[رثاء البصرة وثورة الزنوج]

وقال أبو ناظرة السدوسي ، وكان رجلاً من أهل العلم والمعرفة بكلام العرب ، وحسن التصرف فيه ، يرى البصرة وأهلها بكلام عربي فصيح ينبيء أنه كلامٌ مُوجعٌ يخرج عن نيّة صادقة من ألفاظ رجلٍ لا عجزٍ يقعدُ عن بلوغ الحاجة ، ولا اسرافٍ في قوله وتمحّل يتجاوز به القدر :

مَنَازِلُنَا هَلْ مِنْ إِيَابِ مُؤْمِلٍ إِلَيْكَ إِذَا مَا آبَ كُلُّ غَرِيبٍ
وَهَلْ نَحْنُ يَوْمًا عَائِدُونَ ذَوَى غِنَى وَتَتَجَمَّعُ لِلْمُعْتَفِينَ خَصِيبُ
وَأَذِنَةٌ فِي كُلِّ حَتَّى يَزِينَهَا نَقَاءُ جُيُوبٍ مِنْهُمْ وَغُيُوبِ
وَحِلْمٌ وَعِلْمٌ لَيْسَ بِالتَّزْرِ فِيهِمْ فَلَا يَظُنُّونَ مَسْعَاهُ مَشُوبِ؟
وَقُلْ لِلدَّعَاةِ الشَّمْسُ هَلْ مِنْ تَشْهَدِ لَوَقْتُ صَبَاحٍ أَوْ لَوَقْتُ غُرُوبِ
نُجْنٌ - وَلَمْ نَظْلِمَ - إِلَيْكَ صَبَابَةٌ تَفُتُّ أَكْبَادَ لَنَا وَقُلُوبِ
وَقُلْ غَاءَ غَبْرَةٌ مُسْتَهْلَةٌ تَرَقُّقٌ مِنْ عَيْنِ عَلَيْكَ سَكُوبِ
أَبَى الصَّبْرَ تَدَكَارُ الدِّيَارِ الَّتِي خَلَتْ مَجَالِسُهَا مِنْ سَوْدِدٍ وَخُطُوبِ
وَمَعْدَى ذَوَى الْحَاجَاتِ فِي كُلِّ شَارِقِ إِلَى كُلِّ مَغْشَى الْفَنَاءِ مَهِيبِ
وَكُلِّ مَطَاعٍ فِي الْعَشِيرَةِ مَاجِدِ مُعِينٍ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ وَهُوبِ
مَنَازِلُ فَارَقْنَ الْعُهُودَ وَلَمْ يَكُنْ مَعَانَا لِنَاقُوسٍ وَلَا لِصَلِيبِ
مَنَازِلُ قَوْمٍ أَسْرَعَ السَّيْفُ مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ نَجِيبِ
وَكُلِّ فَتَى يَزُورُ إِلَى اللَّهِوِ وَالصَّبَا جُرُورٍ لِأَذْيَالِ الشَّبَابِ سَحُوبِ
وَكُلِّ صَمِيمٍ مِنْ ذَوَابَةِ قَوْمِهِ كَرِيمٍ لِغَايَاتِ الْكِرَامِ طَلُوبِ
أَبُوا أَنْ يَرَى اللَّهُ الْهَوَادَةَ مِنْهُمْ لِأَغْضَةِ عَنْ دِينِ التَّبَى نَكُوبِ
فَأَوْدَوْا وَقَدْ عَاشُوا كَرَامًا أَعْفَى عَلَى قَتْنِ مَرْتٍ بِهِمْ وَخُرُوبِ
تُعَادِيهِمْ ضَرْبًا عَلَى الْهَامِ ثَارَةً وَذَبْحًا بِأَقْسَى أَنْفُسِ وَقُلُوبِ
فَكُنْ مِنْ رَحَى دَارَتْ وَكُنْ مِنْ (مُصِيْبَةِ)

تَوَالَتْ وَمِنْ يَوْمٍ هُنَاكَ عَصِيبُ
عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ مُلُوكٍ وَسُوقَةٍ تَوَوَّا بَيْنَ أَبْوَابِ لَهُمْ وَذُرُوبِ
مُفْلَقَةٌ هَامَاتُهُمْ وَشَرِيدُهُمْ شَمَاطِيطُ شَتَّى أَوْجِهٍ وَسُرُوبِ^(١)

(١) الشماطيط : الخليط : والشماطيط : قالوا : تفرق القوم شماطيط أى فرقا . المعجم الوسيط :

إِلَى غَيْرِ رَاغٍ يَرْجَى النَّصْرَ عِنْدَهُ
عَبَادِيدُ مِنْ نَاجٍ عَلَى جَذَمٍ بَغْلَةٍ
وَمِنْ رَاسِبٍ طَافَ عَلَى الْمَاءِ شِلْوُهُ
فَيَا أَرْضَهُمْ أَخْلَوْكَ فَاكِى عَلَيْهِمْ
أَرَى كُلَّ قَوْمٍ لَا يَمِزَالُ مَظْنَةً
سَوَانَا فَإِنَّا حَشَوُ كُلَّ مَدِينَةٍ
ذَوُو أَوْجِهٍ فِيهَا كَوَابٍ وَأَعْيُنٍ
فَمَنْ رَامَ أَنْ يَتَعَاقَبَنَا حَذِيقَةً
فَذُو الْعِزِّ مِنَّا مُسْتَكِينٌ وَذُو الْغِنَى
فَمَاحِلٌ بِالْإِسْلَامِ مِثْلُ مُصَابِنَا
وَكُنَّا وَلَمْ تُشَقِّقْ عَصَانَا وَلَمْ يَثْبُتْ
نَمِيمِيَّةٌ تُسْرِى إِلَيْنَا كَأَنَّمَا
يُقَصِّرُ عَنْ بَغْدَادَ كُلُّ فَضِيلَةٍ
رَجَالًا وَمَا لَا تَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ
فَلَا الْمَرْبُودُ الْمَغْمُورُ بِالْعِزِّ وَالتَّهَى
وَلَا قَصْرُ أَوْسٍ وَالْمَنَاخُ الَّذِي بِهِ
يَمُرُّ جَعَجُ يَوْمًا وَلَا الْمَسْجِدُ الَّذِي
وَلَا قَائِمٌ لِلَّهِ أَنْاءٌ لَيْلِهِ
وَلَا غَائِبٌ ذَاكَ الْخَزِينُ كَعَهْدِهِ
وَلَا الشُّطُّ إِذْ فِيهِ لَنَا الْخَيْرُ كُلُّهُ
وَبِالْقَيْصِ وَالتَّهْرِينِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَإِذْ مَا تَرَاهُ مِنْ سَفِينٍ وَرَاكِبٍ
وَدِجَلَةٍ أَخْمَى جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
مُؤَلَّةٌ أَسْنَانُهُمْ وَعُيُونُهُمْ

وَلَا عَطْنُ يُؤْوَى إِلَيْهِ رَحِيبٌ
وَمِنْ رَاوِحٍ يَشْكُو الْكَلَالَ جَيْبٌ^(١)
وَذِي ظَمَأٍ أَوْدَى بِهِ وَسُغُوبٌ^(٢)
وَجُودِي عَلَيْهِمْ بِاسْمَاءَ وَصُوبِي
مَنَازِلَهُمْ مِنْ آيٍ وَمُؤُوبٍ
وَالْقَاوِمَا مِنْ نَارِحٍ وَقَرِيبٍ
بَوَاكِ وَقَفَرٍ ظَاهِرٍ وَشُعُوبٍ
مِنَ التَّحْلِ أَعْطَى دِرْهَمًا بِجَرِيبٍ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ ذَا رُتْبَةٍ وَرَكُوبٍ
وَسُلْطَانِنَا لِلدِّينِ حَقُّ غُصُوبٍ
عَقَارِنَا فِينَا ذَوَاتِ دَبِيبٍ
نُطَائِنَا فِي مِصْرِنَا بِذُنُوبٍ
خُصَصْنَا بِهَا إِنْهَابُ كُلِّ خَطِيبٍ
عَلَى كُلِّ حَالٍ رَائِحٍ وَغَرِيبٍ
وَكُلُّ قَسِيٍّ لِلْمَكْرَمَاتِ كَسُوبٍ
وَمَا حَوْلَهُ مِنْ رَوْضَةٍ وَكُثِيبٍ
إِلَيْهِ تَنَاهَى عِلْمُ كُلِّ أَدِيبٍ
بِهِ كُلُّ أَوَاهٍ إِلَيْهِ مُنِيبٍ
لِكُلِّ مُسْنٍ حَوْلَهُ وَمُهَيْبٍ
وَإِذْ مُخَضَّاهُ الدَّهْرُ غَيْرُ جَدِيبٍ
مَنَاطِرُ لَذَاتِ عَفْثٍ وَشُرُوبٍ
عَلَى ظَهْرِ مَتَقَادٍ إِلَيْهِ صُبُوبٍ
كَتَابُ زَنْجٍ كَالطُّنِينِ دُبُوبٍ
تَوَقَّدُ فِي كَهْرُورَةٍ وَقُطُوبٍ^(٣)

قوله (كهرورة) إنما هي القطوب والعبوس كما قال زيد الخيل^(٤)

(٢) عباديد : أرهاط متفرقة . الراوِح : المتعب . (٣) الشلو : الجسد .

(٤) مؤللة أسنانهم : محددة الأطراف .

(٥) زيد الخيل لقبه لكثرة خيله واسمه زيد بن مهلهل من طيء كان شاعرا وخطيبا أسلم وسماه

الرسول ﷺ زيد الخير مات سنة ٥٩ هـ .

وَلَسْتُ بِذِي كَهْرُورَةٍ غَيْرَ أَنِّي إِذَا طَلَعْتُ أُولَى الْمُغِيرَةِ أَعْبِسُ^(٦)

[عود إلى القصيدة]

طَمَاطُمُ لَأَرْبُ لَهُمْ يَغْرِفُونَهُ
وَجُونُ نَوَاجٍ مَتَجِيَاتٍ لَوَاحِقِي
الجون : السود . يعني : الخيل . والمكوب : الغبار ، وبه سمى عُكابة
تَسَاجَلْنَا فِيهَا الْمَنَاقِبَ عَيْدُنَا
أَنْسَلَبَهَا غَلَبًا ضَوَامِنَ لِلْقَرَى

يعنى النخل ، والأغلب : الغليظ [العنق]

جَدَّأُولُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَمَا التَّحُلُّ فِي أَجْلَانَا عَنْ كَوَاعِبِ
وما في خيام الزنج من حُرٍّ أَوْجِهٍ
وَلَا ذُو مُحَامَاةٍ وَلَا ذُو حَفِيزَةٍ
عَلَى الثَّمَرِ الْمَفْجُوعِ أَرْبَابُهُ بِهِ
يَقُولُونَ حُشْرَى قَسَا مِنْ مَدَافِعِ
وَقَالُوا تَنَاسَوْهَا فَلَيْسَ بِعَائِدِ
وَأِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَرَى ذَاكَ مِنْهُمْ
نَعَتْ أَرْضَنَا الدُّنْيَا إِلَيْنَا وَأَذْهَبَتْ
وَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا سِوَى الْبَلَدِ الَّذِي
وَمَا عِشْ هَذَا النَّاسِ بَعْدَ ذَهَابِهِ
إِذَا الدَّمَغُ لَمْ يُسْعِدْ كَيْبًا فَأَنْبَى
عَلَى دِمْنٍ جَرَتْ بِهَا الرِّيحُ بَعْدَنَا
وَمَا كُلُّ بَصْرِي شَكَا بِمُقْتَدِ
وَلَوْ أَنَّ بَصْرِيَا بَكَى كُنْهَ شَجْوِهِ
فَمَنْ مِيلَعُ عَنِّي بُرْنِيهَا وَرَهْطُهُ

ذَوَاتِ جُمُومٍ تَخْتَهَا وَتُضُوبِ
يُسَاقِطْنَ فِي دَيْمُومَةٍ وَشُيُوبِ؟
ذَوَاتِ وَسُومٍ فِيهِمْ وَلُذُوبِ^(٧)
وَلَكِنْ رَقِيبٌ مِنْ وَرَاءِ رَقِيبِ
عَلَى خَطَرٍ مِنْ مُجْتَثَاةٍ عَجِيبِ
لَدَى مَشْهَدٍ مِنَّا وَلَا بِمَغِيبِ
تَجَاوَزَ أَحْيَاءُ بِهَا وَشُعُوبِ
وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ (ها) .. وَخُطُوبِ
بِكُلِّ نَعِيمٍ فِي الْحَيَاةِ وَطِيبِ
خَلَا الْيَوْمَ مِنْ ذَا عَرٍ بِهِ وَمُجِيبِ
بِعَيْشٍ وَلَا مَغْنَامُ بِرَغِيبِ^(٨)
سَابِكِي وَأَبْكِي الدَّهْرَ كُلَّ كَيْبِ
ذُبُولِ الْبَلَى مِنْ شَمَالٍ وَجُوبِ
وَلَا كُلُّ بَصْرِي بَكَى بِمُعِيبِ^(٩)
بَكَى بِدَمٍ حَتَّى الْمَمَاتِ صَبِيبِ
وَمَا أَنَا فِي حَيْثُومٍ بِمُرِيبِ^(١٠)

(٦) اللسان : كلمة كهر . والتصحيح من الرسالة .

(٧) الوسوم : العلامات مفردتها : وسم ، أو هي أثر الكى . والندوب : الجراح .

(٨) المعنى : المنزل . مفرد : مغان .

(٩) التفنيد : اللوم . (١٠) بريها : تصغير إبراهيم

إِذَا أَتَيْتُمْ غَادِرَ لَمُومَهَا كَانَتْهَا
فَلَا تَرْفَعُوا الْأَبْصَارَ إِلَّا كَلِيلَةً
فَيَا بَصِيرَ كَمْ مِنْ هَالِكٍ مَاكَ خَسْرَةٌ
يَظُلُّ شَعَاعًا قَلْبُهُ وَمَيْتُهُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنَّا فَأَنْتَا
تَرَى الْغَيْشَ إِلَّا فِيكَ غَيْرَ حَيِّبٍ

وقال عمرو بن الأслع يري أبا جُنَيْدٍ بن عمرو بن الأسلع العبسي ويذكر قتل حُذَيْفَةَ
بنَ بَدْرٍ^(١٥) أباه :

فَلَا يَكُنِ الْوَدَاعُ أَبَا جُنَيْدٍ
فَإِنْ حَابَثَ حِيَالُ بَنِي سَيْعٍ
فَلَا تَيَأْسُ بِذَلِكَ وَاتَّظِرْنِي
أَنْتَ كَانَتْهَا غُفْبَانُ دَجْنٍ

وقال مُهْلِلُ بن ربيعة

قُتِلُوا كُلِّيَا ثُمَّ قَالُوا ازْبَعُوا
حَتَّى تُبِيدَ قِيلَةً وَقِيلَةً
وَتَجُولَ رَبَاثُ الْخُلُودِ حَوَاسِرًا
حَتَّى يَعْضُ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ
إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ
وَلَقَدْ وَطِنَ يُّوْتُ يَشْكُرُ وَطَاءَةً

وقال أيضا :

يَا بَكْرُ انْشُرُوا لِي كُلِّيَا
بَلْكَ شَيْئَانِ تَقُولُ لَذَمْلٍ
وَبَنُو يَشْكُرُ قَامُوا فَقَالُوا
وَبَنُو عَجَلٍ تَقُولُ لَقَيْسٍ

[المديد]

يَا بَكْرُ آيَنَ آيَنَ الْفِرَارُ؟
صَرَخَ الشَّرُّ وَبَانَ السَّرَارُ
قِصَّةٌ غَوَجَاءُ فِيهَا اسْتِئَارُ
وَلَتِيمَ اللَّاتِ سِيرُوا فَسَارُوا

(١١) العريب : الفرد الواحد . (١٢) الغروب : الدموع .

(١٣) أبصر : ترخيم للبصرى ، صب : مشتاق (١٤) الشعاع : التفرق .

(١٥) حذيفة بن بدر : هو قاتل مالك بن زهير العبسي .

(١٦) القُدَار : الطباخ . التقيعة : الطعام الذى يبيأ للقادم من السفر .

[حرب البسوس]

وسنملي يعقّب ذكّر مهلهل هذا خبر وقائعهم ليفهم مجرى هذه المراثي وما يتبعها من أمثالها من لم يفهمه ، ليعلم أنّ هذه الأشعار بُنيت على أساسات من حكم العرب ، تفيد أمثالا عجيبة ومذاهب غزيرة ، وأقوالا على أمور يُنتفع بها في مثل ما قصدوا له وفي غيره من غير بابيه . والحديث ذو شجون^(١) . وبالله الحول والقوة .

بكر وتغلب - ابنا وائل - شعبان ضخمان سادهما جميعا كليب بن ربيعة التغلبي ، وهو الذي يقال له : كليب وائل ، فيضرب به المثل ، حتى ادّعت ربيعة في كليب أن العرب كلها تنقاد لشرفها وفيه يقول النابغة الجعدي^(٢) لرجل من أهله بغى وتعدّى يُخَوِّفُهُ عُدْوَانُ الظُّلَمِ :

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَقْوَنَ ذُبَا مِنْكَ ضُرْجٌ بِالْذَّمِّ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَحَرَّ بِطَغْيَةٍ كَحَاشِيَةِ الثَّرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْتَهْمِ^(٣)

* * *

وكان سبب قتله على عِزَّة من قومه ولُحْمَتِهِ على أنّه كان لا يُرفع بحضرته صوت ولا يُسمع في ناديه كلمة خنا ، وفي ذلك يقول المهلهل في مراثيه إياه^(٤) : [الكامل]
ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ وَاسْتَبَّ بِغَدَاكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ
وَتَنَارَعُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْسُوا
وَمُهْلَهْلُ أَخُو كَلَيْبٍ وَاسْمُهُ عَدِي ، وهما ابنا ربيعة ، وكان مهلهل يُسَفِّهُهُ كَلَيْبٌ ، ويصفه بالغزل والتحدث إلى النساء ويذمّه^(٥) بذلك فيقول : أنت زير نساء .

(١) مثل يضرب في الحديث يتذكر به غيره .

(٢) أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله بن جعدة شاعر مطبوع فصيح عاش في الجاهلية والإسلام وحضر المواقع وهاجى بعض الشعراء وعمر ومات في أواخر خلافة مروان بن الحكم سنة : ٥٦هـ (انظر تاريخ الأدب لفروخ : ١ - ٣٤٢)

(٣) استحر : عطش عطشا شديدا ، والمستم : المخطط بصور على شكل السهم .

(٤) الكامل : ٢١٣ . (٥) ذمّه : أغضبه .

وكان شرف بكر بن وائل في ولد ذى الجَدَّين وهو عبد الله بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان . وهؤلاء أشراف وأبناء أشراف وهم بيت بكر بن وائل وشرفها .

* * *

وكانت إحدى بنات مُرة تحت كُليب بن ربيعة ، وكان عدُوُّ المهلهل آخى هَمَامَ ابن مُرة . وكان عاقده وعاهده ألا يَكُتُم أحدهما صاحبه خبِراً يقع إليه . فجاءت جارية لهما فسارته بشيء ، فتغير وجهه ، فقال المُهلهل :
ما قالت لك يا أخى ؟
فورى ،

فقال له : العهد !

فقال : خبرتنى أن أخى قتل أخاك .

فقال له المُهلهل : لا تُرع ، فإن همة أخيك لا تبلغ ذاك .

وسيتصل الخبر مستقصى بوقائعهم - إن شاء الله -

وكانت حربهم أربعين سنة في مقتل كليب ، وهو مَوْصُول بما ابتدأناه بما فيه من
مراثيم وغيرها . فقالت ماوية بنت مُرة امرأة كليب ، تشتكى ما بها من قتل أخيها
زوجها ، وهي قصيدة محيطة بالمعنى المقصود ، جيدة الكلام بوفرة التشكى : [الرملى]
يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ شِئْتَ فَلَا تَعْجَلِي بِاللُّؤْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
فَإِذَا أَنْتِ تَيَسَّنْتِ الْتَمِي عِنْدَهَا اللَّؤْمُ فَلَوْمِي وَاعْدِلِي
إِنْ تُكُنْ أَحْتِ أَمْرِي لِمَثَ عَلَى شَفَقِي مِنْهَا عَلَيْهِ فَأَفْعَلِي
قُلْ جَسَاسَ عَلَى وَجْدِي بِهِ قَاطِعَ ظَهْرِي وَمَقْنِ أَجْلِي
لَوْ بَعِنِي قُدَيْثُ عَيْنَ سَوَى أُحْيَهَا فَأَنْفَقَاثَ لَمْ أُخْفِلِ
تُخْمِلُ الْعَيْنُ قُدَى الْعَيْنِ كَمَا تُخْمِلُ الْأُمُّ قُدَى مَا تُفْعَلِي
يَاقِيلَا قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ سَقَفَ يَتَى جَمِيعًا مِنْ عَلِ
هَلَمْ الْبَيْتِ الَّذِي اسْتَحْدَثُهُ وَبَدَا فِي هَلَمْ يَتَى الْأَوَّلِ
وَرَمَانِي قُلُّهُ مِنْ كَيْبِ رَمِيَةِ الْمُضْمَى بِهِ الْمُتَأَصِّلِ
يَا نِسَائِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ حَصْنِي الدَّهْرُ بِزُرِّي مُضِلِ
حَصْنِي قُلْ كَلِيبُ بِلَطْلِي مِنْ وَرَائِي وَلَطْلِي مُسْتَقْلِي

لَيْسَ مَنْ يَنْكِي لِيُؤْمِنَ كَمَنْ
دَرَكَ الثَّأِيرَ شَافِيَهُ وَفِي
إِنَّمَا يَنْكِي لِيُؤْمِنَ كَمَنْ
دَرَكِي ثَأْرِي ثَكُلَ الثَّكِلِ
دَرَكًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي
حَسْرَتًا عَمَّا الْجَلَّتْ أَوْ تَنْجَلِي
وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزَأَ لِي^(٦)
إِنَّمَا قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ
جَلُّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَاسٍ قِيَا

* * *

قال أبو العباس :

قرأت على أبي محمد النحوي المعروف بالتوزي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي
مولي بني تميم بن مرة من قريش عن مقاتل الأحول بن سنان من بني سعد بن مالك
ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو الذي يقول فيه طرفة :
[الطويل]
رَأَيْتُ سَعُودًا مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ أَرِ سَعْدًا مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

قال مقاتل :

هذا عدى وأخوه كليب وسالم وفاطمة بنو ربيعة بن الحارث بن جشم بن بكر بن
حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكرى
ولا تغلبى أجار رجلاً ولا بعيماً إلا بإذن كليب ، ولا كان يحمى حمى إلا لم يقرب .
وكان لمرة بن ذهل بن شيان عشرة بنين [منهم] جساس ، وكان أصغرهم ، وكانت
أختهم عند كليب .

قال مقاتل :

وأم جساس بن مرة : هَيْلَةُ بنت منقذ بن سليمان وبن كعب بن عمرو بن سعد بن
زيد بن تميم . ثم خلف عليها بعد مرة بن ذهل سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .
قال فراس^(٧) :

وهي أمنا ، وخالة جساس يقال لها : البسوس .

قال أبو برزة :

(٦) نهاية الأرب : ٥ - ٢١٧ .

(٧) فراس هذا : هو ابن خندق البسوسي ، أحد رواة حرب بكر وتغلب .

البسوس أخت هَيْلَة ، فجاءت فنزلت على جسّاس فكانت جارة لبني مرة ومعها ناقة اسمها السراب وكانت خوّارة^(٨) صَفِيًّا من نَعَمِ بني سعد ، ومعها فَصِيلٌ لها .

قال أبو برزة :

وقد كان كليب قال لصاحبته - أخت جسّاس - هل تعلمين على الأرض عريبا يمنع مني ذمته ؟

فسكتت ، ثم أعاد ذلك عليها فسكتت ، ثم أعاد ذلك عليها الثالثة فقالت : نعم أخى جسّاس. ونَدَمَانُهُ ابن عمه عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل وعمرو هو الْمُزْدَلَف . وأما مقاتل فزعم أن امرأة كليب بينا تغسل رأس كليب وتُسَرِّحه ذات يوم إذ قال لها : من أعز وائل ؟ فَضَمَزَمَتْ^(٩)

فأعاد عليها : فَضَمَزَمْتُ ، فلما أكثر قالت : أخوئى جسّاس وهمام فنزع رأسه من يدها ، وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جسّاس وجارة بني مرة ، فأقصده ، فأغمضوا على ما فيها وسكتوا . ثم لقي كليب ابن البسوس . فقال :

ما فعل فَصِيلٌ ناقتكم ؟
قال :

قتلته واخليت لنا لبن أمه
فأغمضوا على هذه أيضا .
ثم إن كلييا أعاد بعد هذا على أمرأته فقال :
من أعز بنى وائل ؟

قالت : أخوئى
فأضمرها وأسرّها^(١٠) كليب ، وأسكّت حتى تمرّ إبل جسّاس فإذا الناقة فاستكرها
فقال :

(٨) يقال ناقة خوّارة وناقة صَفِيٌّ : أى كثيرة اللبن .
(٩) ضمز : سكت . المعجم الوسيط : ١ - ٥٤٦ .
(١٠) أسرها : أخفاها . أسكت : أضمر .

ما هذه الناقة ؟

قالوا :

لحالة جساس .

قال :

أوقد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجبر بغير إذن ؟ ارم ضرعها يا غلام فشقه .

قال :

فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة ، فاختلط لبنها ودمها .

وراحت الرعاء على جساس فأخبروه بالأمر فقال :

احلبوا لها مكياً من لبنها ، ولا تذكروا لها من ذلك شيئاً ، وأغمضوا عليها .

قال مقاتل :

حتى أصابتهم سماء ، ففدا في غيبها عمرو بن ذهل بن شيبان فطعن عمرو كلياً فقصم صلبه .

وأما أبو برزة فزعم أن جساساً أمسك حتى ظعن ابنا وائل ، فمرت بكر على نهى^(١) يقال له : شبيث ، فأبعدهم عنه كليب وقال : لا تذوقوا منه قطرة ، ثم مروا على آخر يقال له : الأحص فأبعدهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب^(٢) فمنعهم إياه ، فمضوا حتى نزلوا الذنائب ، وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليهم ، فمر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال :

أبعدت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم من العطش .

فقال كليب :

ما أبعدناهم إلا عن شيء نحن له شاغلون .

فمضى جساس ومعه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة ، ثم ناداه جساس :

هذا كفعلك بناقة خالتي .

قال :

(١) نهى : أى غدير . وشبيث : غدير بنجد . والأحص : غدير أيضاً بنجد

(٢) بطن الجريب : واد بنجد .

أوقد ذكرتها ! أما إني لو وجدتها في غير إبل بنى مرة بن ذهل لا ستحللت تلك الإبل بها !

فعطف عليه جساس الفرس فطعنه بالرمح ، فأنفذ حِصْنِيهِ^(١٣) فلما تَدَاءَمَ الموت قال :
ياجساس ، اسقني من الماء
قال :

ما عَقَلْتُ استسقاءك من الماء مُذْولدتك أُمُّكَ قبل ساعتك هذه .

قال أبو برزة : فعطف عليه المَزْدَلِفُ عمرو بن أبي ربيعة فحزَّ رأسه .
وأما مُقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل الذى طعنه فقصم صُلْبَهُ ، ففى ذلك يقول مهلهل :

قِيلَ مَا قِيلَ الْمَرْءِ عَمْرُو وَجَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرٍ^(١٤)

* * *

وقال نابغة بنى جَعْدَةَ لِعِقال بن حُوَيْلِدِ الْعُقَيْلَى لما أجار بنى وائل بن مَعْن ، وقد قتلوا رجلاً من بنى جَعْدَةَ ، فَحَذَّرَهُ عَذْوَانَ الظُّلْمِ واقتَصَرَ له أَمْرَ كَلْبٍ وحديثه : [الطويل]
كَلْبٌ لَعَمْرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ظَلَمًا مِنْكَ ضَرَجَ بِالْدَمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَحَرَّ بِطَقَّةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِ الْمُسْهِمِ
وَقَالَ لِحَسَّاسٍ : أَغْنَى بِشْرِيَّةٍ تَفْضُلُ بِهَا طَوْلًا غَلَى وَأَنْعَمِ
فَقَالَ : تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَى وَمَاءَهُ وَبَطْنَ شَيْثٍ وَهُوَ ذُو مَتْرَسَمٍ^(١٥)
وهى فى كلمة .

* * *

وقال العباس بن مِرْدَاسٍ لكَلْبٍ بن عَهْمَةَ الظُّفَرِيِّ أخى عباس ومالك بن عَهْمَةَ ، وكانوا شركاء فى الْقُرْيَةِ^(١٦) فَجَحَدَهُمْ [كَلْبٍ] حَظَّهُمْ منها ، فَحَذَّرَهُ غِبَّ الظُّلْمِ وما لَقِيَ كَلْبٌ منه :

(١٣) الحصن : مادون الإبط إلى الكشح . وتداءمه الموت : تراكم عليه .

(١٤) الضير : هو الإنسان الذى يصبر على الشر . والبيت فى الأغاني : ٥ - ٣٣ .

(١٥) المترسم : موضع الماء . (١٦) القرية : موضع فى ديار بنى سليم : الرسالة

أَكْلَيْبُ مَالِكُ كُلِّ يَوْمٍ ظَالِمًا وَالظُّلُمُ أَلَكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
فَأَفْعَلُ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
وَإِظْنُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتِكَ سِنَانُهَا الْمَسْنُونُ
إِنَّ الْقَرْيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ شَأْنُهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّيِّبُ
أَجْعَلْنِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ نَحْطُهَا وَأَبُو يَزِيدَ بِجَوْهَا مَدْفُونُ^(١٧)

* * *

وقال رجل من بكر بن وائل في الإسلام ، وهو يحمل على الأعشى ، وزعموا أنه شَيْلُ
بن عُرَيْرَةَ :

وَنَحْنُ قَهْرُنَا تَغْلِبُ ابْنَةَ وَائِلِ بِقَتْلِ كُلَيْبٍ إِذْ طَعَى وَتَخَيَّلَا
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعُهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مُتَذَلِّلَا^(١٨)

* * *

وهي كلمة .

قال :

ومقتل كليب بالذَّنَابِ عن يسار فَلَجَةٍ مُصْعِدًا إِلَى مَكَّةَ ، وذلك قول المهلهل : [الوافر]
وَلَوْ يُشِشُ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيَجْبَرُ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ
قال أبو برزة : فلما قتله جساس أُمَالُ بِيَدِهِ الْفَرَسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ خَارِجَةً رُكْبَتَهُ .
قالت أخته :

يا أُمَتَاهُ ، إِنْ جَسَاسًا قَدْ جَاءَ خَارِجَةً رُكْبَتَهُ .

قالت :

وَاللَّهِ مَا خَرَجْتَ رُكْبَتَهُ إِلَّا لِأَمْرِ عَظِيمٍ .

قالت :

مَا وَرَاءَكَ ؟

قال :

(١٧) الأغاني : ٥ - ٣٨ .

(١٨) هذان البيتان لسعد بن ميثم البكري . الرسالة

ورأى والله أنى قد طعنته طعنة لَتَشْتَغِلَنَّ منها شيوخ وائل رقصاً .

قالت :

أُقتلت كُلِّيًّا ؟

قال : نعم

قالت :

والله لوددتُ أنك وإخوتك كنتم مِثْمَ قبل هذا . ما لى إلا أن يتناكد لى أبناء وائل .

* * *

وزعم مقاتل أن جساسا قال لأخيه نُضْلَةَ بن مُرة - ويقال لهما اليوم عَضُدَا الحمار :
[الوافر]

وإلى قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْبًا تُغِصُّ الشَّيْخُ بِالماء القَرَّاح

فأجابه أخوه نُضْلَةَ بن مُرة فقال :

فَإِنْ تَكْ قَدْ جَنَيْتُ عَلَى حَرْبًا فَلَا وَإِنْ وَلَا رَتْ السِّلَاح

* * *

وإنما ذكرنا أول هذه الوقائع والسبب الذى مَجَّجَهَا نَطْرُقًا إلى مرأى مُهلَهْلٍ أخاه
وقومَه ليقع ذلك على مَعْرِفَةٍ عند من لم يكن عرفها .

قال المَهْلَهْلُ يرثى أخاه ، ويذكر أشراف مَنْ قُتِلَ به ، وأن ذلك ليس بكفء : [الوافر]
أَلَيْتَا بِذِي حُسْمٍ أَنِيرِى إِذَا أَنْتِ الْقَضِيَّتِ فَلَا تُحَوِّرِى
فَإِنْ يَكْ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِى فَقَدْ يَتَكَّى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَلَوْ تُبَشِّرِ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلِّبٍ فَيُخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَى زِيرِ (١٩)

معنى ذا أن كليًّا كان يُعَيِّرُ مُهلَهلا فيقول :

أنت زير نساء . وإنما يقال ذلك لمُؤَثِّرِ اللّهُو بالنساء والحديث إلين على المساعى وطلب
الذكر ، وكان مُهلَهْلُ أوقع بهم بالذَّنَائِبِ وقعة منكرة : لو رأى كليّب ما صنعت لَعَلِمَ
أنى غير زير .

يَوْمَ الشَّعْمَيْنِ لَقَرَعَيْنَا وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ نَحَتْ الْقُبُورُ؟ (٢٠)
وَأَنَّى قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

* * *

خَبِرَ بُجَيْرُ : وهو ابن الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ربيعة ، وكان الحارث من فرسانهم ، فاعتزل هذه الحرب . وجاء بُجَيْرُ يقاتل مع قومه يوم (واردات) ، وهو مشهور من أيامهم . فَأَخِذًا أَسِيرًا فقتله مُهْلَهْل ، وقال : بُوْ بِشِشْعِ كَلِيب . فقيل للحارث بن عباد :

إِنْ ابْنُكَ بِجَيْرًا قَتَلَ

فَقَالَ الْحَارِثُ :

إِنَّهُ لَأَعْظَمُ قَتِيلٍ بَرَكَةٌ إِنْ أَصْلَحَ اللَّهُ بَيْنَ ابْنِي وَائِلٍ .
فقيل له :

إِنْ مُهْلَهْلًا حِينَ قَتَلَهُ قَالَ : بُوْ بِشِشْعِ كَلِيب .

فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ :

[المديد]

قَرَبًا مَرَبَطَ التَّعَامَةَ مَنَى لِقَعَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حِيَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـهُ وَوَائِي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ
لَا بُجَيْرَ أَغْنَى فَيْسَلًا وَلَا زَهْ طُ كَلِيبِ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ
ثم دخل في الحرب .

نرجع إلى شعر مُهْلَهْل :

هَتَكْتُ بِهِ يُوثَ يَنِي عِبَادِ وَبَغَضُ الْعَشْمِ أَشْفَى لِسَلْصُدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ يُشْفَى مِنْ كَلِيبِ إِذَا بَرَزَتْ مُجْبَأَةُ الْخُدُورِ
وَهَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَيْنِ مِنَ السُّورِ
يَنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالرُّمَحُ فِيهِ وَيَخْلِجُهُ خَدَبٌ كَالْبَهْرِ
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجَرِ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُقْرِغُ بِالذِّكُورِ
فَدَنَى لَيْنِي شَقِيقَهُ يَوْمَ جَاءُوا كَأَسَدِ الْغَابِ لَجَّتْ فِي الزَّيْرِ

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِرٍ بَعِيدٌ يَنْ جَالِيَهَا جُرُورٍ
كَأَنَّ غُلْدَوَةَ وَبَنَى أَيْنَا بِجَنْبِ غُنَيْرَةِ رَحَا مُدِيرٍ
نَكُرٌ عَلَيْهِمْ عَوْدًا وَبَلَدًا كَانَ الْخَيْلُ تَنْهَضُ فِي غَدِيرٍ

[الخفيف]

وقال أيضا يرثيه :

طِفْلَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُحَلِّلِ بَيْضَا عَ لَمُوبٍ لَذِيْدَةٌ فِي الْعِنَاقِ
ضَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَى وَقَالَتْ يَاعِدِي لَقَدْ وَفَّقَكَ الْأَوَاقِي
مَا أَرْجَى بِالْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامِي قَدْ أَرَاهُمْ سَقُوا بِكَأْسِ حَلَاقِي
بَعْدَ عَمُرٍ وَغَامِرٍ وَخَيٍّ وَقَتِيلِي صَدُوفٍ وَأَبْنَى عَنَاقِي
وَأَمْرِي الْقَيْسِ مَيِّتٍ يَوْمَ أَوْدَى ثُمَّ حَلَى عَلَى ذَاتِ الْعَرَاقِي
وَكَلَيْبِ غَيْرِ الْفَوَارِسِ إِذْ حُ سَمَ رَمَاهُ الْكُمَاهُ بِالْإِيفَاقِي
إِنْ تَحْتَ الْأَخْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا وَخَصِيمًا أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِي

مَنْ قَالَ (مِغْلَاق) أَرَادَ : إِذَا عَلَّقَ خَصْمَهُ بَلَّغَ مِنْهُ . وَمَنْ قَالَ (مِغْلَاق) أَرَادَ : يُغْلِقُ الْحُجَّةَ

عَلَى الْخَصْمِ .

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَزِيدُ لَا يَنْ فَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْتُ الرَّاقِي

* * *

[أخبار طريفة وأشعار ظريفة]

وقد أطلنا القول في المراثي والتعازي وما بهما من المواعظ . وآخر بما أطيل أن يُمل .
وقد قال أحد المتقدمين : (من أطال الحديث فقد عرّض نفسه للملل ولسوء الاستماع) .

وقد كنا ذكرنا أشعاراً من أشعار المتقدمين ، فقلنا غلبها على وجهها . ثم رجعت
إلى أنها مجموعة في الكتاب الكامل على شرح جميع إعرابها ومعانيها ، فإن رجعت رجعت
معادةً ، وهو يُؤخذ من ثم . وقد أتى للقاضي رحمه الله أكثر من الحَوْل . وقد قال
ليبيد :

[إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمِ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا] وَمَنْ يَنْكَ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ

ولكننا نُشيع ما قد مضى من الأخبار بأخبار طريفة من هذا الباب ، وأشعار ظريفة
مختصرة ، ينقطع الكلام عليها إن شاء الله ، وبه القوة .

حُدِّثْتُ أَنَّ رَجُلًا عَزَى بِحَيٍّ بْنِ خَالِدٍ^(١) عَنْ حُرْمَةٍ لَهُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، تَقْدِيمُ الْحُرْمِ
مِنَ النُّعْمِ وَمَثَلُ :

تَعَزَّرَ إِذَا رُزِئَتْ بِخَيْرٍ دِزَعٍ تَسْرَبَلُ لِلْمَصَائِبِ دِزَعٍ صَبْرٍ
وَلَمْ أَرْ نِعْمَةً شَمَلَتْ كَرِيمًا كَعَوْرَةِ مُسْلِمٍ سُرْتُ بِقَبْرِ

وَسَمِعَ أَسْمَاءُ بِنْتُ خَارِجَةَ^(٢) الْفَزَارِي نَائِحَةً بِالْكُوفَةِ تَقُولُ :
فَمَنْ لِلْمَنَابِرِ وَالْخَافِقَاتِ وَلِلْجُودِ بَعْدَ زِمَامِ الْعَرَبِ
وَمَنْ لِلنَّعَاةِ وَحَمْلِ الدِّيَاتِ وَمَنْ يَفْرُجُ الْكَرْبَ حِينَ الْكَرْبِ
وَمَنْ لِلطَّعَانِ غَدَاةَ الْهِيَاجِ وَمَنْ يَمْنَعُ الْبَيْضَ عِنْدَ الْهَرَبِ

(١) يحيى بن خالد بن برمك معلم الرشيد ومؤدبه ثم اختاره لوزارته حتى إذا غضب على آل برمك
حبسه الرشيد وقد اتهمه بالخيانة ثم مات في السجن سنة ١٩٠ هـ عن عمر وصل إلى السبعين .
الأعلام : ٩ - ١٧٥ .

(٢) أسماء بن خارجة من التابعين من أهل الكوفة ، كان مقرباً للخلفاء ، سيدا في قومه توفي سنة
٦٦ هـ . الأعلام : ١ - ٢٩٩ .

فقال :

مثل هَذَا فَلْيُنِكَ . ثم قال :
يَا أَحَدُ إِنَّكَ إِنْ تُوسَّدَ لَيْسَا وَسُدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا فَلْتَدْمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ

* * *

وقال عبد الله بن العباس :

مَا أَتَّعَظْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَمَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَتَّعَظْتُ بِكِتَابِ كُتُبِهِ عَلَيَّ [رَضِيَ
الله عنه] إِلَى . وَكَانَ كِتَابُهُ :
أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسِرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ ، وَيَسُوُّهُ فَوْثُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَذْرُكُهُ .
فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ . وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ ذَلِكَ . وَمَا
نَلَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّعِمْ بِهِ قَرْحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ جَزْعًا ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ
لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

* * *

وقال بعضهم :

سَمِعْتُ بَكَاءَ رَاهِبٍ فَنَادَيْتُ :

يَا رَاهِبُ ! مَا يُنْكِيكَ ؟

فقال :

أُبْكَايَ أَمْرَ عَرَفْتُهُ فَجُرْتُ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَقَصَّرْتُ فِي طَلْبِهِ ، وَيَوْمَ مَضَى أَوْرَثَنِي غَيْرَتُهُ
وَحَسْرَتُهُ ، نَقَصَ لَهُ أَجَلِي ، وَلَمْ يَنْقُصْ لَهُ أَمَلِي .

* * *

وَرُوي أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ الْفَرَسِ كَانَ شَدِيدَ الْغَضَبِ ، فَكَتَبَ ثَلَاثَ رِقَاعٍ ، ثُمَّ وَكَّلَ
رَجُلًا حَازِمًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ :

إِذَا اشْتَدَّ غَضَبِي فَادْفَعُوا إِلَيَّ الْأُولَى ، فَإِذَا سَكَنْتُ بَعْضَ السَّكُونِ فَادْفَعُوا إِلَيَّ الثَّانِيَةَ ،
ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَيَّ الثَّالِثَةَ .

فَكَانَ فِي الْأُولَى : إِنَّكَ لَسْتَ بِالْإِلَهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ يَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ ، وَيَأْكُلَ بَعْضُكَ
بَعْضًا .

وَفِي الثَّانِيَةِ : ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وَفِي الثَّالِثَةِ : لُحِذِ النَّاسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ .

وقال أبو عبد الرحمن بن عائشة :
لما أتني بِحُجْرٍ بن عَدِي^(٣) وأصحابه لِيُقْتَلَ بِعَذْرَاء^(٤) قال :
ما اسمُ هذه القرية ؟

قالوا : عَذْرَاء .

قال : والله لَأَتِي لأول فارس وَغَرَّ^(٥) أهلها يوم افتتحناها .
فلما قُرِبَ لِيُقْتَلَ صَلَّيْ رَكَعَتَيْنِ ، وأظهر جرعاً ، قيل له :
أَتَجْزَع ؟

فقال :

وَلَمْ لَا أَفْعَل ؟ كَفَنَ مَنشُورٌ وَسَيْفٌ مَشْهُورٌ ، وَقَبْرٌ مَخْفُورٌ وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُؤَدِّينِي
إِلَى جَنَّةٍ أَمْ إِلَى نَارٍ !!

فلما قُتِلَ قال عَبْدُ اللَّهِ بن خليفة الطائي يرثيه :
تَذَكَّرْتُ لَيْلِي وَالشَّيْئَةَ أَغْصَرَا وَذِكْرُ الْهَوَى بَرَحَ عَلَيَّ مَنْ تَذَكَّرَا
أَقُولُ وَلَا وَاللَّهِ أَنَسَى مُصَابَهُمْ سَجِسَ اللَّيَالِي أَوْ أُمُوتَ فَأَقْبِرَا^(٦)
عَلَى أَهْلِ عَذْرَاءَ السَّلَامِ مُضَاعَفَا مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ السَّحَابُ الْكَنْهَوْرَا^(٧)
وَلَأَقْبَى بِهَا حُجْرٌ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً فَقَدْ كَانَ أَرْضَى اللَّهِ حُجْرٌ وَأَعْدَرَا
فَيَا حُجْرَ مَنْ لِلْخَيْلِ تُطْعَمُ بِالْقَنَا وَ لِلْمَلِكِ الْمَغْزَى إِذَا مَا تَقَشَّمَا^(٨)
فَقَدْ عِشْتُ مَحْمُودَ الْحَيَاةِ وَإِنِّي لَا طَمَعُ أَنْ تُعْطَى الْخُلُودُ وَتُخْبِرَا

وقال حسان بن ثابت يرثي جعفر بن أبي طالب^(٩) وزيد بن حارثة^(١٠) وعبد الله ابن

(٣) حجر بن عدى بن جبلة الكندي صحابي من أنصار علي بن أبي طالب ، وكان ضد بني أمية ،
قبض عليه زياد بن أبيه في الكوفة وأرسله إلى معاوية مكبلاً في الحديد فأمر بقتله سنة ٥١ هـ .

(٤) عذراء : قرية بغوطة دمشق .

(٥) وَغَرَّه : حبسه عن حاجته ووجهته

(٦) السجيس : أبدا .

(٧) الكنهور : التراكب الثمين .

(٨) المغزى : الظالم الذي لا يسمع النصيح . تقشمر : طغى .

(٩) سمى جعفر الطائر بن أبي طالب عم الرسول ﷺ من أوائل المسلمين في مكة وهو أكبر من
علي وهو أحد قادة غزوة مؤتة استشهد بها رضى الله عنه .

(١٠) زيد بن حارثة خادم رسول الله وحيبه وصاحب قصة التبنى وهو الصحابي الوحيد الذي
ذكر اسمه في القرآن الكريم استشهد في غزوة مؤتة رضى الله عنه .

رواحة^(١١) [فقد] أَمَرُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على جيش مؤتة : [الطويل]
 تَأْوِيْنِي لَيْلٌ يَيْتَرِبُ أَغْصَرُ وَهَمٌ إِذَا مَا نَوْمُ النَّاسِ مُسْهَرُ
 لِدُكْرَى حَبِيبٍ هَبَّتْ لَكَ غَبْرَةٌ سَفُوحًا وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّدَكُّرُ
 بَلَى إِنَّ فَقْدَانِ الْحَبِيبِ بَلَاءَةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يَتَلَّى ثُمَّ يَضْبِرُ
 رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا شِعُوبٌ وَقَدْ حُلِفَتْ فِيمَنْ يُؤَخَّرُ
 فَلَا يَتَعَدَّنُ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَفْعَرُ
 وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَنِيَةِ تُحْطَرُ
 غَدَاةَ مَضَى بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ التَّقِيَّةِ أَزْهَرُ
 أَغْرُ كَهْزُؤِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَيْ إِذَا سِيَمَ الظَّلَامَةِ يَجْسُرُ
 فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوسِدٍ بِمُعْتَرِكٍ فِيهِ الْفَنَاءُ تَكْسَرُ
 فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ جَنَانٌ وَمُلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَحْضَرُ
 وَكُنَّا نَرَى فِي جَفْعَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَقَارًا وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
 وَهَمٌ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسِ حَوْلَهُمْ دَعَائِمُ عِزٍّ لَا ثَرَامَ وَمَقْهَرُ
 بَهَائِلٍ مِنْهُمْ جَفْعَرُ وَابْنُ أُمِّهِ رَضَامٌ إِلَى طُودِ يَرْوَقَ وَيَقْهَرُ
 وَحَمْرَةٌ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَلِيُّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
 بِهِمْ تُفْرَجُ الْأَوْدَاءُ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُغَصَّرُ
 هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَمَاسٍ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
 عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ^(١٢)

ومما يستحسنه الناس من المراثي ، ويخفف على ألسنتهم قصيدة محمد بن مُنَادِرٍ
 الصُّبَيْرِيِّ^(١٣) مَوْلَى بَنِي صُبَيْرٍ بْنِ يَرْبُوعٍ فِي عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ^(١٤) حَتَّى
 خَلَطُوا فِي الرِّوَايَةِ ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَنَحْنُ [نُتَمَلَّى] اخْتِيَارًا مِنْهَا تَقَعُ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ
 الْحَسَنَةُ مِنْ قَوْلِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَالْكَلَامِ الْمَرْضِيِّ مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ الَّتِي أَوْلَاهَا :
 كُلُّ حَيٍّ لَأَقْبَى الْحِمَامِ قَمُودٍ مَالِحِي مَوْمَلٍ مِنْ خُلُودِ
 لَا تَهَابُ الْمَنُونُ حَيًّا وَلَا تَبُ قِي عَلَى الْوَلَدِ وَلَا مَوْلُودِ

(١١) عبد الله بن رواحة أنصاري خزرجي صحابي جليل استشهد في غزوة مؤتة .

(١٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٧٨ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .

(١٣) أبو جعفر محمد بن مناذر شاعر كثير الأخبار وال نوادر على علم بالأدب واللغة مات بمكة

سنة : ١٩٨ هـ . (١٤) عبد المجيد هذا من أصحاب ابن مناذر .

يَقْدَحُ الدَّهْرُ فِي شَمَارِيخِ رَضْوَى وَيَحْطُ الصُّخُورَ مِنْ هُبُودِ^(١٥)

يزعمون أنه غلط في هذا ، وأن هبود حفيرة ، ليس كما قالوا ، إنما الحفيرة هبوب ، والذي قال هو : هبود . وذكروا أنها أكمة .

وَلَقَدْ تَنَرَّكَ الْخَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ وَهِيَ فِي الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ
لَيْسَ يَتَّقِي عَلَى الْخَوَادِثِ حَتَّى غَيْرَ وَجْهِ الْمُهَيَّمِينَ الْمُقْبُودِ

وعما استحثت منها ولم أرذل غيره قوله :

أَيَّنَ رَبُّ الْحِصْنِ الْحَصِينَ بِسُورَا
شَادَ أَرْكَائِهِ وَبَوَابَهُ بَا
كَانَ يُجْبَى إِلَيْهِ مَا بَيْنَ صَتَا
وَتَرَى حَوْلَهُ زُرَافَاتٍ خَيْلِ
فَرَمَى شَخْصَةً فَأَقْصَدَهُ الدَّهْرُ
ثُمَّ لَمْ يَنْجِهِ مِنَ الْمَوْتِ حِصْنٌ
وَمُلُوكٌ مِنْ قَبْلِهِ عَمَرُوا الْأَرْ
فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ [أَحْلَدْنَ حَيًّا
مَا دَرَى نَفْسُهُ وَلَا حَامِلُوهُ
وَبَحَّ أَيْدٍ حَثَّ عَلَيْهِ وَأَيْدٍ
غَيَّبَتْ فِي الصَّعِيدِ خَزْمًا وَعِزْمًا
إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى
هَذَا رُكْنِي عَبْدَ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ
جِئْتُ نَمْتُ آدَابُهُ وَتُرْدَى
وَسَمْتُ نَحْوَةِ الْعِيُونِ وَمَا
وَكَأَنِّي أَذْغُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ
وَلَيْنَ كُنْتُ لَمْ أُمْتُ مِنْ جَوَى الْحَزْ
لَأَقِيمَنَّ مَا تَمَّا كَنُجُومِ اللَّ
مُوجِعَاتِ يَكِينِ لِلْكَبَدِ الْحَرِّ

ع وَرَبُّ الْقَصْرِ الْمُئَيِّفِ الْمَشِيدِ^(١٦)
بَنَى حَدِيدٍ وَخَفَهُ بِجُودِ
عَ فَمَضَى إِلَى قَوَى يَرُودِ
جَافِلَاتٍ تَعْدُو بِمَثَلِ الْأَسُودِ
رُ بِسَهْمٍ مِنَ الْأَمْثَالِ سَدِيدِ
دُونَهُ خَنْدَقٌ وَبَابٌ حَدِيدِ
ضَ أَعْيُنُوا بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ
لِعَلَاءِ أَحْلَدْنَ عَبْدَ الْمَجِيدِ^(١٧)
مَاعِلِ الثَّغْرِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
دَفَنَتْهُ مَا غَيَّبَتْ فِي الصَّعِيدِ
وَلَزَّازِ الْخَضَمِ الْأَلَدِ الْعُودِ
هَذَا رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
ثَ بِرُكْنٍ [مِنْهُ] أَبْوً شَدِيدِ
بِرْدَاءٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدِ
نَ عَلَيْهِ لِزَائِدٍ مِنْ مَزِيدِ
جِئْتُ أَذْغُوهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ
نَ عَلَيْهِ الْأَبْلَقْنَ مَجْهُودِ
يَلْ زُهْرًا يَلْطَمَنَّ حُرَّ الْخُدُودِ
يَ عَلَيْهِ وَلِلْفَوَادِ الْعَمِيدِ

(١٥) رَضْوَى : جبل بالمدينة وهبود : جبل .

(١٦) سوراء : موضع بجانب بغداد . (١٧) ما بين القوسين نقص أكمل من الكامل : ١٢٢٨ .

(١٨) الكامل : ١٢٢٦ . استعنا بما جاء في الكامل بتكملة النقص ، وتوضيح ما صعبت قراءته .

وَلَعَيْنَ مَطْرُوفَةٍ أَبَدًا قَا لَ لَهَا الدَّفْرُ : لَا تَنَامِي وَجُودِي
كَلَّمَا عَزَّكَ الْبُكَاءُ فَأَلْفَدَ تَ لِعَبْدِ الْمَجِيدِ سَجْلًا قَعُودِي
لَفَتِي يَخْسُنُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ وَقَتِي كَانَ لَامْتِدَاحِ الْقَصِيدِ^(١٨)

فكل هذه الأبيات غرّة ، ولقد بلغني بلاغا إخاله صحيحا أن عبد المجيد كان للمدح حياته موضعاً ، وللمراثي بعد موته مستوجباً عفاً وجمالاً وأدباً وشباباً .

وقال القائل :
وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَثَّ قَائِلُهُ يَنْتَ - يَقَالُ إِذَا أَثْثَدْتُهُ صَدَقَا^(١٩)

وأحسن من ذلك - وإن جل قدر المؤمن - بكاء الرجل على نفسه - وإن كان حياً ،
لما يتوقَّعُهُ . كما قال [أبو العتاهية] إسماعيل بن القاسم :

[السريع]
كَمْ سَتَرِي فِي النَّاسِ مِنْ هَالِكٍ وَهَالِكٍ حَتَّى تُرَى هَالِكَا^(٢٠)

فهذا مأخوذ مما يروى أن الصديق - رحمة الله - كان يُكثر إنشاده وهو :

[مجزوء الكامل]

ثَنَّفَكَ تَسْمَعُ مَا حَيْثُ بِهِالِكَ حَتَّى تُكُونَهُ
وَالْمَرَّةَ قَدْ يَرْجُو الرُّجَاءَ مُغَيًّا وَالْمَوْتَ دُونَهُ^(٢١)

ومع قوله هذا :
أُصْبَحْتُ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكََا
إِجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى دَمِّهَا وَمَا تُرَى مِنْهُمْ لَهَا قَارِكَا
ومثله قوله : [أبو العتاهية] :

تَنَافَسُ فِي الدُّنْيَا وَتَحْنُ نَعِيمُهَا وَقَدْ حَذَرْتَاهَا لَعَمْرِي حُطُوبُهَا
وَمَا نَحْسَبُ السَّاعَاتِ تُقَطِّعُ مُدَّةَ عَلَى أَنَّهَا فِينَا سَرِيعُ دَيْبُهَا
كَأَنِّي بِرَهْطِي يَخْمِلُونَ جَنَازَتِي إِلَى حُفْرَةٍ يُخْتَى عَلَى كَيْبُهَا
وَبَاكِئَةٍ حَرَّى تُسَوِّحُ وَإِنْسِي لَفِي غَفْلَةٍ عَنْ صَوْتِهَا لَا أَجِيئُهَا
وَإِنِّي لَمِئَنٌ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَيُعْجِنِي رُوحَ الْحَيَاةِ وَطَيْبُهَا

(١٩) القائل طرفة بن العبد والبيت في الديوان :

(٢٠) الديوان : ٣٠٩ .

(٢١) مر هذان البيتان ولا يعرف قائلهما :

يَدُومُ طُلُوعُ الشَّمْسِ لِي وَغُرُوبُهَا
تُحَادِثُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا
وَنَفْسِي سَيَأْتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيْبُهَا (٢٢)

فَحَتَّى مَتَى [حَتَّى مَتَى] وَالَى مَتَى
أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا قُسِمَتْ بَيْنَ الْفُسْرِ

وقال منصور التَّمَرِيُّ (٢٣) يرى يزيد بن مَزِيد (٢٤) :

أَبَا خَالِدٍ مِنْ بَعْدِ آلَا تَلَايَا
أَصَابَتْ مَعْدًا يَوْمَ أَصْبَحْتَ ثَاوِيَا
فَتَبَكَّى مَعْدٌ وَالْقَيْلُ الْيَمَانِيَا
فَقُلْتُ لَهُ : أَصْبَحْتَ لِلْجُودِ نَاعِيَا
بَعْبِرَةَ مَحْزُونٍ بَكَّى لِبُكَائِيَا
فَهَيَّجَنَ أَحْزَانًا غَلَبَنَ غَزَائِيَا
وَقَدْ عَايَنْتُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ شَاجِيَا ؟
شَمَاتًا لَقَدْ مَرُّوا بِرَبْعِكَ خَالِيَا
سَلَقَى الْأَعَادَى مِنْ يَدَيْهِ الدَّوَاهِيَا
إِذَا النَّفْسُ جَاشَتْ لَوْ بَلَّغَنَ الثَّرَاقِيَا

مَتَى يَزِيدُ الْحُزْنَ الَّذِي فِي فُؤَادِيَا
أَبَا خَالِدٍ مَا كَانَ أَذْهَى مُصِيبَةً
أَبَا خَالِدٍ لَا بَلْ عَمَمَتْ بِنَكْبَةٍ
وَنَاعَ غَدَا يَنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ
أَعْيَنِي جُودًا بِالْذُّمِّ وَأُسْعِدَا
سَمِعْتُ بُكَاءَ الثَّالِحَاتِ بِسُخْرَةٍ
إِلَّا عَذَرَ اللَّهِ الْعِيُونَ الْبَوَاكِيَا
لَعَنَرِي لَيْنَ سُرِّ الْأَعَادَى وَأَظْهَرُوا
وَحَلَفْتُ لَيْكِي غَابَتَيْنِ كِلَاهُمَا
فَتَشِيْهَكَ أَحْلَافًا وَعِزَّةَ أَلْفُسٍ
قال :

(النَّفْسُ) فِي مَوْضُوعٍ : (النَّفْسُ) .

خَيَالِكَ يَسْرِي ثُمَّ يُصْبِحُ غَادِيَا
إِذَا نَكَلَ الْحَامُونَ كُنْتُ مُحَامِيَا
وَتَحْمِي لَهْ أَطْرَافُهُ وَالْقَوَاصِيَا
وَكُوكِبَةٌ تَرْمِي الْعِدَا وَالْمُنَاوِيَا
وَسَيِّفًا لَهُ عَضْبًا يَقْدُ الْهُوَادِيَا
وَلَمْ يَكْ مَنْ يَكْفِي أَصَابَكَ كَافِيَا
وَشَمْرَتْ أَذْيَالًا وَلَبَيْتَ دَاعِيَا ؟
وَأَوْشَكَتْ مِنْهُ رَفَعٌ مَا كَانَ وَاهِيَا

سَقِيتِ السَّوَارِي وَالْفُؤَادَى وَقَدْ أَرَى
نُعْزَى بِكَ الْإِسْلَامَ إِنَّكَ دُونَهُ
مُشْمَرٌ أَذْيَالٍ تُحَوِّطُ حَرِيمَهُ
وَكُنْتُ شِهَابًا لِلْخَلِيفَةِ ثَاقِيَا
وَكُنْتُ سِنَانًا [نَافِذًا] فِي يَمِينِهِ
وَكُنْتُ إِذْ نَادَى لِأَمْرِ عَظِيمَةٍ
.....
وَقُمْتُ بِأَمْرِ الثُّغَرِ بَعْدَ فُسَادِهِ

(٢٢) ديوان أبي العتاهية : ٦٠ .

(٢٣) منصور بن سلمة بن الزبير كان من شعراء الدولة العباسية وهو تلميذ العتاي شاعر الرشيد وكان شديد العداء للطالبيين توفي حوالى سنة ٢١٠ هـ (انظر فوات الوفيات : ٤ - ١٦٤) .

(٢٤) له ترجمة مطولة في وفيات الأعيان : ٦ - ٣٢٧ وفيها بعض هذه الأبيات : ٦ - ٣٤٠ .

فَقَدْ مَاتَ مَعْرُوفٌ وَمَاتَتْ تِجَارَةٌ
لُعِزِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطُهُ
لَقَدْ كَانَ فِي أَغْدَائِهِمْ ذَا شَكِيمَةٍ
وَمَلَانِ مِنْ وَدِّ الْخَلِيفَةِ صَدْرُهُ
مَضَى مَاجِدَ الْأَيَّامِ رَافِعَ هِمَّةٍ
فَإِنْ عُدَّ فِي دُنْيَا قَدْ كُرَّ مَكَارِمِ
عَلَى مِثْلِ مَا لَأَقَى يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ
فَتَى كَانَتْ الْأَبْطَالُ تُعْرِفُ أَتُّهُ
فَإِنْ تَكُ أَفْتَتُهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ
حَلَفْتُ لَقَدْ أَبْقَى يَزِيدُ لِرَهْطِهِ

وَمَاتَ غَنَاءَ يَوْمَ وَدَّعْتَ مَاضِيَا
بَسِيفٍ لَهُ مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ تَابِيَا
لَهُمْ نَاهِكَا بَدَا وَقَدْ كَانَ تَاكِيًا ؟
يُؤْدِي إِلَيْهِ التَّصْحُ مَذَّكَانَ نَاشِيَا
إِلَى الْخُلُقِ الْأَعْلَى مِنَ الدَّمِ نَاجِيَا
وَإِنْ عُدَّ فِي دِينِ فَلَمْ يَكُ تَالِيَا
عَلَيْهِ الْمَنَآيَا فَالْقَى إِنْ كُنْتَ لَاقِيَا
إِذَا قَارَعَتْهُ لَيْسَ بِالضَّيْمِ رَاضِيَا
فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا
مَعَالِي لَا تُشْفِكُ تُبْنِي مَعَالِيَا^(٢٥)

[خاتمة شريفة]

كنا أردنا أن نغلي أشعاراً من أشعار المحدثين في ضروب من المراثي فأشفقنا من أن يُستَحْفَ بهذا الكتاب ، والمراثي لا تنقضى ما كان الناس ، فأحببنا أن نُخْتِمَهُ ونأخذ في غيره ، وأن يكون ما نختمه شريفاً بهياً ، فاخترنا له قصيدة أنشدناها الرياشي لرجل من غطفان من بني عبد الله ، كانت له صحبة قُتِلَ يوم جُلُولَاء^(١) يقال له : سالم ، يرثي رسول الله ﷺ :^(٢)

[المقارب]

لِصَّبْحِكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ
وَأَيُّ الْبَرِّيَّةِ لَا يَتَّكِبُ
إِلَّا جَوَى دَاخِلُ مُنْصِبُ
فَخَيْمَ فِيهِ لَمَّا يَذْهَبُ
وَمَا بَالُ ذَمِّكَ لَا يَسْكُبُ
وَضَاقَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَالْمَذْهَبُ
يُكَيِّ مِنَ النَّاسِ أَوْ يَتَذَبُ
كثيرَ الْفَوَاضِلِ لَا يُجْسِدُ
بِ مَخْضِ الصَّرَائِبِ لَا يُؤْشِبُ
دِ ضَخَمِ الدَّسِيعَةِ لَا يُخَسِبُ^(٣)
سَرِيحاً سَوَابِلَهُ مُخْصِبُ
صَدُوقِ الْمَقَالَةِ لَا يَكْذِبُ
شُهُودِ الْمَدِينَةِ وَالْقَبِيبُ
وَشَرْقُ الْمَدِينَةِ وَالْمَغْرِبُ
إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُخْجِبُ
تُطِيفُ بِعَقُورَتِهِ أَشِيبُ^(٤)

أَفَاطِلُكُمْ بَكَّى وَلَا تَسْأَمِي
فَقَدْ هُدَّتِ الْأَرْضُ لَمَّا ثَوَى
فَمَالِي بَعْدَكَ حَتَّى الْمَمَاتِ
جَوَى حَلِّ يَنْ الْحِشَا وَالشُّغَافِ
فَيَاغِينُ وَيَحْكُ لَا تَسْأَمِي
وَقَدْ بَانَ مِنْكَ الْأَذَى تَعْلَمِي
وَمَنْ ذَا - لِكَ الْوَيْلُ - بَعْدَ الرَّسُولِ
فَإِنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ خَيْرَ الْأَنْامِ
وَأَنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ سَهْلَ الْجَنَّا
وَأَنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ نُورَ الْبَلَا
وَأَنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ خَيْرَ الْأَنْامِ
وَأَنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ وَارِى الزِّنَادِ
وَتَبْكِي الرَّسُولَ وَحَقَّتْ لَهُ
وَتَبْكِي لَهُ الصُّمُّ صُمُّ الْجِبَالِ
وَتَبْكِيهِ شُعَاءُ مَضْرُورَةٍ
(وَتَبْكِيهِ) شَيْخُ أَبُو وَلَدَةٍ

(١) جلولاء : ناحية من الوادي في طريق خرسان . معجم البلدان : ٣ - ١٢٩

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة منسوبة إلى صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ذكر ابن سعد في طبقاته بعض أبياتها ، وذكر التويري عشرة أبيات منها في نهاية الأرب : ١٨ - ٤٠٤ .

(٣) الدسيعة : العطية الجزيلة . المعجم الوسيط : ١ - ٢٨٣ .

(٤) العقورة : ساحة البيت ، وما بين الأقواس في أول هذا البيت وما بعده نقص أتمناه من الرسالة ، ومن نهاية الأرب : ١٨ - ٤٠٤ .

(وَيَكِيهِ) أَهْلُ النَّهْيِ وَالْحَجَى مِنْ النَّاسِ وَالطَّارِقُ الْأَحْيَبُ
وَبِكِيهِ ضَيْفٌ جَفَاءُ الصَّدِيقِ وَذُو النَّسَبِ الدَّاخِلُ الْأَقْرَبُ
وَيَكِيهِ شَغْتُ خِمَاصُ الْبُطُونِ اضْرَبْ بِهِمْ زَمَنٌ أَلْكَبُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا



[حديث للعائد والمؤتم]

هذا آخر الكتاب .

وقيل :

ما قيل فيه ﷺ قليل وإن كان كثيراً في اللفظ ، ويسير وإن كان جليلاً في النفس ،
وعليه رحمة الله وبركاته .

وهذا حديث نذكره لِيَتَّبِعَهُ ذِكْرُهُ عليه السلام ، ويعوذ به عائد ، ويأتّم به مؤتم :

حدثني الرياشي العباس بن الفرّج قال :

أخبرنا أحمد بن شبيب قال : أخبرنا أبي عن رَوْح بن القاسم عن أبي جعفر الخطّبي
المدني . عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أَنَّ رجلاً كان
يختلف إلى عثمان بن عفان رحمة الله عليه في حاجة له ، وكان عثمان لا ينظر إليه ، ولا
يلتفت إلى حاجته . فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف :
إِنِّي الْمِيضَاءُ فَتَوْضاً ، ثُمَّ إِثْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلُّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ :
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّد ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَيَقْضِي
لِي حَاجَتِي وَتَذَكُرَ حَاجَتَكَ ، ثُمَّ رُخْ حَيْثُ تَرُوحُ^(١) .

فانطلق الرجل فصنع ذلك . ثم أتى باب عثمان بن عفان - رحمة الله عليه - فأخذ
البواب بيده ، فأدخله على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فأجلسه معه على
الطَّنْفَسَةِ^(٢) فقال له :

حاجتك ؟

فذكر له حاجته فقضاها ، ثم قال :

ما فهمت حاجتك حتى كانت الساعة . وقال :

انظر ما كانت لك من حاجة .

ثم إِنَّ الرجل خرج فلقي عثمان بن حنيف ، فقال له :

جزاك الله خيراً . ما كان ينظر في حاجتي ولا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حتى كلمته .

فقال عثمان بن حنيف :

(١) تصحيح من الرسالة فقى (ل) : حتى أروح .

(٢) الطَّنْفَسَةُ : البساط أو الحصير .

ما كلمته ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ ، وجاء ضرير فشكا إليه ذهاب البصر ، فقال رسول الله ﷺ :

أو تصبر ؟

فقال :

يا رسول الله إنه ليس لى قائد ، وقد شقَّ على .

فقال النبي ﷺ :

إيت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم قل :

اللهم ، إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة ﷺ . يا محمد ، إني أتوجه

بك إلى ربى ليرد لى - الله - بصرى^(٣) .

اللهم شفعه فى ، أو شفعنى فى نفسى .

قال عثمان بن حنيف :

فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضرر .

تم كتاب التعازى والمراثى

بأسره ، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

وكان الفراغ منه فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة من سنة ثلاث وستين وخمسمائة

(٣) ليرد الله بصرى : يياض صححنه بما يناسب المقام .

(أعلام لها تراجم)

أولا :

الصفحة	الرقم في الصفحة	الأسماء	الصفحة	الرقم في الصفحة	الأسماء
١٣	١	السيرافي .	٥١	١١	ضرار بن الأزور الأسدي .
١٣	٢	نفظوية .	٥١	١٢	التَّوَزَي .
١٤	٣	ابن جنى .	٥٤	٣٠	عمارة بن عقيل .
١٤	٤	علي بن يوسف القفطى .	٥٤	٣١	خالد بن يزيد بن مزيد
٤٢	٤	أبو الحسن المدائنى .	٥٤	٣٣	الرياشى العباس بن فرج
٤٢	٥	دريد بن الصمة .	٥٥	٣٥	ابن الأزور
٤٣	٧	أبو عبدة .	٥٩	٥٥	أبو المغوار .
٤٣	٨	يونس بن حبيب .	٦٠	٦٠	هَرم بن سنان .
٤٣	١٠	أبو خراش الهذلى .	٦٠	٦٤	مخلد بن يزيد بن المهلب .
٤٣	١٢	أبو ذؤيب	٦١	٦٨	الخنساء .
٤٣	١٤	أوس بن حجر .	٦٢	٧٢	الناطقة .
٤٤	٢٢	عمرو بن معدى كرب .	٦٢	٧٣	حصن بن حذيفة .
٤٤	٢٤	حارثة بن بدر الغذانى .	٧٠	١٠٢	قيس بن عاصم
٤٥	٣٠	الضحاك بن قيس .	٧٢	١١٢	الشاعر
٤٦	٣٢	الأصمعى .	٧٤	١٢٦	عبد الله بن جعفر الهاشمى
٤٦	٣٣	الحسن .	٧٧	٥	جويرة بن أسماء
٤٦	٣٦	عبد الرحمن بن أبى بكرة .	٨١	٢٥	سلم بن قتيبة
٤٧	٣٧	شيبه بن نصاح .	٨٢	٢٩	إسماعيل بن يسار
٤٧	٣٨	أسماء بنت عميس .	٨٢	٣٠	أرطاة بن سهبة المرى
٤٨	٤١	الحسن بن دينار .	٨٣	٣٢	مالك بن دينار .
٤٨	٤٢	علي بن زيد .	٨٣	٣٥	سعيد بن العاصى .
٤٨	٤٣	أنس بن مالك .	٨٣	٣٦	عبد الله بن عامر
٤٨	٤٥	أبان .	٨٤	٤٠	صدقة بن عبد الله المازنى .
٥٠	١	متمم بن نويرة .	٨٤	٤١	حتظلة بن عبدالله الأسيدى
٥٠	٤٠	كعب بن سعد الغنوى .	٨٥	٤٣	عامر بن حفص .
٥٠	٦	أعشى قيس .	٨٦	٤٧	مخلد بن حمزة .
٥١	١٠	خالد بن الوليد بن المغيرة .	٨٦	٤٨	عبد الملك بن عمير .

الصفحة	الرقم لى	الاسماء	الصفحة	الرقم لى	الاسماء
٨٧	٤٩	عبد الله بن الزبير .	١١٥	٤٨	محمد بن علي بن الحنفية
٨٩	٥٥	بشر بن عبد الله بن عمر	١١٦	٥١	هشام بن عقبة .
٩١	٦٣	محمد بن عباد .	١١٨	٤	سعد بن عباد .
٩٢	٦٨	مسلمة .	١١٩	٩	الراعى .
٩٤	٧٢	محمد بن حرب الهلالى .	١٢٠	١٠	سعيد بن سلم الباهلى .
٩٤	٧٢	ابن الأعرابى .	١٢٨	٣٧	عبد مناف بن ربيع الهدلى .
٩٤	٧٤	كعب بن سور .	١٣١	٤٥	ابن أحمر .
٩٦	٧٧	الشاعر عبد الرحمن .	١٣٢	٥٦	ذو الرمة .
٩٧	٧٩	عمر بن ذر .	١٣٥	١	فطر بن خليفة .
٩٨	٨٤	عوانه .	١٣٧	١	لوط بن يحيى .
٩٩	٨٥	محمد بن الفضل أو حازم	١٣٧	٢	عبد الرحمن بن ملجم .
٩٩	٨٦	عقبة بن عياض الفهرى .	١٣٨	١	عيسى بن يزيد .
١٠٠	٨٨	عمر بن مجاشع .	١٣٨	٢	رملة .
١٠٠	٨٩	نافع مولى عبد الله بن عمر .	١٤١	١	أبو عبيدة بن الجراح .
١٠٠	٩٣	يعقوب بن داود .	١٤٢	١	معاذ بن جبل .
١٠١	٩٦	امراة من بنى الحارث .	١٤٥	١١	مهرة .
١٠٢	٩٩	الحسن بن الحصين أبو عبيد الله	١٥٠	١٨	ربيعة بن مكدم .
١٠٢	١٠٠	صالح المرى .	١٥٠	١٩	الربيع بن خثيم .
١٠٢	١٠٢	محمد بن سيرين .	١٥١	٢	عمر بن هبيرة .
١٠٤	١٠٦	سعيد بن المسيب .	١٥١	٤	إبراهيم بن يزيد النخعى .
١٠٤	١٠٧	أبو مسلم الخولانى .	١٥٣	١	المهلب بن أئى صفرة
١٠٥	١	ليلى الأخيلية .	١٥٥	٢٨	نهار بن توسعة .
١٠٥	٢	توبة الحميرى .	١٥٥	٣٠	قتيبة من سلم .
١٠٩	٦	سليمان بن قرة .	١٥٦	٣١	مخلد .
١١٠	٣١	الحكمى .	١٥٧	٣٥	المسور .
١١١	٣٣	يزيد بن مزيد .	١٥٧	٣٧	السائب بن الأقرع .
١١١	٣٥	خليد بن عنين .	١٥٧	٣٩	بكر بن عبد الله المزنى .
١١١	٣٦	الجارود العبدى .	١٦٢	٥٤	ابن السماك .
١١٤	٤٥	وضاح اليمن .	١٦٤	٥٨	رجاء بن حيوة .
١١٤	٤٦	معن بن أوس .	١٦٥	٦٦	الحسن بن عمارة .

الصفحة	الرقم ل	الاسماء	الصفحة	الرقم ل	الاسماء
١٦٦	٦٨	عاتكة .	١٩٩	٢٤	الشعبي .
١٦٨	٧٥	المعافى بن عمران .	١٩٩	٢٥	شريح .
١٧١	٢	مسلم بن الوليد .	٢٠٠	٣٠	معتمر بن سليمان
١٧١	٣	الفضل بن سهل .	٢٠٠	٣٢	مجزأة بن ثور السدوسي
١٧١	٦	إبراهيم بن المهدي .	٢٠١	٣٤	مالك بن أسماء بن خارجة
١٧٤	٢٤	إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية .	٢٠٦	٤٨	ابن كناسة .
١٧٥	٣١	رجل من قيس (بشار بن برد)	٢٠٧	٥٤	الأشعث بن قيس .
١٧٥	٣٢	محمد بن بشار .	٢٠٨	٥٨	موسى الهادي
١٧٦	٣٥	عبد الله بن عمر العبلي .	٢٠٩	٦٢	إيأس بن معاوية .
١٧٩	٤٤	رجل من الخوارج .	٢١٠	٦٧	سفيان .
١٧٩	٤٧	أبو عبد الرحمن العتيبي .	٢١٠	٦٨	محارب بن دثار .
١٨٠	٤٨	محمد بن عبد الملك (الزيات)	٢١٢	٧٢	أبو مكدم .
١٨٢	٥٠	رجل من بني شيان (الحسين بن مطهر) .	٢١٧	١١	مصعب بن الزبير .
١٨٢	٥٢	عبد الصمد بن المزدل .	٢١٧	١٢	سنان بن سلمة .
١٨٦	٦٤	مروان بن أبي الجنوب .	٢١٨	١٤	طارق
١٨٨	٦٨	الحسن بن وهب .	٢١٨	١٧	نافع
١٩٢	٧٧	محمد بن عباد .	٢٢٠	٢٢	أبو موسى الأشعري .
١٩٣	٨١	دعبل بن علي الخزاعي .	٢٢٠	٢٥	جرير بن عبد الله البجلي
١٥٣	٨٣	أشجع بن عمر السلمي .	٢٢١	٢٧	عباد بن زياد
١٩٥	٢	إسماعيل بن يسار .	٢٢٥	١٠	عاصم بن عمر .
١٩٦	١١	البعيث .	٢٢٥	١١	عبيد الله بن عمرو
١٩٧	١٨	سفيان بن عيينة .	٢٢٥	١٣	كعب الأحبار .
١٩٨	١٩	سعيد بن جبير .	٢٢٦	١٧	الزبير بن العوام
١٨٩	٢٠	القلاخ بن حزن .	٢٢٧	١٨	طلحة بن عبيد الله
١٨٩	٢٢	ضمرة بن ضمرة .	٢٢٨	٢٥	ابن الأدبر
١٩٩	٢٣	مجالد .	٢٢٩	٢٨	إبنة قرظة .
			٢٢٩	٣٠	عبد الرحمن بن أبي الزناد
			٢٣٠	٢١	الحارث بن عباد .
			٢٣٠	٢٣	مسلم بن خالد .
			٢٣٠	٢٤	طاوس .

الصفحة	الرقم	الأسماء
٢٦١	٣	الأسود الضليل .
٢٦١	٤	أبو عمر الجرمي .
٢٦٢	١٠	عامر بن فهر .
٢٦٣	١١	حسان بن مجدل الكلبي .
٢٦٥	١	إيتاخ .
٢٦٥	٢	الشار .
٢٦٩	١٩	أحمد بن محمد الخثعمي .
٢٧٠	٢	مالك بن زهير .
٢٧٠	٣	الربيع بن زياد العبسي .
٢٧١	٦	حميد بن ثور .
٢٧٤	٥	زيد الخيل .
٢٧٦	١٥	حذيفة بن بدر .
٢٧٧	٢	النايفة الجمعدى .
٢٧٩	٧	فراس .
٢٨٧	١	يحيى بن خالد .
٢٨٧	٢	أسماء بن خارجة .
٢٨٩	٣	حجر بن عدى .
٢٨٩	٩	جعفر بن ألى طالب .
٢٨٩	١٠	زيد بن حارثة .
٢٩٠	١١	عبد الله بن رواحه .
٢٩٠	١٣	محمد بن منذر الصبيري .
٢٩٠	١٤	عبد المجيد بن عبد الوهاب
		الثقفى

الصفحة	الرقم	الأسماء
٢٣١	٣٦	أمية بن أبى الصلت .
٢٣٢	٣٨	زياد .
٢٣٢	٣٩	محمد بن إسحاق .
٢٣٢	٤٠	الزهرى .
٢٣٣	٤٢	نافع بن علقمة .
٢٣٣	٤٣	يحيى بن زكريا .
٢٣٤	٤٤	سليمان التيمى .
٢٣٤	٤٥	حذيفة .
٢٣٦	٥٠	الوليد بن عقبة .
٢٣٧	٥٣	إياس بن قتادة .
٢٣٧	٥٥	معبد بن طوق العنبري .
٢٣٩	٥٧	جعفر بن سليمان .
٢٤١	٦٦	رجل (نافع بن غيلان) .
٢٤٦	١٠	عبد الله بن مسعود .
٢٤٦	٢	أبو جهل .
٢٤٧	٥	وكيع بن الدورية .
٢٤٧	٦	عبد الله بن خارم .
٢٥٠	١٥	مسلم بن عقبة المرى .
٢٥٠	١٦	حصين بن نمير السكوني .
٢٥١	١٧	حبيس بن دلجة .
٢٥٣	٢٢	الأحوص .
٢٥٤	٢٧	سالم بن دارة .
٢٥٤	٢٨	زميل بن أم دينار .
٢٥٤	٢٩	منظور بن زبان .
٢٥٧	٣٠	الشماخ .
٢٥٨	٣٢	وكيع بن أبى الأسود .
٢٥٨	٣٣	عدى بن أرطاة .
٢٥٨	٣٥	ابن المراغة .
٢٥٩	٢٧	دحيم .
٢٦١	١	بلال .

ثانيا : فهرس آيات القرآن الكريم

الآيات الكريمة في الكتاب	رقم الآية في السورة	السورة	رقم الآية في الصفحة	الصفحة
«... والثمرات وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»	١٥٧-١٥٥	البقرة	-	٢
«وما يُشعِرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون»	١٠٩	الأنعام	-	١٩
«وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»	١٥٧-١٥٥	البقرة	٢٧	٤٥
«وبشر الخائفين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرون على ما أصابهم»	٣٤	الحج	٢٨	٤٥
«وما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهدي قلبه»	١١	التغابن	٢٩	٤٥
«وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة»	١٥٧	البقرة	٣٠	٤٥
«كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»	١٨٥	آل عمران	٣٩	٤٧
«وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام»	٢٤	الرحمن	٧٠	٦٢
«وعزنى في الخطاب»	٢٣	ص	٩١	٦٦
«وكواعب أترابا»	٣٣	النبأ	٩٢	٦٦
«فنتقبوا في البلاد هل من محيص»	٣٦	ق	١٠٤	٧٠
«الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم»	١٩١	آل عمران	١٠٩	٧١
«سرايل تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأسكم»	٨١	النحل	١١٠	٧١
«وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً»	١٥	الجن	١٢٧	٧٥
«والله يحب المقسطين»	٩	الحجرات	١٢٨	٧٥
«كل نفس ذائقة الموت»	٥٧	المنكوت	٩	٧٧
«فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون»	٩٢	الحجر	١٠	٧٧
«ولا يميزى والد عن ولده ولا مولود هو جازي عن والده شيئا»	٣٣	لقمان	١٥	٧٨

«الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين»	آل عمران	٦٠	١٧	٧٩
«ستجدني إن شاء الله من الصابرين»	الصافات	١٠٢	١٨	٧٩
«لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا»	الكهف	٦٢	٤٤	٨٥
«إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»	الزمر	١٠	٧٠	٩٣
«فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فتزل من حميم * وما عندكم ينفذ وما عند الله باق * إنك ميت وإنهم ميتون * يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * إنني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك * وأنخرجت الأرض أثقالها * وله الجوار المنشقات في البحر كالأعلام * وأعطى قليلا وأكدى * حتى إذا كنتم في الفلك وجرينا بهم بريح طيبة * النار وعددها الله الذين كفروا * إنك لن تمحق الأرض * وجاءت سكرة الموت بالحق * هذا تأويل رؤى من قبل * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وأولئك هم المهتدون * ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون * وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه نحيد * توفي مسلما وألحقني بالصالحين * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل * فسيفكهم الله وهو السميع العليم * ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رعوف بالعباد»	الواقعة	٩٣-٨٨	٨٢	٩٨
	النحل	٩٦	٨٧	١٠٠
	الزمر	٣٠	١٠٥	١٠٤
	النور	٤٣	٩	١٠٦
	المائدة	٢٩	١٧	١٠٧
	الزلزلة	٢	١٣	١٢١
	الرحمن	٢٤	١٦	١٢٣
	النجم	٤٣	٢١	١٢٥
	يونس	٢١	٢٣	١٢٥
	الحج	٧٢	٣٤	١٢٧
	الإسراء	٣٧	٣٨	١٢٨
	ق	١٩	٧١	١٦٦
	يوسف	١٠٠	٣٧	٢٠٢
	البقرة	١٥٧، ١٥٦	٣٩	٢٠٣
	يس	٥١	٤٩	٢٠٦
	ق	١٩	٤	٢٢٤
	الشعراء	٢٢٧	٦	٢٢٤
	آل عمران	١٤٤	٩	٢٢٥
	البقرة	١٣٧	١٦	٢٢٦
	البقرة	٢٠٧	٢٢	٢٢٧

«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»	الزلزلة ٧ ، ٨	٢٣	٢٢٨
«قد أفلح من تزكى • وذكر اسم ربك فصلي»	الأعلى ١٣ ، ١٤	٣٢	٢٣٠
«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»	القصاص ٨٣	٤٩	٢٣٥
«إنك ميت وإنهم ميتون»	الزمر ٣٠	٥٩	٢٣٩
«وما جعلنا البشر من قبلك الخلد»	الأنبياء ٣٤	٦٠	٢٣٩

ثالثاً : أحاديث رويت عن النبي ﷺ

الأحاديث	الرقم في الصفحة	الصفحة
«تغزوا عن موتاكم إلى»	١٤	٤١
«من عزى مصاباً فله مثله أجره»	٤٧	٤٨
«لأن أقدم فرطاً أحب إلى من أن أدع مائة مسلثم»	٤٦	٤٨
«إن النبي ﷺ وضع إبراهيم في حجره وهو يجود بنفسه ..»	٤٤	٤٨
«إذا أخذت صفى عبدى فضير ، لم أرض له ثواباً دون الجنة»	٤٨	٤٩
حديث قدسى .		
«ما غبنت صفقتك باضرار»	-	٥٢
«الناس كإبل مائة لا تكاد ترى فيها راحلة»	٢٥	٥٣
«لأقرع» والحديث بتمامه : (لا فرع ولا عترة»	٩٣	٦٦
«هلك العدادون إلا من أعطاهما في نجدتها ورسلها»	١٠١	٦٩
«نعم المال الأربعون والكترة الستون وهلك أصحاب المئين»	١٠٢	٧٠
«كان النبي ﷺ إذا عزى يقول : أجركم الله ورحمكم»	٧٢	٩٤
«سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : نسأل الله تمام النعمة . فقال : أتدري ما تمام النعمة ؟ إن تمام النعمة النجاة من النار . وسمع رجلاً يقول : اللهم أرزقنى صبراً ، فقال : يا عبد الله سألت بلاء ، فسأل الله العافية .	٧٢	١٠٠
«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون» .	٩١	١٠٠
من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك ..	-	١٦٤
	-	١٦٧

«من كان له ابن ، وكان عليه عزيزاً وبه ضيق فصر على مصيبتيه واحتسابه ..	-	١٦٨
«من أصابته مصيبة فليذكر مصيبتيه في فأنها من أعظم المصائب»	٧٩	١٦٩
كنت أسمع أن النبي ﷺ لا يموت حتى يخبر	-	٢٢٣
لما احتضر رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فخبره	١	٢٢٣
كان رسول الله ﷺ إذا أفرطت عليه الحمى في وجعه ...	-	٢٢٤
«ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفضح منه»	٨٠	٢٤٥
إن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب وهو في الموت ياعم ، قل ، لا إله إلا الله ، أشهد لك بها عند ربي ...	-	٢٤٦
لما قدم المهاجرون المدينة ، وعكوا وكان أشد أرض الحمى ...	-	٢٦١
اللهم العن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة	-	٢٦٢
اللهم عليك عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ، كما أخرجونا	-	٢٦٢
دُربوا لي بالحرب حتى دُربوا .	-	٢٧١
«ليت الميضاة فتوضاً ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك بنبي محمد ، نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضى لي حاجتي» .	-	٢٩٧

رابعاً : مصادر المقدمة والتحقيق

- الأحاديث القدسية . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة .
- الاختيارين . الأخفش الصغير . تحقيق فخر الدين قبارة . مؤسسة الرسالة بيروت .
- أساس البلاغة للزمخشري . تحقيق عبد الرحمن محمود القاهرة ١٩٥٣ .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني . مطبعة السعادة . القاهرة .
- الأصمعيات تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف ١٩٦٤ م .
- الأعلام لخیر الدين الزركلي ط ثانية .
- الأغاني للأصفهاني دار الكتب المصرية .
- الأغاني للأصفهاني وهامشها تحقيق إبراهيم الإياري . دار الشعب .
- الأمالي القالي لأبي علي القالي . دار الكتب المصرية .
- إنباء الرواه على أنباء النجاة للقفطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م .
- أنيس الجلساء في ديوان الخنساء مع الترجمة الفرنسية . مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت .
- البخلاء . للجاحظ . تحقيق د. طه الحاجري . مصر ١٩٤٨ م .

- بغية الوعاة للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر ١٩٧٥ م .
- البلاغة للمبرد تحقيق د. عبد التواب رمضان . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ط. ثانية ١٩٨٥ م .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي . تحقيق محمد بهجة الأثرى . ثلاثة أجزاء . المطبعة الرحمانية ١٩٢٤ م .
- البيان والتبيين . للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي القاهرة . ١٩٦١ .
- تاريخ الأدباء . جمعية مآثر علماء العرب .
- تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ١٩٥٩ م
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان . دار المعارف . القاهرة
- تاريخ الأدب العربي تأليف عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت سنة ١٩٧٨ م .
- التعازي للمدائني تحقيق ابتسام مرهون الصفار وبدرى محمد فهد . مطبعة النعمان . النجف العراق .
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي . دار الصادر ١٩٦٣ م
- جمهرة الأنساب لابن حزم تحقيق ليفي بروفنسال . دار المعارف القاهرة ١٩٤٨ م .
- حركة التأليف عند العرب د. أجد الطرابلسي . مطبعة الجامعة السورية . دمشق ١٩٥٦ م
- ديوان أبي العتاهية . دار الصادر . بيروت ١٩٦٤ م
- ديوان الأخطل . تحقيق مهدي محمد ناصر الدين . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦ م .
- ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ م
- ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح د. محمد نجم دار الصادر بيروت ١٩٧٩ م
- ديوان بشار بن برد تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الشركة التونسية للتوزيع .
- ديوان جرير تحقيق إيليا الحاوي . دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري تحقيق وليد عرفات ١٩٧١ م
- ديوان الحماسة شرح التبريزي . المكتبة الأزهرية ١٩٢٧ م ط. الثالثة جرّان .
- ديوان حميد بن ثور . تحقيق عبد العزيز الميمني . دار الكتب .
- ديوان دعلج بن علي الخزاعي تحقيق عبد الصاحب الرحلى مطبعة الآداب . النجف ١٩٦٢ م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى . دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .
- ديوان الشماخ بن ضرار الذيباني تحقيق د. صلاح الدين الهادي . دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ م .
- ديوان صريع القوافي مسلم بن الوليد الأنصاري . مطبعة والدة عباس الأول ١٩٠٧ م .
- ديوان عترة . دار الصادر . بيروت ١٩٥٨ م
- ديوان كثير . تحقيق د. إحسان عباس . دار الثقافة بيروت . ١٩٧١ م .
- ديوان ليلى الأخيلية تحقيق خليل إبراهيم عطية وجليل عطية وزارة الثقافة والإعلام . بغداد ١٩٦٧ م .

- ديوان النابغة الذبياني تحقيق د. شكري فيصل . دار الفكر . بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان المهذلين . دار الكتب القاهرة ١٩٤٥ م .
- رياض الصالحين للإمام النووي . السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع القاهرة .
- رسالة الغفران للمعري تحقيق بنت الشاطي الدكتورة عائشة عبد الرحمن . دار المعارف القاهرة .
- رغبة الآمل في شرح الكامل للمرصفي . القاهرة النهضة ١٣٤٦ هـ
- زهر الآداب للمحصري تحقيق على محمد البجاوي . طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م .
- سمط اللآلئ لأبي عبيد البكري تحقيق عبد العزيز الميمنى .
- سيرة أعلام النبلاء تحقيق إبراهيم الإيبارى .
- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأيبارى وعبد الحفيظ شلبي القاهرة مصطفى الحلبي ١٩٥٥ م .
- شخصيات كتاب الأغاني . د. داود سلوم ود. نوري حمود ود. نوري حمود القيس . المجمع العلمي العراق . بغداد ١٩٨٢ .
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي . مكتبة المقدسي القاهرة . ١٣٥٠ هـ
- شعر الأصوص الأنصاري تحقيق عادل سليمان جمال الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م .
- شعر الراعي وأخباره جمعه ناصر الحامى . مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٦٤ م .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق أحمد شاكر دار المعارف .
- شرح ديوان ليلى تحقيق د. إحسان عباس . سلسلة التراث العربى (الكويت ١٩٦٢)
- شرح ديوان الفرزدق . عبد الله الصاوى . المكتبة التجارية .
- صفة الصفوة لابن الجوزى حققه محمود فاخورى . دار الوعى بحلب .
- ضحى الإسلام . أحمد أمين . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م القاهرة .
- طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف القاهرة .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكر دار المعارف . القاهرة .
- الطبقات الكبرى لابن سعد . دار الصادر بيروت ١٩٥٨ م .
- ظهر الإسلام . أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٢ م
- العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي تحقيق د. صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد . الكويت ١٩٦١ م .
- العقد الفريد لابن عبد ربه لجنة التأليف ١٩٧٠ م
- العمدة لابن رشيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى . القاهرة ١٩٣٤ م .
- الفاضل للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمنى . دار الكتب المصرية .
- فصل المقال في شرح الأمثال لأبي عبيد البكري . تحقيق د. إحسان عباس وعبد المجيد عابدين . طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧١ م
- فقه اللغة للثعالبي . مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة .

- الفهرست لابن النديم . دار المعرفة . بيروت لبنان .
- فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی تحقیق إحسان عباس .
- الکامل لابن الاثیر مصر ١٣٤٨هـ
- الکامل للمیرد . تحقیق زکی مبارک وأحمد شاکر مطبعة الحلبي القاهرة ١٩٣٧م
- لسان العرب لابن منظور مطبعة بولاق ١٣٠٠ هـ
- لسان المیزان لابن حجر . مؤسسة الأعلمی ١٩٧١م
- مرآة الجنان للیافعی . حیدر آباد ١٣٣٧هـ
- المزهرة للسيوطی . مكتبة عيسى الحلبي القاهرة ١٣٦١ هـ
- معجم الأدباء لياقوت الحموی . دار المأمون .
- معجم البلدان لياقوت الحموی . مطبعة السعادة القاهرة .
- معجم الشعراء للمرزبانی تحقیق عبد الستار أحمد فراج مكتبة عيسى الحلبي . القاهرة ١٩٦٠م
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن . دار الشعب .
- معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري . تحقیق مصطفى السقا لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥١ .
- المفضليات . للمفضل الضبي تحقیق محمد محمود شاکر وعبد السلام هارون . دار المعارف القاهرة .
- المؤلف والمختلف للآمدی . تحقیق عبد الستار أحمد فراج مكتبة عيسى الحلبي القاهرة .
- المنتخب من أدب العرب ج١ ، ج٢ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣م
- نهاية الأرب للتویری . دار الكتب المصرية . تصوير وزارة الثقافة المصرية .
- النوادر لأبي علي القالی . دار الكتب المصرية .
- نشوة الطرب فی تاریخ جاهلية العرب . لابن سعيد الأندلسی تحقیق د. نصرت عبد الرحمن ١٩٨٢م . مكتبة الأقصى بالأردن .
- الوافي بالوفيات للصدفی . المطبعة الهاشمية . دمشق ١٩٥٩م
- وفيات الأعيان لابن خلكان . تحقیق د. إحسان عباس .

خامسا : فهرس الموضوعات

عنوان الموضوع

رقم الصفحة

التقديم	٣
تقديم المحقق .	٥
رحلتى مع كتاب التعازى .	٩
مع مؤلف كتاب التعازى .	١٣
كتاب التعازى .	٢٣
مخطوطتان لكتاب التعازى .	٢٦
منهجنا فى التحقيق .	٣٠
[مقدمة كتاب التعازى] .	٣٩
باب التعازى .	٤٢
باب من الشعر .	٥٠
وهذا باب من التعازى والمواعظ .	٧٦
وهذا باب من التعازى والتعزى فى الأشعار .	١٠٥
[أشعار ليل الأخيلىة وصاحبها توبة] .	١٠٥
[أخبار الخنساء الشاعرة]	١١٧
وصايا لأهل الدين والآداب	١٣٥
وصية أبى بكر الصديق .	١٣٥
وصية عمر بن الخطاب	١٣٦
وصية على بن أبى طالب .	١٣٧
وصية معاوية بن أبى سفيان	١٣٨
وصية أبى عبيدة بن الجراح .	١٤١
وصية معاذ بن جبل .	١٤٢
وصية عبد الملك بن مروان .	١٤٣
وصية الربيع بن خثيم .	١٥٠
وصية جندب بن عبد الله البجلي .	١٥١
وصية المهلب بن أبى صفرة الأزدي .	١٥٣
[مراتى أشعار المحدثين]	١٧١
[مواعظ وتعاز وأشعار]	١٩٥

[أخبار الصاعون]	٢١٥
[مأقالوه عند الاحتضار]	٢٢٣
ذكر الجفاة عند الموت	٢٤٦
من تكلم في مرضه بشيء حكى عنه	٢٦١
[بلاغ وعظة]	٢٦٥
[من مرأى الجاهلية]	٢٧٠
[حرب داحس والغبراء]	٢٧٠
[حرب الأوس والخزرج]	٢٧٢
[رثاء البصرة وثورة الزنوج]	٢٧٣
[حرب البسوس]	٢٧٧
[أخبار طريفة وأشعار طريفة]	٢٨٧
[خاتمة شريفة]	٢٩٥
[حديث العائد والمؤتم]	٢٩٧

الفهارس

أولا : أعلام لها تراجم	٢٩٩
ثانيا : فهرس أبيات القرآن الكريم	٢٠٣
ثالثا : أحاديث رويت عن النبي ﷺ	٢٠٥
رابعا : مصادر المقدمة والتحقيق	٢٠٦
خامسا : فهرس الموضوعات .	٢١٠

رقم الإيداع ٩٣/١٠٣٧٧ 5-178-14-977 I.S.B.N

